وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

كلية التربية/ ابن رشد

قسم التاريخ



الوسائل الدفاعية الاسلامية عن المدن الاندلسية من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجري

اطروحة مقدمة الى مجلس كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد

كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي

تقدمها الطالب

قتيبة محمود جميل

بإشراف

الاستاذ الدكتور

مقتدر حمدان عبد المجيد

١٤٤١هـ   ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾

صدق الله العظيم

(سورة الانفال: الآية ٤٥، ٤٦)

إقرار المشرف

أشهد أنّ اعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ **(الوسائل الدفاعية الاسلامية عن المدن الاندلسية من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجري)** والمقدمة من الطالب **(قتيبة محمود جميل)** كانت باشرافي في قسم التاريخ – كلية التربية/ ابن رشد للعلوم الانسانية– جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي.

أ.د. مقتدر حمدان عبدالمجيد

/ / ٢٠١٩

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

أ.د. علي محمد المشهداني

رئيس قسم التاريخ

/ / ٢٠١٩



أشهد أن هذه الاطروحة الموسومة بـ **(الوسائل الدفاعية الاسلامية عن المدن الاندلسية من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجري)** والمقدمة من الطالب **(قتيبة محمود جميل)** تخصص التاريخ الاسلامي، قد حصل تقويمها لغوياً من قبلي، وعليه أرشح هذه الاطروحة للمناقشة من الناحية اللغوية بحيث أصبحت بأسلوب علمي سليم خالٍ من الأغلاط والتعبيرات اللغوية غير الصحيحة ولأجله وقعت.

التوقيع :

الاسم :

التاريخ : / /٢٠١٩



إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الاطروحة الموسومة بـ **(الوسائل الدفاعية الاسلامية عن المدن الاندلسية من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجري)** والمقدمة من الطالب **(قتيبة محمود جميل)** تخصص التاريخ الاسلامي قد حصل تقويمها علمياً من قبلي، وعليه أرشح هذه الاطروحة للمناقشة من الناحية العلمية بحيث أصبحت بأسلوب علمي سليم .

التوقيع :

الاسم :

التاريخ : / / ٢٠١٩

الإهداء



إلى من افتخر بحمل اسمه طوال حياتي ...

إلى من أرشدني إلى طريق العلم ...

إلى مثلي الأعلى ...



إلى من حملتني وهنا على وهن...

إلى نهر الحنان الذي لا ينضب...

إلى من جُعِلَت الجنة تحت أقدامها...

زوجي

إلى من خلقها الله من نفسي...

وجعل بيننا مودة ورحمة...



إلى سندي في هذه الحياة...

إلى شمعتي في دياجير الظلام ...

شكر وعرفان

لا بد و انا في مرحلة إنهاء البحث أن أشكر الله المبدئ المعيد ، المنشئ المبيد، الفعال لما يريد ، الذي جرت احكامه بمشيئته السابقة في العبيد : من إعزاز وإذلال ، وإدبار وإقبال ، وإكثار وإقلال ، وهداية واضلال ((لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون)) .

ويطيب لي الواجب وانا أتقدم بهذا الجهد المتواضع أن أعبر عن اعتزازي بجهود الذين وقفوا إلى جانبي و ساعدوني في اتمام هذه الدراسة ، ولا سيما المشرف أ. **د. مقتدر حمدان الكبيسي** الذي تحمس لموضوعها وأعطاه الكثير من وقته وجهده، وعمله من أجل تطويره وإظهاره بالصورة التي عليها الآن فكانت بصماته واضحة عليه.

بفيض من الحب والتقدير أتقدم بخالص الشكر والامتنان لأساتذتي الفضلاء في كلية التربية- ابن رشد/ جامعة بغداد واخص منهم بالذكر، **أ.د. كاظم ستر العلاق** ، و **أ.د. عبد الكريم خيطان الياسري** (رحمه الله)، **و أ. د. سهيلة مزبان الساعدي**، و **أ.د محمود تركي اللهيبي**، و **أ. د. داود سلمان خلف الزبيدي**، و **أ.د مثنى فليفل سلمان**، و **أ.د. سعاد هادي الطائي**، و **أ.د. نعمة شهاب اللامي**، و **أ. د علي حسن غضبان**، و رئيس القسم **أ .د علي محمد كريم المشهداني.**

وأجد لزاماً علي أن أتقدم بجزيل شكري و تقديري لأساتذتي الفضلاء في قسم التاريخ كلية التربية/ الجامعة العراقية ممن كانوا لي مثالا في عطائهم العلمي واخص منهم بالذكر، **أ. د. صالح عبد الله الجبوري** أ.**د. أحمد علي صكر**، و **أ.م.د. رياض أحمد العاني**، و **أ..د. عبد الرحمن ابراهيم الغنطوسي** ، و **أ. م.د. محمد كريم الجميلي**، و **أ.م. د. رائد راشد الحياني**، و **د. ستار محمد علاوي**، و **د.عمر عبد الله الحياني ،و د. صباح كامل**، ومن كلية التربية/ جامعة سامراء **أ.د جاسم ألطيف جاسم** لما كان لهم من دور كبير في إنضاج الروح العلمية للباحث.

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر بحق جميع **المكتبات** والعاملين عليها الذين يمدون يد العون لجميع الباحثين، ولاسيما صاحب الشكر بمساعدته في اعداد هذه الرسالة.

ويلزمني الواجب ان اقدم شكري إلى زوجتي ورفيقة دربي **(هاجر)** سر نجاحي في هذا الطريق ، ولابد ان اذكر إخوتي **(لبنى، و إيهاب، وصفا، وجميل)** واقاربي واصدقائي الذين شجعوني ورفعوا من معنوياتي لأجل الاستمرار في مواصلة البحث على الرغم من الصعوبات التي واجهتني .

الباحث

المختصرات

المختصر	تعريفه
(( ))	اقتباس نص حرفي
...	نص محذوف
بلا.ت	بدون تاريخ طباعة
بلا.مكان	من دون مكان طباعة
ت	تاريخ الوفاة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	ميلادية
هـ	هجرية
P	الصفحة
Alex	Alexander
USA	الولايات المتحدة الامريكية

المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، مصرف الامور شديد العقاب، ناصر المسلمين وهازم الاحزاب، بحكمته يُعلي المؤمنين ويُنزل المرتاب، فنصر عباده في الاندلس بقليل من الاسباب، ثم اخضعهم لعدوهم بدك الحراب، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد واله الائمة الأطياب، واصحابه الذين ناصروه في كل معترك وغاب.

اما بعد:

لتاريخ المسلمين في الأندلس أهمية كبيرة؛ لأن فتحها كان تتويجاً لجهاد طويل بلغ سبعين عاما من القتال الذي ضحى المسلمون من أجله بالكثير، وبنوا فيها صرحاً مجيداً لم يستطع اصحاب الكلام والاقلام من تبيانه مهما كتبوا ومهما تكلموا، لأن المسلمين حملوا رسالة ربانية أشعلوا منها شموعاً أضاؤوا فيها الدياجير المعتمة في حقبة سوداء من سيطرة رجال الكنيسة والإقطاع في شبه الجزيرة الايبيرية، فخططوا، وأسسوا، وبنوا، وفهموا، وحكموا، فكانوا نبراسا استمد منه الغرب ضياءً وهاجاً لتأسيس وبناء ما هم فيه الآن من تقدم ورقي .

احتاج المسلمون للحفاظ على مكتسباتهم المادية في الاندلس الكثير من الجهد وعلى كافة المستويات والاصعدة ومما لا يقبل الشك ان من اهم هذه المكتسبات هي المدن الاسلامية التي اصبحت هدفاً مستمراً للحركات العسكرية للممالك الاسبانية النصرانية، وفي خضم هذا الصراع احتاج المسلمون الى الكثير من الوسائل الدفاعية والجهد المضني للدفاع عن هذه المدن و تواجدهم فيها واختلفت هذه الوسائل تبعا لاختلاف القيادات السياسية وتفهمها واستيعابها لواقع الصراع وحيثياته الخطيرة فكانت بين الإيجابية والسلبية حسب النتائج المترتبة عليها.

وفي ضوء ما تقدم وجدنا انه من الضروري وجود دراسة لهذا الجهد الذي بذله المسلمون في الحفاظ على كيانهم الاندلسي وتبويبه تبويباً علمياً قائماً على التحليل والاستنتاج في ظل ما اوردته المصادر التاريخية من معلومات واخبار دلت على ما اشرنا اليه، وبذلك اصبح العنوان لهذه الدراسة هو ((الوسائل الدفاعية الاسلامية عن المدن الاندلسية من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجري)).

والسبب الذي ارتأينا ان تكون هذه الدراسة محصورة بين القرنين الرابع والتاسع الهجري ، هو ان القرن الرابع شهد اولى الخطوات والاطماع الحقيقية الجادة للممالك الاسبانية النصرانية في السيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية وقيام مشروعهم التوسعي على حساب المسلمين في تلك البقاع القصية. الذي استمر طيلة ستة قرون من القتال الضاري المستمر الذي انتهى باخراج المسلمين منها.

وشكلت هذه النتيجة المؤلمة سببا مباشرا دفعني للخوض في غمار هذه الدراسة التشابه الكبير بين حال المسلمين في تلك المدة وتشرذم المسلمين اليوم وظهور الفتن والتجاذبات بينهم وتكالب الامم عليهم. مما يتطلب تسليط الضوء على تلك الاخطار ووسائل مواجهتها والاستفادة من ذلك الارث التاريخي العظيم لعلها تكون منطلقاً نحو تغيير هذه الحالة ورجوع الامة الاسلامية إلى ماضيها المجيد.

حوت هذه الدراسة **مقدمة واربع فصول وخاتمة،** وكان **الفصل الاول** تحت عنوان **(الوسائل الدفاعية السياسية)** واقتضت المنهجية العلمية والمنطقية لتقسيمه الى مبحثين فكان المبحث الاول تحت عنوان **(الوسائل السياسية الايجابية)** الذي حوى خمسة عشر وسيلة دفاعية سياسية ذات نتائج ايجابية أسهمت مساهمة فاعلة في الدفاع عن المدن الاسلامية في الاندلس وكانت كفيلة برد عادية الكثير من الاخطار المهددة لهذه المدن ، وكان قسم من هذه الوسائل ذا علاقة مباشرة بالسياسية الخارجية والتي استهدفت بناء علاقات صداقة او تصغير مشاكل مع بعض الاعداء من اجل تحييدهم عن الصراع، وبالتالي تقليل الاخطار المحدقة بالمدينة الاسلامية الاندلسية كالتهادي والاستلطاف او معاهدات، وقسم منها يتعلق بالسياسة الداخلية كإعلان الطاعة والبيعة، وقسم اخر استهدف جمع شمل المسلمين سواء بالوسائل

السياسية التقليدية او بوسيلة المصاهرة السياسية بين المسلمين وما ترتب على ذلك من نتائج ايجابية، اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان **(الوسائل السياسية السلبية)** الذي حوى خمسة وسائل سياسية دفاعية ذات نتائج سلبية، حملت في جنباتها معاني التسليم والانقياد لمرامي واطماع الممالك الصليبية كإعطاء الاتاوة وتسليم الحصون والقلاع للعدو .

وكان **الفصل الثاني** تحت عنوان **(الوسائل الدفاعية العسكرية)** الذي حوى مبحثين كان عنوان الاول **(الوسائل العسكرية الايجابية)** الذي تناول على ستة عشر وسيلة عسكرية نجحت في الوصول الى مبتغاها حيث طردت القوات المعادية وبالتالي ابعاد الخطر عن المدينة الاسلامية الاندلسية ، ومن تلك الوسائل ما كانت ذات علاقة مباشرة بالحركات العسكرية الاسلامي كالتوسع العسكري الدفاعي، او ترهيب العدو، او الاشراك والكمائن، او التجسس على اخبار العدو، ومنها ما فيه طلب للاستغاثة العسكرية وغيرها من الوسائل العسكرية التي اسهمت في ترجيح كفة الجانب الاسلامي في صراعه المستمر للحفاظ على كيانه الاندلسي ، وكان المبحث الثاني يحمل عنوان **(الوسائل العسكرية السلبية)** والذي ضم اربعة وسائل عسكرية ذات نتائج وخيمة وعكسية، وشكلت خطراً على المدن الاسلامية في الاندلس كالخطط العسكرية السلبية او محاولات الانجاد الغير ناجحة.

وجاء **الفصل الثالث** فكان تحت عنوان **(الوسائل الدفاعية الادارية)** الذي اجملت فيه عددا من الوسائل الدفاعية ذات الطابع الاداري. التي قسمتها الى مبحثين حسب النتائج المترتبة على كل منها سواء ما كان منها ايجابيا او سلبيا وبذلك كان المبحث الاول تحت عنوان **(الوسائل الادارية الايجابية)** الذي شمل على عشرين وسيلة دفاعية اسهمت دون ادنى شك بإبعاد الكثير من الاخطار التي كانت تهدف الى النيل من استقرار المدن الاسلامية الاندلسية، منها ما كان يخص وسائل ادارية تهدف الى زيادة التحصينات والانشاءات الدفاعية، ومنها ما كان قراراً ادارياً بحتاً من اعلى سلطة سياسية في المدينة الى ما هو ادنى منه مرتبة سواء بالتولية او العزل

او غيرها من القرارات الادارية، ومن هذه الوسائل ما هو عبارة عن خطط واجراءات ادارية أسهمت في إحكام وتحصين الوسائل الدفاعية للمدينة الاسلامية الاندلسية، اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان **(الوسائل الادارية السلبية)** الذي شمل وسيلتين اداريتين فقط والسبب في ذلك ان الوسائل الادارية هي آنية الحدوث فإجراءاتها تكون دقيقة مستهدفة الخطر نفسه الامر الذي يجعل من سلبياتها محدودة.

اما الفصل الرابع كان تحت عنوان **(الوسائل الدفاعية الشعبية)** الذي اوردت فيه الوسائل التي لجأت اليها الطبقات الشعبية غير الرسمية والتي كانت تهدف الى مقاومة الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية الاندلسية، واقتضت المنهجية العلمية لتقسيمه الى قسمين تبعاً للنتائج المترتبة على هذه الوسيلة فكان المبحث الاول تحت عنوان **(الوسائل الشعبية الايجابية)**، الذي اوردت فيه اربعة عشر وسيلة دفاعية، منها ما هو جهدا شعبيا يستهدف زيادة التحصينات الدفاعية ذات الطبيعة الانشائية، وقسم ثاني له طبيعة ادارية سواء بالتولية والتنصيب والعزل فيما اطلقنا عليه الخطط والاجراءات الشعبية، وقسما اخر عالج الجهد الشعبي العسكري الذي اسهم في زيادة الوسائل الدفاعية للمدن الاندلسية، وقسم ثالث من الوسائل الشعبية سلط الضوء على الجهود المبذولة من قبل العلماء المسلمين على اساس انهم الفئة المؤثرة في المجتمع الاندلسي واسهم مساهمة فاعلة في زيادة وسائله الدفاعية من خلال تأثيراتهم الادارية او الجهادية، اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان **(الوسائل الشعبية السلبية)** الذي حوى وسيلتين دفاعيتين ذات تأثير سلبي وانحصرت بالتسليم للممالك الاسبانية النصرانية.

تحليل المصادر والمراجع

اولا: القران الكريم وكتب التفسير

اقتضت طبيعة هذه الدراسة ان استشهد بآيات من القران الكريم لاسيما في المواضع التي احتجت فيها الى تأصيل بعض الوسائل الدفاعية ولم تكتمل الصورة الشرعية للوسائل الدفاعية دون المرور الى بعض كتب التفسير التي كان في مقدمتها كتاب (تفسير الامام الشافعي) لأبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م) الذي افادنا في النظرة الشرعي لبعض الوسائل الدفاعية السياسية لاسيما ما يوضح عقد الصلح والمعاهدات وما يترتب عليها من مصلحة عامة للإسلام والمسلمين.

ثانيا: كتب الحديث النبوي الشريف

ولم تختلف كتب الحديث في الاهمية والغاية كثيراً عن مصادر التفسير فقد مثلت كتب الحديث المصدر التشريعي الثاني للمسلمين وكان لابد من الاستفادة منها من اجل توثيق الوسائل الدفاعية النبوية والتيقن بان الوسائل الدفاعية للمسلمين اذ ما هي الا امتداد طبيعي لميراث المسلمين السياسي والعسكري والاداري والشعبي، وقد استفدنا من كتب الحديث في اسناد ما روي عن النبي محمد (ﷺ) قولاً وفعلاً وبالطريقة التي سبقنا اهل العلم والاختصاص، وكان في مقدمة تلك المصادر كتاب (**المسند**) لابي عبد الله احمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥ م) الذي أوردت فيه احاديث نبوية كثيرة بلغت ٤٠ الف حديث منها حوالي عشرة الاف مكررة بسبب ايرادها تبعا لراويها من الصحابة، وردت فيها هذه اشارات الى بعض الوسائل الدفاعية النبوية من هذا الكتاب لاسيما فيما يخص الجانب السياسي.

واستفدت من كتاب (**سنن النسائي**) لأحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) الذي يعد من كتب الحديث الموثوقة والمشهورة حيث اهتم صاحبها بعلل الاحاديث واسانيدها وكان منهجه في جمعه انه اعتمد على العدول من الشخصيات في ايراد الحديث النبوي الشريف وكرر الأحاديث بأسانيد مختلفة، وجمع في كتابه بين فوائد الإسناد، ودقائق الفقه حيث قسم ما جمعه من احاديث على ابواب الفقه (كالطهارة ، والنكاح والبيعة ...الخ) وعلى الرغم من هذا التوثيق الخاص بعلم

الحديث الا اننا استطعنا الاستفادة منه في هذه الدراسة لاسيما في تأصيل بعض الوسائل الدفاعية المهمة.

ثالثا: كتب التاريخ

اما فيما يخص ابرز المصادر التاريخية التي استفدت منها في هذه الدراسة فكان كتاب (**المقتبس من انباء اهل الاندلس**) لابن حيان (ت: ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) الذي وردت عنده روايات عالجت حقبة اساسية من الدراسة وتناولت على تفاصيل واحداث دخلت في صلب الموضوع، الا اننا وقفنا على نسخ عديدة من هذا الكتاب كان السبب في ذلك هو وجود مخطوطات مختلفة له الامر الذي جعلنا ندرس جميع تلك النسخ للوقوف على افضل ما يمكننا من ان نستفاد منه لأهميته التاريخية، ففي الحقبة المحصورة من (٣٠٠ -٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) استفدت من الطبعة التي حققها (بيدرو شالميتا) التي طبعت في مدينة مدريد ونشرها المعهد الاسباني العربي عام ١٩٧٩م الذي عالج فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر، اما الطبعة الاخرى التي استعملتها من الكتاب فقد حوت تاريخ خمس سنين من خلافة الحكم المستنصر التي حصرت ما بين (٣٦٠-٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م) وقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، ولنفس هذه الفترة وجدت نسخة اخرى حققها صلاح الدين الهواري الذي طبع في بيروت عام ٢٠٠٦م الذي وجدت فيه معلومات تاريخية غير موجودة في النسخة التي حققها الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، وبذلك واجهنا مشكلة تعدد النسخ والمحققين في فترة زمنية حصرت ما بين (٣٣٠- ٣٦٠هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م فعالجناها بكتابة المحقق اثناء التوثيق للمعلومات التاريخية في هوامش الصفحات الواردة بين ثنايا الدراسة، لأنه وجدنا انه لا يمكن الاكتفاء بنسخة دون غيرها.

واستفدت من كتاب (**التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني برزال في غرناطة**) لابن بلقين (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) وهي عبارة عن مذكرات لعبد الله بن بلقين الذي حوى معلومات وفيرة عن تاريخ مدينة غرناطة لاسيما عهد حكم بني برزال وما اختلج سياستهم من وسائل دفاعية ضد توسع بني عباد العسكري.

ووجدت في كتاب **(المعجب في تلخيص أخبار المغرب)** لعبد الواحد المراكشي (ت: ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) اشارات الى وسائل دفاعية غريبة التي احتاجت الى توثيق تاريخي دقيق لذلك كان هذا المصدر كفيلا لتغطية وسيلة (الخدع والحيل والدهاء السياسي) فكان مصدراً مهماً لفترة دويلات الطوائف مُرَكَزاً على التناحر والتباغض والتجاذب بين هذه الكيانات السياسية الاسلامية وكيف تمكنت الممالك الاسبانية النصرانية من استغلال هذا الامر.

وقد استفدت من كتاب **(البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب)** لابن عذاري (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) الذي يعد من اوثق مصادر التاريخ المغربي والاندلسي الذي كان ذو فائدة كبيرة في جميع فصول الدراسة الا ان الجزء الرابع كان ذو الفائدة الاكبر كونه حمل تاريخ ملوك الطوائف بكافة تفصيلاتها السياسية والعسكرية والادارية والشعبية، الا ان هذا الكتاب وثق التاريخ الاندلسي حتى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م مما جعله يفقد اهميته بعد هذا التاريخ لأننا اصبحنا بحاجة الى مصادر تاريخية تستطيع ملأ الفراغ الذي احدثه فقدان المعلومات لتلك الفترة.

واستفدت من كتابين لابن ابي زرع الفاسي (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وهما **(الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية)** و **(الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)** ، ويُعد الكتاب الاول مصدراً مهما في توثيق الاحداث التاريخية لسلاطين مملكة بني مرين وعلاقتهم مع سلاطين مملكة غرناطة وما ترتب على ذلك من وسائل دفاعية سواء ما كان منها سياسياً كاستغاثات بمخاطبات سياسية رسمية او عسكرية ترتب عليها عبور حملات استغاثة عسكرية من المغرب المريني الى الاندلس، اما كتابه الثاني فقد استفدت منه في مراحل متعددة من هذه الدراسة لاسيما في تاريخ الدولة الموحدية التي اهتم بها المؤلف فقد انفرد بمعلومات واخبار قلما نجدها في مصادر اخرى لاسيما دخول الموحدين الى الاندلس وما رافق ذلك من احداث ومخاطبات.

ورفدني كتاب **(الاحاطة في اخبار غرناطة)** للسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) بروايات تشير الى الاخبار الواردة عن التاريخ السياسي لمدينة غرناطة

الاسلامية الذي على الرغم من كونه حوى على تراجم لأكثر من خمسمائة شخصية مهمة للمدينة الا ان المؤلف لم يُراع التسلسل الزمني في ايراد المعلومات التاريخية بل اكتفى بالترتيب الابجدي للشخصيات الواردة الامر الذي جعل الباحث دائما ما يشعر بعدم اكتمال الصورة الحقيقية للأحداث التاريخية ويحتاج دائما للبحث في صفحات الكتاب حتى يجد ضالته وعلى الرغم من ذلك لا يستطيع اي باحث له اهتماما بالتاريخ الاندلسي من دون الاستفادة من هذا الكتاب.

وكان لكتاب **(الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية)** لابن السماك العاملي (ت: بعد ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) دور كبير في الوقوف على الكثير من الوسائل الدفاعية لاسيما السياسية منها والعسكرية ولفترة طويلة غطت دولة المرابطين ولمن بعدهم الموحدين وبني مرين، الا ان هذ المصدر لم يكن ذو فائدة كبيرة في الفصل الاداري وكذلك الشعبي لان المؤلف كان بعيداً عما يدور في داخل العمق الاندلسي ومدنه الكبرى.

ويعد كتاب **(الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية)** لابن الشماع (ت: ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) من المصادر الرئيسة لتاريخ الدولة الحفصية في تونس منذ نشوئها وحتى وفاة السلطان ابو عمرو عثمان عام (٨٣١هـ / ١٤٢٧م) وقد استفدت منه في توثيق بعض الوسائل الدفاعية السياسية لسلاطين بني الاحمر لمعاصرتهم الاحداث التي وثقها هذا المصدر.

رابعا: كتب التراجم والانساب

يأتي في مقدمتها كتاب **(قلائد العقيان ومحاسن الاعيان)** لابن خاقان (ت: ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) الذي وردت فيه اسماء عدد من اعيان العصر المرابطي في الاندلس وقد قسم هذا الكتاب حسب الوظائف المهمة في الاندلس فكان على اربعة اقسام، خصص القسم الاول منه في محاسن رؤساء بني مرين واولادهم، وكان القسم الثاني مخصص للوزراء والكتاب، وتناول القسم الثالث القضاة واعلام العلماء الاندلسيين، في حين تناول القسم الرابع للأدباء وفحول الشعراء، الا اننا لمسنا

الاهتمام الكبير للمؤلف بالجانب الادبي واهمال على حساب الجانب التاريخي للشخصيات التي اوردها الامر الذي جعلنا دائما بحاجة الى التوثيق من مصدر اخر.

وكانت لكتاب **(الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة)** لابن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) فائدة كبيرة ولكافة فصول الدراسة لأنه قدم تراجما لشخصيات مختلفة وفي جميع مدن الاندلس وقسمه تقسيماً جغرافياً الامر، وكان للجزء الثاني من الكتاب فضل كبير على الدراسة لما له من دور في تراجم الكثير من الشخصيات في عصر ملوك الطوائف لاسيما فيما يتعلق الامر ببني عباد ومدينة اشبيلية

واستفدت من كتاب **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)** لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) في تراجم لعدد من الشخصيات التي وردت في الدراسة الا انه على الرغم من ورود تراجم لعدد كبير من الاعلام الذي بلغ (٨٥٠) علماً الا ان ما ورد عن الاندلس يعد الاقل بمقارنتها مع بقية اجزاء الدولة الاسلامية الكبرى وربما ويرجع السبب في ذلك كونه من اهل دمشق واهتمامه بالأجزاء القريبة منه اولى.

وحوى كتاب**(مجمع الآداب في معجم الألقاب)** لابن الفوطي (ت: ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) على عدد من تراجم الشخصيات في عصر ملوك الطوائف لاسيما مملكة سرقسطة وحكامها.

وعلى الرغم من ان كتاب **(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)** للذهبي(ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) يعد من اهم مصادر التاريخ العام إلا اننا وجدنا فيه تراجم لكثير من الاشخاص الذين وردوا بين طيات الدراسة.

واستفدت من كتاب **(اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام)** للسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) في تراجم شخصيات كثيرة وردت بين طيات الدراسة.

خامسا: كتب البلدان والجغرافية

ورفدت كتب البلدان هذه الدراسة بروايات كثيرة منها كتاب **(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)** للإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) الذي يعد بحق موسوعة جغرافية في القرن السادس الهجري وبذلك كانت فائدته كبيرة غطت مجموعة من اسماء القلاع والحصون لم ترد عنها اية معلومات في المصادر الاخرى لاسيما الثغور الاندلسية الامر الذي يفسر وجود هذا المصدر في كافة فصول الدراسة.

وكذا كتاب **(معجم البلدان)** لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذي أورد مجموعة كبيرة من تعريفات المدن الاندلسية الا انه خلا من التعريفات الخاصة بالحصون والقلاع والثغور التي كانت ذات علاقة كبيرة بهذه الدراسة كونها خصصت للوسائل الدفاعية.

واستفدت من كتاب **(الروض المعطار في خبر الاقطار)** للحميري (ت: ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) في تعريف العديد من المدن الاندلسية التي رتبها تبعا للحروف الهجائية، فضلا عن ان الكتاب حوى معلومات تاريخية قيمة لا نستطيع تجاوزها الامر الذي جعل هذا المصدر مكررا في صفحات عديدة من الدراسة فضلا عن توثيق التعريف الجغرافية وبعض الاحداث التاريخية.

سادسا: كتب اللغة العربية

ولم تستغنِ هذه الدراسة عن المعاجم اللغوية التي كان من شأنها معالجة الغموض في تفسير بعض الكلمات والجمل العربية ومن اهمها كتاب **(معجم مقاييس اللغة)** لابن فارس القزويني (ت: ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) الذي يعد موسوعة علمية في معاني الكلام لما فيه من معلومات هائلة في هذا الاختصاص مرتبة حسب الحروب الهجائية ومقاطعها.

اما كتاب **(النهاية في غريب الحديث والأثر)** لمجد الدين بن الاثير (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) الذي خصصه لغريب الحديث والغير شائع مما ورد في القران الكريم

والاحاديث النبوية الشريفة فضلا عن غريب الكلام في وقت تأليفه للكتاب وقد كان هذا الكتاب كفيلاً في تفسير معنى البيعة التي وردت ضمن الوسائل الدفاعية السياسية.

سابعا: كتب الادب

واسهمت المصادر الادبية في اغناء هذه الدراسة ومنها كتاب **(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب)** للمقري (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) فعلى الرغم من كونه كتاب خاص بالأدب الاندلسي الا انه اورد فيه معلومات تاريخية مهمة جداً لاسيما فيما يخص دراستنا هذه اسهمت في الوقوف على الحقيقة الكاملة وبكافة فترات الدراسة من القرن الرابع الى التاسع الهجري بكافة جوانبها السياسية والعسكرية والادارية والشعبية الامر الذي يفسر وجوده في جميع فصول هذه الدراسة.

ومن المصادر الادبية التي استفدت منها في هذه الدراسة كتاب **(صبح الاعشى في صناعة الانشا)** للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤٢٧م) الذي يعد موسوعة علمية شاملة لعدد كبير من العلوم الشرعية والأدبية والجغرافية والتاريخية، وعلى الرغم من ان الكتاب كان مخصصا للُكتَاب في ذلك الوقت الا انه حوى معلومات جليلة عن أنظمة الحكم، وكثير من المفاهيم الإدارية، والسياسية، والإقتصادية، وعادات الشعوب وتقاليدها والكثير من شؤون الحياة السياسية والعسكرية والادارية الامر الذي جعل من النادر ان نجد دراسة غير مستفيدة من هذا الارث العلمي العريق.

ثامنا: المصادر الاجنبية

اما المصادر الاجنبية فقد استفدت من عددا منها كان في مقدمتها كتاب **(Alfonso X, the learned)** لمؤلفه (H.Salvador martines) الذي حوى على معلومات قيمة فيما يخص الحياة السياسية في مملكة قشتالة لاسيما فترة الملك الفونسو الحكيم وخصص جزءا كبيرا منه في توضيح العلاقات القشتالية مع المسلمين في الاندلس

واستفدت من مصدر اجنبي اخر وهو (**Exiles in sephrad: the Jewish millennium in spain**) لمؤلفه (Jeffrey Gorsky) الذي حوى على معلومات قيمة تخص الحياة الاجتماعية في مملكة قشتالة لاسيما الحياة الدينية فيها واورد فيه اخبارا عن اليهود فيها

وكان لابد من الاخذ ببعض المصادر التي دونت تاريخ مملكة اراجون وكان كتاب (**Jaime II y el esplendor de la Corona de Aragón**) لمؤلفه (José Hinojosa Montalvo) الذي يعد احد اهم المراجع الاسبانية والذي فيه معلومات مفيدة عن تاريخها السياسي لاسيما عهد ملكهم خايمي الثاني الذي اورد فيه مؤلفه توضيحا كافيا عن طبيعة العلاقات بين الممالك الاسبانية النصرانية

واستفدت من كتاب (**key figures in medieval Europe**) لمؤلفه (Richard Emmerson) والذي يعد من اهم المراجع الاجنبية في تراجم الشخصيات الاوربية المهمة في العصور الوسطى الامر الذي جعله ذا قيمة تاريخية كبيرة.

تاسعا: المراجع التاريخية الحديثة

اما فيما يخص المراجع التاريخية الحديثة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، فقد استفدت من كتاب **(مباهج الاندلس)** لمؤلفه الدكتور محمد عبد الرحمن البشر الذي اورد فيه مجموعة من الوسائل السياسية التي تحمل معنى الابتهاج لاسيما فيما يتعلق بالتهادي والاستلطاف الذي ورد كوسيلة دفاعية سياسية.

وحوى كتاب **(دراسات اندلسية في السياسة والاجتماع)** للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش على اشارات أسهمت في الوصول الى عدة وسائل دفاعية سياسية لاسيما الموادعة والمسالمة من خلال ما حمله هذا الكتاب من دراسة علمية في المبادئ السياسية الاندلسية.

واستفدت من كتاب **(تاريخ الاندلس)** لايناس محمد البهيجي الذي يعد دراسة وجيزة عن التاريخ السياسي للأندلس بشكل عام من الفتح وحتى السقوط الامر الذي جعله يحتوي العديد من التأويلات والقراءات للوسائل الدفاعية المستخدمة في الاندلس مما جعل لهذا الكتاب حضور في فصول الدراسة الاربعة فضلا عن المقدمة.

واستفدت من كتاب **(جزر الاندلس المنسية)** لمؤلفه عصام سالم سيسالم الذي سلط الضوء على الواقع السياسي للجزر الشرقية باعتبارها احد اهم اجزاء الجسد الاسلامي الاندلسي وما يرتبط بذلك من شخصيات واحداث تاريخية مهمة لاسيما جزيرة ميورقة الاسلامية.

والحق ان كتاب **(دولة الاسلام في الاندلس)** لمحمد عبد الله عنان يعد من اهم المراجع في التاريخ الاندلسي الذي تناول جميع حقب التواجد الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية منذ الفتح وحتى خروج المسلمين منها مجبرين. والامر الذي زاد اهميته هو المنهجية العلمية التي اتبعها الكاتب في تأليفه الكتاب من خلال التسلسل العقلي والمنطقي للأحداث، الامر الذي جعله مرجعاً اساسياً في مواضع مختلفة من هذه الدراسة.

واستفدت من كتابين لشكيب ارسلان كان الاول موسوم **(الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية)** اما الثاني **(تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط)** ، وقد استفدت من الكتاب الاول كونه حوى على مجموعة مهمة من الرسائل السلطانية لسلطنة غرناطة الاسلامية انفرد في ذكرها عن غيره حصل عليها عن طريق بعض الهيئات الثقافية الاسبانية الامر الذي جعل هذا الكتاب من المراجع المهمة في الفصل الاول لاسيما في الفترة المحصورة من (٧٦١ – ٧٠١هـ/ ١٣٥٩– ١٣٠١م) لان هذه الرسائل حوت على بعض الوسائل الدفاعية لاسيما فيما يخص طلب الانجاد السياسي، اما كتابه الثاني فقد حوى على معلومات هامة عن المعارك التي خاضها المسلمون خلف جبال البرانس فضلا عما ورد في الدراسة من معلومات هامة فيما يخص الجهد العسكري الاسلامي.

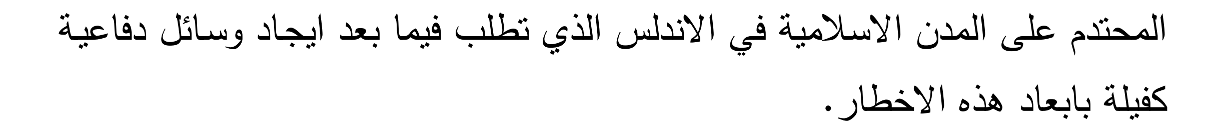
وكان كتاب **(بنو الأفطس في بطليوس التاريخ السياسي و الحضاري)** لمؤلفه أزهر صادق التميمي، ذو فائدة كبيرة في ايضاح العلاقات الخارجية لقسم من الممالك الاسلامية في عهد ملوك الطوائف، وبما تمثله مدينة بطليوس في كونها محوراً للصراع بين الممالك الاسبانية النصرانية والتواجد الاسلامي في الاندلس جعل الكثير من الوسائل الدفاعية سواء السياسية والعسكرية والادارية والشعبية مسلطة عليها وفي فترات مختلفة من هذا الصراع الامر الذي يوضح اهمية هذا الكتاب وفائدته الكبيرة.

ومن المراجع التي كانت ذات فائدة بالدارسة هو كتاب **(الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس ما بين سنتي (٥٤١-٦٦٧ هـ /١١٤٦-١٢٦٨م)** لمؤلفه داود عمر سلامة عبيدات الذي عالج الحقبة الموضحة بعنوان الكتاب في طرفي التواجد الاسلامي المغرب والاندلس.

وسلط كتاب **(انبعاث الاسلام في الاندلس)** لعلي المنصور الكتاني الضوء على الوسائل التي انتهجتها الممالك النصرانية للوصول الى مبتغاها، فضلا عن انه حوى على دراسة مفصلة عن معاهدات تسليم المدن الاندلسية الامر الذي جعل من الضروري الوقوف على هذا المرجع ذو القيمة التاريخية التحليلية الكبيرة.

واهتم كتاب **(مملكة غرناطة في عهد بني زيري)** لمريم قاسم الطويل بدراسة العلاقات السياسية لبني زيري لاسيما علاقاتهم مع الممالك الاخرى وان ابرز ما يميز هذا الكتاب هو تشخيصه للمواقع الجغرافية الواردة فيه الامر الذي جعلني في بعض الاحيان اشير اليه في تعريف بعض الحصون والقلاع لاسيما ما كان سببا لحركات الانجاد العسكرية.

وكان لابد لي من الاطلاع على كتاب **(البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري)** لعبد القادر بوباية ، لما ورد فيه من توضيح صورة الصراع العسكري والسياسي بين العرب والبربر خلال القرن الخامس الهجري وما رافق ذلك من انحلال في جسد الكيانات الاسلامية في الاندلس الامر الذي زاد من الخطر



المحتدم على المدن الاسلامية في الاندلس الذي تطلب فيما بعد ايجاد وسائل دفاعية كفيلة بابعاد هذه الاخطار.

وختاما اسال الله تعالى الهداية والسداد والغفران، فمنه وحده التوفيق وله وحده المنة والفضل والثناء الحسن، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله واصحابه اجمعين.

الفصل الاول

الوسائل الدفاعية السياسية

المبحث الاول: الوسائل السياسية الايجابية

اولا: التهادي والاستلطاف

ثانيا: الموادعة والمسالمة

ثالثا: عقد الصلح والمعاهدات

رابعا: نشر الفرقة في صفوف العدو

خامسا: البيعة واعلان الطاعة

سادسا: محاولات جمع شمل المسلمين

سابعا: بيع الحصون والقلاع للعدو

ثامنا: التنازل عن المدن والحصون

تاسعا: التحالفات السياسية الدفاعية

عاشرا: الخدع والحيل والدهاء السياسي

الحادي عشر: الاستغاثات الدفاعية السياسية

الثاني عشر: عبور الحكام الاندلسيين الى المغرب

الثالث عشر: التهديد والوعيد

الرابع عشر: الزواج السياسي

الخامس عشر: بناء علاقات مع اطراف اسلامية بعيدة

المبحث الثاني: الوسائل السياسية السلبية

اولا: التنازل عن المدن والحصون للنصارى

ثانيا: اعطاء الاتاوة للنصارى

ثالثا: محاولات عقد صلح غير موفقة

رابعا: الاستعانة بالنصارى ضد المسلمين

خامسا: اعلان الطاعة للنصارى

المبحث الاول: الوسائل السياسية الايجابية

تعد الوسائل الدفاعية السياسية من بين انجع الوسائل المستخدمة من قبل السلطات المدافعة عن المدن الاسلامية واكثرها استخداما واكثرها تنوعا وامام هذا التنوع الكبير قسمتها حسب دلالاتها السياسية الى ما يأتي:

اولا: التهادي والاستلطاف

الهدية هي ما يقدمه الشخص الى شخص اخر يبغي بها الاستحباب والاستلطاف منه[1]، والاسلام قد حبب كثيرا هذا الامر ودعى اليه لاسيما بما جاء على لسان الرسول محمد (ﷺ) : ((تَهَادُوا تَحَابُّوا))[2]، وقال ايضا((تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ))[3] وقال ايضا: ((تَهَادَوْا تَزْدَادُوا حُبًّا))[4] وجاء عنه ايضا: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ – قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ – تُذْهِبُ السَّخِيمَةَ وَتُورِثُ الْمَوَدَّةَ))[5] ، وقال : ((تَهَادَوْا تَحَابُّوا، نِعْمَ مِفْتَاحُ الْحَاجَةِ الْهَدِيَّةُ))[6] ، الامر الذي جعل الهدية احد اهم الركائز التي

---

(1) مصطفى، ابراهيم، واخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤ (القاهرة، ١٤٢٥هـ)، ص٩٧٩ .

(2) ابو عبد الله القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر (ت: ٤٥٤هـ)، مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٣٨١.

(3) احمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تح: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب (بيروت، ١٤١٩هـ)، ج٢، ص٤٠٥.

(4) الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد (ت: ٣١٠هـ)، الكنى والأسماء، تح: ينظر محمد، دار ابن حزم (بيروت، ١٤٢١هـ)، ج١، ص٤٤٠ .

(5) أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر (ت: ٣٦٩هـ)، الأمثال في الحديث النبوي، تح: عبد العلي عبد الحميد ، دار السلفية، ط٢ (بومباي، ١٤٠٨هـ)، ص٢٨٧ .

(6) ابو الشيخ الاصبهاني، الامثال، ص٢٨٨ .

يرتكز عليها المسلمون في تعاملاتهم وعلى كافة الاصعدة لاسيما السياسية منها التي تعني بذلك ما تقدمه الكيانات السياسية الى كيانات سياسية اخرى تهدف من خلالها بناء علاقات صداقة او توثيقها التي من شأنها تهدئة العلاقات المتوترة بين الطرفين.

واستخدم المسلمون هذه الوسيلة كثيرا لاسيما في بدايات القرن الرابع الهجري عندما حدثت بعض المشاكل السياسية فيما يخص وراثة الحكم وما يتبع ذلك من قلاقل ومشاكل استغلتها بعض الممالك النصرانية للهجوم على المدن الاندلسية، لاسيما الاحداث التي سبقت اعلان عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) نفسه خليفة عام ٣١٦هـ/٩٢٨م على سدة الحكم وما تبع ذلك مشاكل سياسية هاجمت مملكة ليون بقيادة اردونيو الثاني التي تسميه المصادر الاسلامية (ارذون) عدة مناطق اسلامية منها مدينة بطليوس[١] التي ارتاع اهلها من الخطر المحدق بهم فحذوا حذو مدينة ماردة وواليهاِ فقدموا الى قائد الحملة هدايا كانت من ضمنها اموال و كثير من الحلي التي اسهمت في تغيير موقف المهاجمين الذين تأثروا بهذه الهدايا فأرتحلوا عن مدينة بطليوس[٢].

---

(١) مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٧ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ج٥، ص٤٣-٤٤ .

وعندما رأى المسلمون نجاعة تلك الوسيلة كرروها عندما هاجم العدو نفسه مدينة ماردة[١] التي اعتصم داخلها عدد من المسلمين مستغلين حصانتها واسوارها العالية التي وقف امامها اردونيو مذهولا فأقدم واليها محمد بن تاجيت[٢] على هذه الوسيلة لتفادي الخطر المحدق بالمدينة فارسل رسولا يستلطف اوردونيو وبعث اليه بهدية فكانت عبارة عن فرسا من عتاق الخيل بسرجه وعدته فقبلها منه واعجب بها وكانت هذه الوسيلة سببا في ترك المدينة والارتحال عن اسوارها وبالتالي استخلاصها من احتمالية سقوطها بيد الصليبيين[٣].

ولم تكن تلك الوسيلة تستخدم من قبل المسلمين في الاندلس للدفاع عن مدنهم عندما يحاصرها العدو فقط بل كانوا يسبقوا الهجوم اي يحاولوا درء الهجوم قبل وقوعه من خلال استرضاء ملوك وزعماء الممالك النصرانية ومن ذلك ما قام به المنذر بن يحيى[٤](٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢– ١٠٢٣م)

---

(١) كورة واسعة من نواحي الأندلس متصلة بحوز فرّيش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة وبينها وبين قرطبة ستة أيام . ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م)، ج٥، ص٣٨.

(٢) محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد، صاحب ماردة هو وأبوه وجدّه؛ وكانوا أصحاب قورية ولجدانية؛ وبقوا لفترات طويلة في تلك البلاد حتى غلب عليها النصارى. ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ص٥٠١ .

(٣) ابن حيان، حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ)، المقتبس من انباء اهل الاندلس، تح: بدرو تشالميتا، المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد، ١٩٧٩م) ، ج٥، ص ٤٤ .

(٤) هو أبو يحيى المنذر بن يحيى التجيبي من ملوك الطوائف المتغلّبين على سرقسطة والثغر الأعلى ، وتلقّب بالمنصور ذي السيادتين، وأظهر عدلا وأحبّه الرّعيّة وخطب له على المنابر. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣ هـ)، مجمع

زعيم مملكة سرقسطة الذي استطاع استرضاء ملوك قشتالة وصدهم عن دائرة الخطر المحدق من خلال تقديم الهدايا الثمينة والاموال لهم وبذلك سلمت تلك المدينة الاسلامية من اطماع الجيوش النصرانية التي كانت تغزو وتحارب العديد من المدن الاسلامية[١].

ومن ذلك ايضا الهدايا التي كان يرسلها يحيى بن عبد الملك بن رزين (٤٩٦ – ٤٩٧هـ/ ١١٠٢– ١١٠٣م) الملقب بحسام الدولة الذي كان أميراً عاجزاً ضعيف العقل، مدمناً للشراب، وكان يسعى إلى مصانعة ملك قشتالة ألفونسو السادس، والتماس مودته، واجتناب سطوته، فبعث بهدية كبيرة من الحلي والخيل والبغال، و التحف النادرة، وردا على تلك الهدايا ارسل له قردا اعجب فيه، ولذلك نرى ان في تلك الفترة التي حكم فيها حسام الدولة لم تهاجم قشتالة رغم سطوتها العسكرية على مدينة مرسية[٢] التي كانت تحت حكم بني رزين[٣].

الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي (ايران، ١٤١٦هـ)، ج٦، ص٥٤٨ .

(١) لسان الدين بن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧٧٦هـ)، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ)، ج٢، ص١٩٠ .

(٢) مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وبها كان منزل ابن مردنيش وازدهرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧.

(٣) ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان ، الفي بروفنسال، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م)، ج٣، ص١٠٨-١١١ ، ج٣، ص١٨٤، ٣٠٩، ٣١٠.

ولـم تكـن وسـيلة التهـادي والاسـتلطاف تهـدف الـى دفـع العـدو الخـارجي فقــط بــل ايضــا ســجلت لنــا المصــادر الاســلامية اخبــارا مفادهــا ان القــادة المسـلمين اسـتخدموا تلـك الوسـيلة لـدفع المنـافس المسـلم الـذي يبتغـي السـيطرة علــى المدينــة التــي تحــت حكــم الاول ومــن ذلــك مــا قــام بــه ابــو الاصــبغ[1] صــاحب مدينــة شــلب[2] فــي عهـد ملـوك الطوائـف والـذي كـان يقـاوم جاهـدا التوســع العســكري لبنـــي عبـــاد وعلـــى راســـهم المعتضـــد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) الـذي يهـدف للسـيطرة علـى مدينـة شـلب، فاخـذ ابـو الاصـبغ يلاطفـه ويهاديـه ويصـانعه مـن اجـل دفـع خطـره عـن حاضـرته وعلـى الـرغم مـن نجـاح هـذه الوسـيلة لفتـرة قليلـة مـن الـزمن الا ان هـذا الصـراع انتهـى بالسـيف عندما دخل المعتضد فاتحا للمدينة واصبحت بحوزته[3].

علـى الـرغم مـن ولـوج القيـادات الاسـلامية فـي عهـد ملـوك الطوائـف فـي هـذه الوسـيلة الدفاعيـة الا اننـا نجـد انـه لـم يقـدم كـلا مـن المـرابطين والموحـدين الــى هــذه الوســيلة وربمــا كــان للوحــدة السياســية التــي اصــبحت لــدى دخــول المـرابطين ومـن بعـدهم الموحـدين كـان لهـا ابـرز الاثـر فـي عـدم ممارسـة هـذه الوسـيلة الا ان ملـوك بنـي الاحمـر ارغمـوا فـي اسـتلطاف ملـك قشـتالة عنـدما اقتربـت الهدنـة الموقعـة بـين الطـرفين مـن النفـاذ فسـار ملـك بنـو الاحمـر محمـد

([1]) هو محمد بن سعيد بن جميل بن سعيد (صاحب تفسير الموطأ) بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن ابي الجود مزين (وهو الداخل الى الاندلس) اصبح حاكما على مدينة شلب عام ٤٤٠هـ. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٩٦-٢٩٧ .

([2]) مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس ، وبينها وبين شنترين خمسة أيام . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٧ .

([3]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٩٦- ٢٩٧ .

الاول (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م الى ملك قشتالة الفونسو العاشر[١] لتجديدها مستصحبا معه قائديه العسكريين وصهريه وهما (ابو محمد) و (ابو اسحاق) ابنا اشقيلولة وقوة من خمسمائة فارس ودخل الى اشبيلية ، الا ان هذه الوسيلة لم تثمر لان ملك بني الاحمر احس ان النصارى يضمروا غدرا فرحل عنها مسرعا حيث كانت هذه الحادثة سببا في فساد العلاقة بين الطرفين، فاصبح ابن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) يبحث عن وسائل دفاعية جديدة لاسيما التي تقربه من مركز قوته وهم مسلمي عدوة المغرب[٢].

و كان التهادي والاستلطاف احد اهم الوسائل السياسية التي اعتمد عليها يوسف الاول ابو الحجاج[٣] (٧٣٣- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٢- ١٣٥٤م) اذ انه كان يبغي عقد السلم والمهادنه بين مملكته غرناطة وبين مملكة قشتالة الامر الذي جعله يراسل ملكها وكتب اليه في طلب ما يبغي اليه ولكسب مودته واستلطافه ولدفعه الى عقد السلم قام ابو الحجاج بإطلاق سراح عددا

---

(١) الفونسو العاشر: لقب بالحكيم وعرفته المصادر الإسلامية بالاذفونش ولد بطليطلة عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م وهو اصغر ابناء فرديناند الثالث، استلم الحكم في مملكة قشتالة ١٢٥٢م وبلغ الاهتمام بالثقافة الإسلامية في عهده ذروته، توفي عام ١٢٨٢م على اثر حرب أهلية اشعلها ابنه سانشو الرابع بعد تمرده على حكم أبيه.

H.Salvador martines, Alfonso the learned: A Biography, Netherland ,2010, (p. 16); Jeffrey Gorsky, Exiles in sephrad: the Jewish millennium in spain, Nebraska, 2015, (p. 78).

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٠١ .

(٣) هو أبو الحجاج يوسف المؤيد بالله بن إسماعيل الغالب باللّه بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ)، ج٤، ص٢٨٠ .

من الفرسان النصارى الذين اسروا في بعض المعارك السابقة مع مملكة غرناطة وارسلهم الى بلاط اشبيلية لذلك استجاب ملك قشتالة لطلبه وعقد السلم بين الطرفين[1].

ثانيا: الموادعة والمسالمة

لم تكن وسيلة الموادعة والمسالمة من محدثات الامور بل انها تعد من اولى الوسائل الدفاعية التي اتخذها رسول الله (ﷺ) عندما كان في مكة، فقد اتصل ببعض بطون العرب منهم كندة وكلب وبني حنيفة وبني عامر بن صعصعة وبني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة والحضارمة وعلى الرغم من ردود الفعل السلبية لتلك القبائل الا ان الغاية اتضحت منها هي مسالمتهم وتحييدهم عن الصراع المحتدم ضد قريش وبذلك أمن عداوتهم[2]، وكان هذا الامر هو المنطلق الذي جعل المسلمين يتخذون من هذه الوسيلة سندا شرعيا بالدفاع عن كياناتهم السياسية فاسهمت في كثير من الاحيان في ابعاد الاخطار عن المدن الاسلامية الاندلسية ومما يميز هذه الوسيلة عن الوسائل الاخرى انها تأتي بنتائجها قبل وقوع الخطر الحقيقي اي قبل اقدام العدو على تسيير جيوشه العسكرية على المدن الاسلامية وتدل هذه الوسيلة على السياسة البارعة والمحنكة لمن سار عليها في مواجهة الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية في ذلك الوقت.

([1]) البشر، محمد عبد الرحمن، مباهج الاندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٧م)، ص٤٩٧ .

([2]) البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله (ت: ٧٦٢هـ)، الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، تح: محمد نظام الدين الفُتَيّح، دار القلم (دمشق، ١٤١٦هـ)، ص١٤٣ .

وتتضح هذه الوسيلة في السياسة التي انتهجتها مملكة سرقسطة في عهد بني تجيب لاسيما في عهد زعيمهم المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) وتقوم هذه الوسيلة على سياسة الموادعة والصداقة بين مملكة سرقسطة وبين الممالك الاسبانية القريبة من حدود مملكة سرقسطة، فارتبط بعلاقات صداقة وثيقة مع امير برشلونه رامون بوريل وكذلك امير نافار سانشو الكبير الذي تسميه المصادر الاسلامية (شانجة) وفرناندو الاول ملك قشتالة والفونسو الخامس ملك ليون، وترسيخا لتلك السياسة اقام المنذر بن يحيى (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) حفلا كبيرا في قصره لعقد المصاهرة بين اميرين من امراء الممالك الاسبانية وهما سانشو ورامون بوريل وحضر ذلك الحفل عدد غفير من الفقهاء والقساوسة[1].

وبتلك الوسيلة استطاع المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) ان يحقق المسالمة مع ملوك النصارى الذين كان ميزان القوى لصالحهم في ذلك الوقت وبذلك كف عداوتهم عن بلاده بل استطاع ان يحملهم على اتباع سياسة الموادعة والسلم مع جيرانهم من ملوك المسلمين وقد ازدهرت في عهده سرقسطة واصبحت تشبه بقرطبة في عصر الجماعة وعند وفاته وقف الناس على حسن سياسته وبعد نظره وحسن تقديره للأخطار وتحجيمها والابتعاد عنها بوسائله الخاصة[2].

([1]) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٧٦-١٧٧؛ دندش، عصمت عبد اللطيف، دراسات أندلسية في السياسة و الإجتماع، دار الغرب الاسلامي (تونس، ٢٠٠٩م)، ص٥٥ .

([2]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٩-١٨٠ .

ثالثا: عقد الصلح والمعاهدات

لـم تكـن هـذه الوسـيلة مـن وحـي وابتكـار اصـحاب الشـأن بالأنـدلس بـل اعتمـدوا فـي الولـوج بهـا علـى مـآثر المسلمين الاوائـل وقـادتهم الـذين علـى رأسـهم الرسـول الكـريم (ﷺ) حيـث نلـتمس جليـا مـدى اهميـة هـذا الجانـب واتخـاذه وسـيلة دفاعيـة الـذي مـن الممكـن ان يـركن اليهـا المسـلمون اذا مـا شـعروا بـالخطر، وهـذا الامـر يتضـح عنـد دراسـة (صـلح الحديبيـة) ومـا جنـاه المسـلمون مـن تحييـد مشـركي قـريش لفتـرة يسـيرة تفـرغ فيهـا المسـلمون للأعـداد والتخطـيط علـى الـرغم مـن وجـود بعـض شـروط الصـلح التـي تنـازل فيهـا رسـول الله (ﷺ) عـن بعـض الامـور السـطحية مـن اجـل اقـرار هـذا الصـلح الـذي عـده بعـض المـؤرخين الخطـوة المقدمـة لفـتح مكـة ويتضـح ذلـك مـن خـلال تنزيـل ايـة تحـدثت عن اهميـة ذلـك الصـلح وعـد فتحـا مبينـا وهـي قولـه تعـالى : ((إِنَّـا فَتَحْنَـا لَـكَ فَتْحًـا مُبِينًـا))[١] فجعـل الله (تبـارك وتعـالى) اقـرار ذلـك الصـلح بمثابـة الفـتح المبـين[٢]، لدولـة الاسـلام الناشـئة علـى الـرغم مـن ان عـددا مـن الصـحابة الكـرام لـم يرضـوا عـن بعـض شـروط تلـك المعاهـدة الا ان ثبـات الرسـول علـى القيـام بتلـك الوسـيلة كـان لـه دورا فـاعلا فـي اقرارهـا ويتضـح ذلـك مـن قولـه: ((...إِنِّـي رَسُـولُ اللهِ، وَلَـنْ يُضَـيِّعَنِي أَبَـدًا))[٣] . لـذلك نـرى المسـلمين اتخـذوا هـذا الامـر وسـيلة ارتكـزت

([١]) سورة الفتح ، الاية: ١ .

([٢]) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان (ت: ٢٠٤هـ)، تفسير الإمام الشافعي، تح:أحمد مصطفى الفرَّان، دار التدمرية (الرياض، ١٤٢٧هـ)، ج٣، ص١٢٦١ .

([٣]) النسـائي، أحمـد بـن شـعيب بـن علـي (ت: ٣٠٣هـ)، سـنن النسـائي، دار الكتـب العلميـة (بيـروت، ١٤١١هـ)، ٤٦٣/٦؛ الطبرانـي، سـليمان بـن أحمـد بـن أيـوب بـن (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية (القاهرة، ١٩٩٤م)، ج٦، ص٩٠.

عليها سياسة الدولة الاسلامية من بعده في مواجهة الاخطار الخارجية والداخلية .

اعتمد المسلمون في الاندلس كثيرا على هذه الوسيلة الدفاعية التي كان لها ابرز الاثر في الحفاظ على المدن الاسلامية وابقائها في حوزة الاسلام لفترة طويلة من الزمن وكانت دائما تجدي نفعا في دفع العدو عن المسلمين في الاندلس ومن ذلك ما اقدم عليه الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) عندما دخل في معاهدة سياسية اساسها ان يقدم الناصر عونا عسكريا لملك ليون سانشو الاول مقابل ان يقوم بتهديم بعض الحصون والثغور النصرانية على الحدود التي كانت من دون ادنى شك تمثل نقط انطلاق للجيوش النصرانية اتجاه المدن الاسلامية الاندلسية، وان يقوموا بتسليم عدد اخر منها الى المسلمين وفي ذلك وسيلة دفاعية مجدية حيث اضعفت القدرات العسكرية للعدو والستراتيجية لجيشه[1].

وكانت هذه الشروط اساسية في المعاهدات التي يعقدها الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) مع العدو النصراني لذلك نجد انه عندما توفي راميرو الذي تسميه المصادر الاسلامية (رذمير) واستلم الحكم من بعده ابن اردونيو عام ٣٣٩هـ/ ٩٦٠م عقد معاهدة معه اشترط فيه الناصر ان يقوم بإصلاح القلاع والحصون الاسلامية الحدودية بين الدولتين وان يهدم عددا من الحصون النصرانية التابعة لهم ، ونرى بهذا الاجراء مدى عمق

---

(1) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٠٠م)، ج١، ص٣٨٤؛ ارسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار كتاب (بلا.ت، ٢٠١٢م)، ص١٩٠ .

التخطيط السياسي والعسكري للناصر حيث جعل استحالة الاقدام على تحركات نصرانية على مدن الثغور التي كانت تعاني بين الحين والاخر من الهجمات النصرانية المتكررة[١].

ولم تكن تلك المعاهدات دائما لصالح المسلمين في شروطها وان كانت في محصلتها النهائية تعود بالفائدة للمسلمين من خلال ابعاد الاخطار عن المدن الاسلامية ببعض الوسائل السياسية ويتضح ذلك الامر مما ورد في المعاهدة و الصلح الذي عقده المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) مع الفونسو ملك قشتالة عندما استولى على مدينة طليطلة الاسلامية وامست مملكة بني عباد هي الهدف التالي بالنسبة لملك قشتالة ونتيجة لتلك الاخطار الوخيمة على مدنه ارسل ابن عباد الى ملك قشتالة وزيره البارع ابن عمار[٢] الذي تمكن من عقد معاهدة صلح بين الطرفين نصت على ان يقوم ملك قشتالة بدعم بني عباد عسكريا ضد اعدائه ومقابل ذلك ان يقوم ابن عباد بدفع مبلغ مالي سنوي لملك قشتالة وان لا يتدخل بنو عباد في العمليات العسكرية التي يشنها القشتاليون في طليطلة واعمالها[٣].

---

(١) البهيجي، إيناس محمد، تاريخ الأندلس، مركز الكتاب الاكاديمي (عمان، ٢٠١٨م)، ص١٨٠ .

(٢) ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار، المهري الأندلسي الشلبي الشاعر المشهور والسياسي الأندلسي المحنك، له باعا طويلا في الوزارة والسفارة عند المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، الا ان طموحه السياسي جعله يستقل بحكم مرسية عام ٤٧١هـ حتى عام ٤٧٤هـ. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧١م)، ج٤، ص٤٢٥.

(٣) البستاني، بطرس، معارك العرب في الاندلس، دار كتاب (بيروت، ٢٠١٣هـ)، ص١١.

اما فيما يخص امارة الجزائر الشرقية لاسيما المرحلة التي جاءت بعد مرحلة التأسيس التي اكملها مجاهد العامري [١](٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) ثم جاء عهد ولده علي بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) الذي اراد ان يبتعد عن محاور الصراع وهذا ما يفسر علاقته الطيبة مع النصارى التي كان يسودها الصفاء والصداقة لاسيما مع قشتالة التي كانت تعد من اكبر القوى النصرانية آنذاك ولكن على الرغم من هذه العلاقات الحسنة الا انها كانت مبنية على مبدأ الاستقلال لا على مبدأ الخضوع ودفع الاتاوات اذ كانت دانية ـ عاصمة علي بن مجاهد ـ بموقعها النائي الحصين بعيدة عن متناول عدوان قشتالة[٢] ،وعلى الرغم من ان والده كان على عداء مستمر مع مملكة برشلونة النصرانية الا ان علي بن مجاهد دخل في علاقات معها لا تختلف كثيرا عن علاقاته بمملكة قشتالة[٣].

([١]) هو مجاهد بن عبد الله العامري أبو الجيوش الموفق بالله مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر حاكم الجزائر الشرقية وعاصمتها جزيرة دانية في عهد ملوك الطوائف. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٤١٤هـ)، ج٥، ص٢٢٧٣ .

([٢]) سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٨٤م)، ص٣٠ .

([٣]) القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر (دمشق، ١٩٨٧م)، ٥/٢٤٧-٢٤٨؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٤١١هـ)، ج٢، ص٢٠٢ .

رابعا: نشر الفرقة في صفوف العدو

كان من بين ابرز الوسائل الدفاعية السياسية هي العمل على بث الفرقة في صفوف العدو المتربص بالمسلمين وبما في ذلك الفرقة السياسية بين اولاد ملوك الممالك النصرانية العدو اللدود للتواجد الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية، وقد كان المسلمون يستخدمون تلك الوسيلة عندما يكون لهم ثقل في ميزان القوى عندها يكونون اطرافا في الصراع السياسي الدائر في تلك البقاع مما يؤخر كثيرا مشروع الممالك الاسبانية على المدن الاسلامية في الاندلس، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) رائدا لهذه الوسيلة لاسيما عندما طلب منه سانشو الاول ملك ليون المساعدة العسكرية ضد ابن عمه اردونيو الرابع، ولبى الناصر هذا الطلب بل وزاد من صراعهم عندما ارسل لسانشو المدد العسكري بالجند والمال مما ادى الى هزيمة منافسه الى مدينة برغش ولم يكتف الناصر بالتفرقة التي حدثت بين الطرفين والفائدة التي تعد للمسلمين في ذلك بل واشترط على سانشو ان يقوم بهدم الكثير من الحصون والقلاع والابراج التي كانت تعد خط الدفاع الاول ونقطة انطلاق الجيوش النصرانية ضد المدن والتحصينات الاسلامية في مدن الثغور[1] .

اما في عهد ملوك الطوائف التي كان الطابع الغالب على حال المسلمين بها هو الضعف السياسي والعسكري فقد استخدموا تلك الوسيلة في مرات قليلة ضد الممالك النصرانية لأنها كانت تحتاج الى بناء سياسي وجسور دبلوماسية بين الامارة الاسلامية وبعض الاطراف النصرانية التي يكون فيها المسلمون اصحاب الاقدام الثقيلة وهذا ماقل وندر في ذلك الوقت

([1]) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٤ ؛ البهجي، تاريخ الاندلس، ص١٨١.

ومن ذلك ما قام به بنو هود في زمن حكمهم لسرقسطة حيث استغلوا تدهور العلاقات بين الممالك الاسبانية لاسيما بين اراغون وقشتالة فعندما هاجم راميرو الاول حاكم ارغون اراضي سرقسطة استعان زعيمها المقتدر[1] (٤٣٨- ٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م) بفرناندو ملك قشتالة الذي وقف معه في محنته مما جعل ذلك السبب الرئيس في دفع جيش راميرو وهزيمته بل وقتله[2].

وعندما لامس بنو هود النتائج الايجابية لهذه الوسيلة اعتمدوا عليها مرة اخرى الا ان المقتدر(٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) اراد شق الصف القشتالي فلم تكن هذه الوسيلة بين طرفين او بين امارتين اسبانيتين بل استهدفت القشتاليين فقط فعندما شعر المقتدر بالانزعاج نتيجة دفع الاتاوة للقشتاليين التي كان يؤديها اليهم استعان بأحد الضباط القشتاليين الذي ساءت علاقته مع مليكه الفونسو السادس واقصاه عن بلاده، فاستقبله المقتدر واولاه رعايته وبما لا يقبل الشك انه كان يبغي من ذلك ايجاد نقاط الضعف بالقوة لقشتالة وبالتالي الوقوف على انجع الوسائل الدفاعية الممكنة للوقوف بوجهها ومن ثم دفعها عما تبغي اليه[3].

---

(١) المقتدر بالله أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود حاكم طائفة سرقسطة في عهد ملوك الطوائف ثاني حكام بني هود في سرقسطة. ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٦، ص٤٥١ .

(٢) الطرطوشي، ابو بكر محمد بن وليد الفهري (ت: ٥٢٠هـ)، سراج الملوك، تح: محمد فتحي ابو بكر، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٦٩٩-٧٠٠؛ محمد، عبد العظيم رجب، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري (القاهرة، بلا.ت)، ص٣٤٠ - ٣٤١.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٨١.

وعلى الرغم من اهمية هذه الوسيلة الا اننا نجدها قليلة بالنسبة لبقية الوسائل الدفاعية بسبب الضعف السياسي والعسكري لملوك الطوائف الامر الذي اضطرهم لمحالفة الممالك الاسبانية علاوة على شق صفوفهم الا ان هذه الوسيلة نلتمسها جليا في الوسائل الدفاعية الموحدية عن المدن الاندلسية لاسيما في عهد ابي يعقوب الموحدي[١] (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م) الذي عقد الصلح مع ملك قشتالة فرناندو ردريجيس وكان هدفه من هذا الصلح هو اضعاف الجبهة الداخلية للممالك الاسبانية ويتضح ذلك من انه عاهد ابا يعقوب ان يكون حليفا للمسلمين وانه لن يشن عليهم عدوانا قط ، الامر الذي جعل ابا يعقوب متفرغا للتصدي للعدو البرتغالي الذي زادت اخطاره العسكرية على المدن الاسلامية من جهة الشرق[٢]، ومن ثمار هذا التحالف انهم امدوا ابا يعقوب بعسكر لمعاونته على قتال الكونت (نونيو دي لارا) حاكم طليطلة وبهذه الوسيلة استطاع شق الصف الذي كان موحدا في تقدمه باتجاه المدن الاسلامية الاندلسية[٣].

و تكررت هذه الوسيلة مرة اخرى في العصر الموحدي في عهد الخليفة المنصور[٤](٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) الذي يعد من اقسى

---

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ثاني خلفاء الدولة الموحدية حكم المغرب الأقصى والأندلس مابين عامي (٥٥٨- ٥٨٠هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص١٣٠- ١٣٦ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٧٩-١٨٠ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٧٩-١٨٠.

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب المنصور بالله ثالث خلفاء الموحدين في المغرب الاندلس حكم ما بين (٥٨٠-٥٩٥هـ). الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلام (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج١٢، ص١٠٥١.

العصور على القشتاليين وخلال غزوته عليهم راسله ملك ليون (الفونسو التاسع) يرجوه ان يعاونه ببعض قواته لغزو قشتالة ، ولم يتأخر المنصور في الاستجابة لملك ليون لكي يضمن تعميق الشرخ والخلاف بين المملكتين العدوتين فضلا عن انه سيعزل ليون عن مصدر قوتها وهو العمق النصراني القشتالي وبذلك يسهل على المنصور تمزيق الوحدة التي جمعت الممالك الاسبانية في هجومها على المدن الاسلامية لفترات طويلة، الامر الذي يعكس القوة السياسية والعسكرية التي وصل اليه الموحدون في صراعهم مع الممالك الاسبانية(١)

وترسيخا للخلاف بين المملكتين الاسبانيتين ليون وقشتالة استجاب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) للوفد القشتالي الذي كان حاملا عرضا للصلح بين الدولتين وكان هذا الصلح قد عقد ((على حكم شريعة الاسلام)) كما يصفه صاحب البيان المغرب اي انه مما لا شك فيه كان لصالح المسلمين فضلا عن انه حمل الذل والصغار لأعداء الاسلام، وبالمقابل لم يجدد المنصور الصلح مع مملكة ليون الامر الذي زاد العداء والخلاف بين المملكتين الامر الذي سيبعد خطرهما ولو لفترة من الزمن(٢) .

ولم يبتعد بنو الاحمر كثيرا عن الموحدين في تعاملهم مع الاخطار التي تشكلها الممالك النصرانية ضد وجود مملكتهم في جنوب الاندلس فقد كانت مملكة قشتالة تمثل عصب القوة النصرانية في ذلك الوقت التي ساءت علاقتها مع مملكة اراجون التي لاتقل خطرا عن سابقتها بالنسبة للمدن

---

(١) عبيدات، داود عمر سلامة، الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس ما بين سنتي (٥٤١/٦٦٧ هـ -١١٤٦ ١٢٦٨ م)، دار الكتاب الثقافي (اربد، بلا.ت)، ص١١٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٩٩ .

الاسلامية وترسيخا لهذا الخلاف عقد محمد بن الاحمر الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) معاهدة صلح وتحالف مع ملك اراجون خايمي الثاني[١] والموجه بالضد من مملكة قشتالة وقد كانت هذه المعاهدة تحت عنوان (صلح ثابت وصحبة صادقة) فضلا عن انها حملت شروطا اوجبت على ان تكون ارجون معادية لأعداء غرناطة، وان يقوم محمد الفقيه بمعاونة ارجون في حربها ضد قشتالة[٢]. ومما جاء في هذه المعاهدة:

((نكون لكم صاحبا وفيا ويكون بيننا وبينكم صلح ثابت، وصحبة صادقة، ويكون فيها اصحابكم اصحابنا ، واعداؤكم - أهل قشتالة - اعداءنا... وان اتفق ان صدر لاحد او الموضع من ناسكم وبلادكم ضرر من احد ممن يرجع إلى حكمنا، فنحن ننصف منه بالحق الواجب، على ان تكونوا انتم لنا كذلك صاحبا وفيا كما ذكرتم في كتابكم وتلتزموا لنا صحبة صادقة، وصلحا ثابتا، وتصاحبوا كل صاحب لنا وتعادوا كل عدو لنا من المسلمين او من أهل قشتالة... وكل موضع يرجع لكم انتم من رئاسة قشتالة فلا اعتراض لنا نحن فيه فان اتفق ان ترجع هذه المواضع او احد منها ... وان تقفوا معنا في تكميل الشروط التي بيننا وبينهما، بشهادتكم عليها،

---

(١) خايمي الثاني: او دون جايم يلقب بالعادل واسمه بالاسبانية (Jaime el Justo) ولد في بلنسية عام ١٢٦٧م استلم حكم مملكة أراغون بعد وفاة والده عام ١٢٩١م حتى وفاته عام ١٣٢٧م.

José Hinojosa Montalvo, Jaime II y el esplendor de la Corona de Aragón, Editorial al nerea, 2006, (p. 149); Yom Tov Assis, Twish Economy in the Medieval crown of Aragon: mony and power, Brill, 1997, (p. 128).

(٢) جميل، قتيبة محمود، الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية لسلاطين غرناطة من ٦٣٥-٧٣٣هـ/ ١٢٣٧-١٣٣٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء، ٢٠١٥م، ص٨٥.

وضمانكم في ردها الينا في الحين والوقت من غير تطويل لا مطلب)) [1] ومن خلال هذا النص نستطيع ان نقف على الوسائل الدفاعية التي اشرنا اليها سابقا والتي هدفت الى شق الصف بين ارغون وقشتالة.

وعمل الغني بالله[2] (٧٥٥ – ٧٩٣ هـ/ ١٣٥٤– ١٣٩٠م) سابع سلاطين بني الاحمر على شق الصف القشتالي واذكاء الصراع الداخلي الذي حصل من خلال الدعم غير مرة للملك القشتالي المخلوع بيدرو على منافسيه في صراعهم حول الحصول على العرش القشتالي الامر الذي ابعد المدن الاسلامية لفترة ليست قليلة من الزمن عن الاخطار التي كانت محدقة بها وغلب التهادن بين غرناطة ومملكة قشتالة[3] .

خامسا: البيعة واعلان الطاعة

تعد البيعة واعلان الطاعة احد اهم الركائز التي يرتكز عليها النظام الاسلامي السياسي وقد وقف العلماء على المعنى اللغوي للبيعة فقال ابن الاثير: إن

---

(1) مجموعة رسائل سلطانية تعود الى سلطنة غرناطة نشرها شكيب ارسلان في كتابه (الحلل السندسية) والتي حصل عليها من مجموعة وثائق تقدمت هدية من بعض الهيئات الرسمية ببرشلونة عام ١٩٢٩م الى عبد السلام بنونة الذي اهداها اخاه محمد العربي بنونة له عند علمه باشتغال شكيب ارسلان بهذا الكتاب. أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة (بيروت، بلا.ت)، ج٢، ص٢٨٥– ٢٨٩.

(2) هو محمد بن يوسف أبو الحجاج بن إسماعيل بن فرج بن نصر سابع ملوك دولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس، استلم الحكم عام ٧٥٥هـ بعد وفاة والده وعزل عنه نتيجة ثورة اقامها اخوه عام ٧٦١هـ، ثم عاد الى حكم غرناطة عام ٧٦٣هـ حتى وفاته عام ٧٩٣هـ.= =الزركلي، خير الدين محمود، الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٥(بيروت، ٢٠٠٢م)، ج٧، ص١٥٣ .

(3) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣ ، ١٤؛ السامرائي، اسامة عبد الحميد حسين، تاريخ الوزارة في الاندلس ١٣٨– ٨٩٧هـ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٢م)، ص٣١١.

البيعة عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، ((كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره))[1] ، وقال الراغب الأصفهاني: ((وبايع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له، ويقال لذلك بيعة ومبايعة))[2].

اما في الاصطلاح فعرفت البيعة على انها اختيار أهل الحل والعقد رجلاً ليتولى أمر الأمة لجلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار عنها، وقمع الفتن وإقامة الحدود ونشر العدل بينهم وردع الظالم ونصر المظلوم[3] ، وبايع الصحابة رسول الإسلام نساءً ورجالاً بيعات مختلفة غير مكررة، كبيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان، ثم توالت بيعات الأفراد والجماعات والقبائل المعتنقة للإسلام وجل هذه البيعات كانت مرة واحدة في العمر فقال الله (عز وجل) في ذلك: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيم))[4]، وقد طبقت البيعة بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، حيث تمت البيعة لأبي بكر الصديق من قبل الصحابة[5]، وأما

---

(1) مجد الدين بن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت، ١٣٩٩هـ)، ج١، ص١٧٤.

(2) أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم (دمشق، ١٤١٢هـ)، ص١٥٥ .

(3) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: ٤٧٨هـ)، الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، تح: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢ (بلا.مكان، ١٤٠١هـ)، ص٧١-٧٥؛ العبدالي، ابن مقصد، من روائع الرسائل السياسية، دار الروائع (بيروت، ٢٠١٧م)، ص١٤٨ .

(4) سورة الفتح، الاية:١٠ .

(5) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط٢ (بيروت، ١٣٨٧هـ)، ج٣، ص٢١٨ .

عمر فكان قد رشحه أبوبكر وتمت له البيعة بعد ذلك[١]، ولعثمان[٢]، ثم للإمام علي[٣] ثم للحسن[٤] (رضي الله عنهم اجمعين).

واصبحت بذلك البيعة هي الوسيلة التي يعلن بها صاحب البيعة ولاءه السياسي الى هذه الجهة او تلك فعندما يكون العدو مسلما تكون البيعة احد اهم معالم الرضوخ والموادعة وبذلك تبتعد المطامع والمنافسة لأنها اعتراف بالأفضلية والاحقية بالحكم.

وعلى الرغم من ان هذه الوسيلة كان لها دورا كبيرا في الحفاظ على الكثير من المدن الاسلامية الاندلسية الا ان هذه الوسيلة لم تستخدم الا قليلا مع خطر الممالك النصرانية بينما استخدمت كثيرا في صراعات المسلمين فيما بينهم وذلك لان الدين الاسلامي يحرم اعلان التبعية لغير المسلمين لما فيه من تولية لغير المسلمين وذلك خلافا للنصوص الشرعية الثابتة ومن ذلك قوله تعالى: ((وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[٥] وعلى الرغم من ذلك التحريم الا ان بعض قادة المسلمين في الاندلس قرروا في بعض الاحيان اعلان طاعتهم لبعض قادة الممالك النصرانية لاسيما عندما لم يجدوا وسيلة دفاعية تدفع خطر هذا العدو لذلك ومن باب درء المفاسد العظمى لجؤوا الى هذه الوسيلة.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٢٧ .

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٧ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٥٨ .

(٥) سورة المائدة ، الاية :٥١.

فعندما تغلب محمد بن هاشم المهدي (٣٩٩- ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٨- ١٠٠٩م) على عبد الرحمن المنصور[١] اخر زعماء الدولة العامرية نرى ان الفتى واضح العامري صاحب مدينة سالم[٢] والثغر الاوسط اقدم على ارسال رسالة الى المهدي يعلن فيها طاعته له ويبدي بها ابتهاجا بمصرع عبد الرحمن المنصور بعدما رأى ما حل بالمدن الاسلامية من دمار نتيجة ذلك الصراع فضلا عن موقعه الجغرافي الخطير الذي يجعله في خطر دائم مواجها للمالك النصرانية التي كانت تذكي ذلك الصراع بل وتمده عسكريا ، فرد عليه المهدي بالشكر وأكرمه بان بعث اليه اموالا وهدايا ومرسوما اسند به ولاية الثغر كله اليه، وهنا نرى نجاعة هذه الوسيلة بان أبعد عنها خطر التدمير الذي يرافق هكذا معارك[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد (أبي عامر) المنصور ابن أبي عامر المعافري، أبو المطرّف، ويلقب بشنجول: حاجب الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة، وآخر العامريين. ولي الحجابة بعد وفاة أخيه المظفر (عبد الملك) سنة ٣٩٩هـ وتلقب بالناصر ثم بالمأمون، وصار يدعى (الحاجب الأعلى، المأمون ناصر الدولة). الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٣٢٥ .

(٢) وهي من المدن الاندلسية المهمة بينها وبين وادي الحجارة خمسون ميلا . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٧٢/٣؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ) ، صفة جزيرة الاندلس، دار الجيل (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص١٩٣.

(٣) الدواداري ،أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: ٧٣٦هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: جونهيلد جراف، اريكا جلاسِن، مطبعة عيسى البابي الحلبي (مصر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م)، ج٤، ص٤٩١؛ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٤١٧هـ)، ج١، ص٤٣-٤٥؛ القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة (المغرب، ١٩٨١م)، ج٧، ص١٧٣ ؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت: ٧٩٢هـ)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥ (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٨٦.

وعندما اعلن ابو محمد هذيل[1] (٤٠٣ – ٤٣٦هـ/ ١٠١٢– ١٠٤٤م) استقلاله عن حكومة قرطبة عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م واصبح بذلك ندا لها فأمسى هدفا لابد من القضاء عليه فاعلن البيعة والطاعة الى الخليفة سليمان المستعين (٤٠٣–٤٠٧هـ/ ١٠١٢– ١٠١٦م) كوسيلة دفاعية سياسية تضفي على حكمه الشرعية وكذلك تجعله اقوى بالإمداد العسكري من قبل الخليفة فيما اذا اقدمت حكومة قرطبة على التحرش بشنتمرية[2] واعمالها الخاضعة الى سلطانه[3]، وعلى الرغم من ذلك ان هذيل تعرض الى هجوم من قبل صاحب الثغر الاعلى المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢– ١٠٢٣م) واراد بذلك ان يخضعه الى سلطانه الا ان هذيل وقف بوجهه بحزم واحتاج بذلك الى سند اقوى من المستعين بوسيلة سياسية محنكة فاعترف بدعوة هشام المؤيد (٣٦٦–٣٩٩هـ/ ٩٧٦–١٠٠٩م) وقطع الدعوة الى سليمان وكانت الغاية من ذلك ان يتمكن من الاستفادة من قوة الموالي العامريين الخاضعين الى دعوة هشام المخلوع[4].

وكانت هذه الوسيلة السياسية طريقا في تجنيب المدن الاسلامية الكثير من الاخطار لاسيما في عهد ملوك الطوائف فقد اعتمدها بنو ذنون حكام طليطلة في

---

(1) هذيل بن عبد الملك بن خلف بن لب بن رزين، أبو محمد، مؤسس دولة آل رزين في الأندلس. الاعلام، الزركلي، ج٨، ص٧٩.

(2) شنتمرية هي مدينة في الأندلس ومن حصونها المهمة على البحر الاعظم بها موانئ كبيرة. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١١٤ .

(3) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص١٠٩؛ عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٥٤.

(4) ابن الابار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٥م) ، ص١٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨١–١٨٣؛ بوباية، عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري ، دار الكتب العلميلة (بيروت، ٢٠١١م)، ص٤٧٧.

صراعهم مع بني هود فقد حاول التقرب من المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) من خلال اعترافه بالدعوة الهاشمية التي كان المعتضد يتبناها فأخذت من المأمون البيعة لهشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) في طليطلة ودعي له على منابرها وبذلك امن المأمون جانب بني عباد للتفرغ بالدفاع عن حدوده المتوترة مع بني هود(١).

وتكررت هذه الوسيلة في الصراع بين المرابطين والموحدين فنتيجة للضغط الطبيعي الذي ولده الموحدون في توسعهم باتجاه المدن الاسلامية الاندلسية والتي من بينها مدينة شريش(٢) التي كان يحكمها ابو الغمر بن عزون وهو من بني غانية فعندما رأى عدم فائدة اي من الوسائل الدفاعية الممكنة قرر الدخول في طاعة الخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) ولذلك اطلق الموحدون على اهل مدينة شريش بالسابقين الاولين(٣).

وكان لهذه الوسيلة دور ايجابي في الحفاظ على مدينة مرسية التي هاجمها ملك قشتالة فعندما رأى زعيمها الواثق بالله(٤) اشتداد ساعد ابن الاحمر في غرناطة اعلن الواثق طاعته لابن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) مدينة كبيرة من كورة شذونة وهي قاعدة هذه الكورة وسميت ايضا شرش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٠ .

(٣) ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت:٧٢٦هـ)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور (الرباط، ١٩٧٢م)، ص١٨٨ .

(٤) هو ابو بكر محمد بن محمد بن يوسف بن هود . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ) ، العبر والمبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٤، ص٢١٥ .

١٢٣٧-١٢٧٢م) الذي تمكن من فك الحصار عن المدينة واصبحت تابعة اليه[1].

اما في عهد بني الاحمر ملوك مملكة غرناطة فقد كان محمد الاول (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) رائدا في هذه الوسيلة الدفاعية فقد اتخذ من اعلان تبعيته وبيعته مسارا لتقوية اواصره وعلاقاته السياسية حيث كان غير ثابت في اعلان طاعته عدد من الزعماء والملوك المسلمين وكان تقلبه في اعلانه هذا بسبب ترجيحه فيمن سيكون له القدرة على ان يلبي طموحه الدفاعي او من سيجد فيه المقدرة في دعمه في معركته الحاسمة مع جيوش مملكة قشتالة، ففي بداية عهده اعلن طاعته للخليفة الموحدي الرشيد عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م ، وعندما راى افول نجم دولة الموحدين اتجه ببيعته للامير ابي زكريا الحفصي[2] (٦٢٦-٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م) الذي بعث اليه قدرا كبيرا من المال بهدف المعاونة على قتال النصارى[3]، ثم انتقل ببيعته للمستنصر بالله الحفصي (٦٤٧-٦٧٥هـ/ ١٢٤٩- ١٢٧٦م) صاحب تونس عام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م الذي بعث اليه اموالا وهدية لتقويته على الجهاد ومقاومة المتربصين بمملكة غرناطة[4].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤٣٨ .

(2) هو ابو زكريا يحيى بن حفص مؤسس الدولة الحفصية، واول ملوكها والذي اتخذ من تونس عاصمة له وذلك بعد خروجه من بيعة ابي العلاء ادريس خليفة الموحدين بعد ان تبرأ الخليفة من الدعوة المهدوية، توفي عام ٦٤٧هـ. ابن الشماع، محمد بن احمد (ت: ٨٦١هـ)، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب (بيروت، ١٩٨٤م)، ص١٧٦ .

(3) ابن ابي زرع، علي بن ابي زرع الفاسي (ت: ٧٢٦هـ)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور (الرباط، ١٩٧٢م)، ص١١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٥٦.

(4) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية، ص١٢٥ .

سادسا: محاولات جمع شمل المسلمين

تعد الوحدة بين المسلمين من اهم الوسائل الضامنة والمحققة لانتصار المسلمين بل هي السبب المباشر لرد عادية اعدائهم الذين مابرحوا يبحثون بجد واجتهاد عن اي سبب من الممكن ان يعكر صفو وحدة المسلمين لذلك نلمس جليا ان الفترات المظلمة في التاريخ الاسلامي التي كانت فيها الدولة الاسلامية راضخة للاحتلال كانت يشوبها الانقسام والتناحر بين المسلمين لذلك دائما ما نجد ان الساعي الى نصرة الاسلام ورفع الحيف عن المسلمين يبحث عن وحدة المسلمين وجمع شملهم وتاكيدا لهذه الوسيلة قال الله (تبارك وتعالى): ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواَ﴾[1]، واصبحت الاخوة بين المسلمين من اعظم اصول الاسلام وامتن قواعده تأكيدا من ربنا (جل في علاه) بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] ، وقول رسوله الكريم محمد (ﷺ): ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[3].

وبذلك عدت هذه الوسيلة السياسية من اهم الوسائل الدفاعية الاسلامية ليس للأندلس فحسب بل لجميع المسلمين اينما حلوا ومتى تواجدوا ومتى ما داهمهم خطر العدو الصائل والمتربص وهذه الوسيلة هي السر الذي انتصر به المسلمون على جميع الاخطار التي تحيطهم، ولذلك اعتمد عليها المسلمون في الاندلس وبخاصة في الاوقات التي دب فيها الخلاف وانقسم فيها المسلمون على انفسهم وتتضح هذه الوسيلة في كثير من المواقف منها:

([1]) سورة ال عمران، جزء من الاية:١٠٣

([2]) سورة الحجرات، الاية: ١٠

([3]) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت: ٣٦٠هـ)، الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، تح: محمد شكور محمود، دار عمار (بيروت، ١٤٠٥هـ)، ج١، ص٢٣٥.

لما هاجم سليمان بن الحكم[١] (٤٠٣-٤٠٧هـ/ ١٠١٢- ١٠١٦م) ومن معه من البربر مدينة قرطبة وحصارهم لهشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) داخلها ارسل اليه اصحاب الثغور كتبا اعتذروا فيها منه لعدم استطاعتهم انجاده والذود عنه ونصحوه بالتصالح مع البربر لتفويت الفرصة على ملك قشتالة الذي يتربص بمدن الثغور شرا لذلك قام هشام المؤيد بإرسال الرسل لزاوي بن زيري زعيم البربر وسليمان بن الحكم لإخماد الفتنة وفعلا خمدت الفتنة لفترة من الزمن[٢].

من الملاحظ ان هذه الوسيلة اقل وسيلة استخداما على الرغم من الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية الاندلسية من قبل الممالك الاسبانية في عهد ملوك الطوائف وذلك بسبب القصور السياسي والديني لدى هؤلاء الامراء الامر الذي جعلهم في تناحر واختلاف مستمر بعيدين كل البعد عن توحيد الصفوف، لذلك كان على المرابطين انهاء هذه الحالة السياسية وبناء عهد جديد قائم على وحدة الصف.

فبدأ الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) عهده باتخاذ لقب امير المسلمين الذي يدل على انه في وضع ارفع شئنا ومنزلة من ملوك الطوائف، الامر الذي سيجعل على عاتقه مسؤولية توحيد الصفوف والقضاء على الفتنة المستشرية في جسد الاندلس المسلمة[٣].

ومما يدل على ان المقصد من اتخاذ لقب امير المسلمين هو لتوحيد الصفوف والابتعاد عن التشرذم بل والسعي للقضاء على الحالة السائدة في الاندلس هو رفضه لاتخاذ لقب امير المؤمنين الذي كان لقبا خاصا

---

(١) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٢٢٧ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب ، ج٣، ص ١٠٨-١١١ .

(٣) ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٣٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص١١٢.

ومحصـورا بالخليفـة العباسـي حيـث عـد نفسـه تابعـا للخلافـة العباسـية وبهـذا الامـر نلاحـظ الاهتمـام الشـديد فـي الابتعـاد عـن اي طريـق مـن الممكـن ان يكـون طريقـا للفتنـه والانشـقاق فـي جسـد الدولـة الاسـلامية فـي الانـدلس ومـن ثـم التفرغ للدفاع عن المدن الاسلامية المهددة بجيوش الممالك الاسبانية.

لـم يكـن طريـق توحيـد الصـف بالنسبة للأميـر يوسـف بـن تاشـفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) سهلا بل كان صعبا اعتمد فيه على الشدة والحسم في القضاء على امراء الطوائف والخوارج على حكمه وفي ذلك قال ابن الخطيب: ((أكثر عقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه الاعتقال الطويل، والقيد الثّقيل، والضرب المبرّح، إلّا من انتزى أو شقّ العصا، فالسيف أحسم لانتثار الداء))[1] .

وكان لهذه الوسيلة مكان في سياسة كلا من ابن هود الجذامي ومحمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) فبعد ان ارهقهما الصراع والاقتتال ايقنا انه بمثانة الانتحار والذي كان المستفيد الاول والاخير منها هو ملك مملكة قشتالة المتربص بالمدن الاسلامية السوء فعقد الصلح بين الطرفين عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م على ان يعترف ابن الاحمر بطاعة ابن هود على ان يوليه ولاية جيان وارجونة[2].

وكـان لهـذه الوسيلة اثـر بـالغ بعـد عـام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م اي فـي عهـد ملـك غرناطة ابو الحسن الغالب بالله (٨٦٩- ٨٨٧هـ/ ١٤٦٤-١٤٨٢م) عندما ثار عليه اخوه ابو عبد الله محمد بن سعد الزغل في مالقة بدعم من قشتالة وبذلك انقسمت المملكة الى قسمين متخاصمين، وعندما رأى الطرفان خطورة الموقف لاسيما مع الخطر الداهم من قبل النصارى والعواقب الوخيمة التي يمكن ان تترتب على الحرب

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٣ .

(2) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٧٠.

الاهلية فجنح الفريقان الى الصلح والتهادن على ان يكون على مالقة الزغل وعلى غرناطة ابو الحسن[١].

سابعا: بيع الحصون والقلاع للعدو

اعتمد بعض من زعماء وقادة المدن والامارات الاسلامية في الاندلس على وسيلة دفاعية كانت قد اسهمت في عدم تدمير المدن ودخول الاعداء اليها بالامان بل كان الدخول اليها صلحا مما يجنب المدينة من ويلات الاقتحام العسكري وما يرافق ذلك من دمار كبير، وان تلك الوسيلة كانت في الاعم الغالب تستخدم ضد المسلمين لاسيما في حقبة النزاع والاقتتال والتوسع الذي حصل بين دويلات الطوائف.

وان اول وسيلة من هذا النوع حدثت مع مملكة اشبيلية وحكامها بنو عباد عندما اعتمد المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) على التوسع من اجل ابعاد الخطر عن حدود مملكته وبالتالي تحصينها فعندما ضغط على مدينة ولبه[٢] واخذ يضيق على حاكمها ابو زيد عبد العزيز البكري (٤٠٣-٤٤٣ هـ/ ١٠١٢- ١٠٥١م) بالغارات المستمرة مما ادى الى اضطراره ان يعقد صلحا معه

---

(١) ابو حامد الفاسي، محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت: ٩٨٨هـ)، مراة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن، طبعة حجرية (فاس، ١٣٢٤هـ) ، ص١٤٢ ؛ عطيات، أحمد محمد، =الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، دار امواج (عمان، ٢٠١٢م)، ص٩٠؛ المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، ط٢ (بيروت، ١٩٨٢م)، ص٢٤٧.

(٢) مدينة صغيرة تقع على البحر المحيط غربي مدينة اشبيلية . البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط٣ (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص١٦؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، ١٤٠٩هـ)، ج٢، ص٥٤١.

ينص على اعطائه ثغر ولبه وتكون له جزيرة شلطيش[١]، الا ان ابن عباد لم يكتف بذلك بل عمل على تضيق الخناق عليه مما جعله يضطر الى بيع الجزيرة لابن عباد مقابل عشرة الاف دينار وغادر الجزيرة الى قرطبة[٢].

ثامنا: التنازل عن المدن والحصون

على الرغم من ان مفهوم التنازل يعطي انطباعا اوليا الى معنى التخاذل والانجرار الى رغبات العدو الا انه اعتمد في كثير من الاحيان كوسيلة دفاعية مهمة في تجنب احتلال المدن المهمة من خلال جعل العدو ينشغل بتلك المدينة الصغيرة ، وهذه الوسيلة اعتمد عليها بعض القادة المسلمين في الاندلس لدفع المنافس المسلم في الصراعات الداخلية او من الممالك النصرانية، ولم تكن هذه الوسيلة تستخدم للحفاظ على الارض فقط بل في بعض الاحيان قرر المسلمون التنازل عن المدينة بعد ان عجزوا عن الدفاع عنها وتأكدوا من عقم الوسائل الدفاعية الاخرى الامر الذي جعلهم يرضخون للتنازل من اجل الحفاظ على ارواحهم واعراضهم واموالهم والانتقال الى مدينة اسلامية اخرى.

وتتضح هذه الوسيلة جليا في عهد ملوك الطوائف التي تنازل بعض امراء الدويلات والامارات الاسلامية عن مدنهم لمن هو اقوى لاسيما في عهد مملكة اشبيلية وحكامها بني عباد الذين اعتمدوا على وسيلة الضغط العسكري للتوسع على

---

(١) وهي جزيرة صغيرة على مصبّ الوادي الكبير بالقرب من إشبيلية. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص٨٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٩ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص٢٣٤-٢٣٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج٢، ص١٨١-١٨٢ .

حساب الممالك الاسلامية الاخرى ومنها امارة شنتمرية[١] وصاحبها المعتصم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن هارون (٤٣٣ – ٤٤٣هـ/ ١٠٤١– ١٠٥١م) التي ضايقها كثيرا المعتضد بن عباد (٤٣٣ –٤٦١هـ/ ١٠٤١– ١٠٦٨م) سنة ٤٤٣هـ/٩٥٥م وعندما احس صاحبها بانه لا قبل له بابن عباد قرر التنازل له عن ثغره لصالح اشبيلية لانه كان في ثغر يجابه به القوى النصرانية[٢].

ولم تكن امارة شلب[٣] افضل حالا من امارة شنتمرية فقد زحف عليها المعتضد بن عباد (٤٣٣ –٤٦١هـ/ ١٠٤١– ١٠٦٨م) واضطر صاحبها محمد بن عيسى الملقب بـ (عميد الدولة) (٤٣٢ – ٤٤٠هـ/ ١٠٤١– ١٠٤٨م) الى التنازل عن مدينة باجة[٤] من اجل الحفظ على عاصمة ملكه وهي مدينة شلب وفعلا تم ذلك الامر وسلمت المدينة من ويلات الحرب والصراع العسكري[٥]

وعندما شاهد زعماء ملوك الطوائف النتائج الايجابية التي تأتي بها هذه الوسيلة لاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان ابن عباد كان يكرم غاية الاكرام من

---

(١) مدينة في الأندلس من مدن اكشونبة. وهي أول الحصون لبنبلونة و أتقنها بنياناً واقواها سموكاً، مبتناة على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال منه. الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، دار السراج، ط٢ (بيروت،١٩٨٠م)، ص٣٤٧ .

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٨.

(٣) مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجدّ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٧ .

(٤) وهي من اقدم المدن الاندلسية بينها وبين قرطبة مائة فرسخ . الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٣٦ .

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١١٦.

يسلمه مدينته طواعية بينما يستبيح من يذهب الى خيار القتال وهذا ما كان يجعل بعض زعماء الطوائف يفضلون الحل السياسي السلمي لإبعاد مدنهم خطر الاقتحام والقتل وهذا الامر الذي دفع مناد بن محمد بن نوح عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م زعيم مدينة مورور[١] الى التنازل عن حكمه لصالح المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) بعد الحصار الذي اطبقه الاخير على المدينة فقرر ابن نوح التنازل والانتقال الى اشبيلية التي اكرمه بها ابن عباد غاية الاكرام[٢].

اما صاحب مدينة قرمونة عزيز بن محمد بن عبد الله بن برزال (٤٤٢ - ٤٥٩هـ/ ١٠٥٠- ١٠٦٦م) فكانت وسيلته الدفاعية عن مدينته مطابقة لسابقيه فبعد حصار ابن عباد له قرر التنازل عنها والذهاب الى اشبيلية مع امواله واهله وبذلك سلمت المدينة واهلها من خطر الاقتحام العسكري[٣].

ولم يكن عبد الملك بن سابور صاحب مدينة اشبونه بعيدا عن هذه الوسيلة الدفاعية فعندما هاجمه جيش عبد الله بن الافطس بقيادة ولده محمد وحاصره في مدينته اذعن عبد الملك الى تسليم المدينة حفاظا عليها من العبث والدمار واعطاه ابن الافطس الامان فغادر المدينة الى قرطبة مع اهله وامواله[٤] .

---

(١) وهي من الكور المتصلة بأحواز قرمونة من شبه جزيرة الأندلس، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب. الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٤ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٩٦ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣١٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٧؛ التميمي ،أزهر صادق كاظم مهدي، بنو الأفطس في بطليوس التاريخ السياسي و الحضاري ، دار المنهل (ابو ظبي، ٢٠١٥م)، ص٣٥.

واعتمد بنو زيان على هذه الوسيلة عندما احسوا بالخطر من بني عباد الذين ارهقوهم بحملاتهم العسكرية التي هددت قاعدة ملكهم مدينة اركش[١] لذلك قام اول زعماء بني خزرون القائم محمد بن خزرون[٢] (٤٤٦-٤٦٠هـ/ ١٠٥٤- ١٠٦٧م) بالتنازل عنها الى باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) على ان يعطيهم بدلا عنها مكانا ينزلون به في غرناطة فوافق باديس على شروطهم وتسلم منهم مدينة اركش[٣].

ومما ميز وسيلة بني زيان ان تنازلهم عن مدينتهم لم يكن لعدوهم المباشر الذي هددهم المتمثل ببني عباد بل كان تنازلهم لحليفهم السياسي والاستراتيجي في صراعهم مع بني عباد وهو باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) وعلى الرغم من الحس السياسي الذي يلتمسه الباحث في هذه الوسيلة الا انها لم تنم عن حنكة سياسية اذ جعلت بني عباد يستبسلون في الحصول على المدينة لأنها ذهبت لصالح عدوهم ومنافسهم باديس لذلك لم ينتظر بنو عباد كثيرا حتى تمكنوا من الدخول الى المدينة وبذلك لم يتمكن محمد بن خزرون (٤٤٦-٤٦٠هـ/ ١٠٥٤- ١٠٦٧م) بوسيلته الدفاعية ان يبعد مدينته عن الخطر الذي يتهدده وكان من الواجب ان يحذوا حذو اصحاب المدن الذين تنازلوا لابن عباد عن مدنهم وبذلك سلموا معها بالأمان[٤].

---

(١) حصن بالأندلس على وادي لكه وهو مدينة أزلية قد خربت مراراً وعمرت وعندها زيتون كثير. الحميري، الروض المعطار، ص٢٧.

(٢) محمد بن خزرون بن عبدون الزناتي عماد الدولة ، ابو عبد الله، بربري الاصل، احد ملوك الطوائف صاحب شذونة واركش. الزركلي، الاعلام، ج٦، ص١١٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٢ .

(٤) البهجي، تاريخ الاندلس، ص٢٥١.

ولم يكن بنو برزال اصحاب قرمونة بعيدين عن هذه الوسيلة فقد اضطر زعيمهم المستظهر عزيز بن البرزالي (٤٤٢ - ٤٥٩هـ/ ١٠٥٠- ١٠٦٦م) للتنازل عن مدينة قرمونة الى بني عباد بعد ان تأكد لديه بعدم استطاعته برد عاديتهم عن مدينته لذلك اعتمد بما يملي عليه المنطق والحكمة بان يتنازل عنها اليهم ليجنبها السقوط والدمار بعدما يئس من القدرة على الاحتفاظ بها[١].

ولم تكن هذه الوسيلة بعيدة عن سياسة علي بن مجاهد العامري (٤٣٦-٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) زعيم الجزائر الشرقية فعندما هاجمه صهره احمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر (٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) في مدينة دانية وحاصره داخلها وادرك ان عجزه عن الدفاع عن المدينة اصبح مدركا الخطر الذي يحيق به فاضطر للحفاظ على المدينة من الاجتياح العسكري لذلك قرر التسليم له والاذعان عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م حتى يأخذ انفاسه لضبط وسائله الدفاعية عن الجزائر المتبقية[٢] .

وبهذه الوسيلة الدفاعية تمكن عبد الله بن بلقين (٤٦٥ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م) زعيم مدينة غرناطة في عهد ملوك الطوائف من ان يضمن له ولمدينته الامان لصالح يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) بعد ان يأس من المقاومة والتزم بنصيحة امه له والزامه بتسليم المدينة للمرابطين وبذلك تجنيبها الواقع المحتوم فيما اذا دخلتها جيوش المرابطين عنوة[٣] .

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥١ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٨.

(٣) ابن السماك العاملي، ابو القاسم محمد بن ابي العلاء محمد (ت: بعد ٨١٢هـ)، الحلل الموشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)، ص١٣٢ .

وتكـــررت هـــذه الوســـيلة عنـــدما بـــدأ الموحـــدون الســـيطرة علـــى المـــدن الاســـلامية الاندلســـية وانتزعهـــا مـــن بـــين ايـــدي القـــادة المـــرابطين الـــذين علـــى راســـهم يحيـــى بـــن غانيـــة فـــي قرطبـــة الـــذي كـــان قـــد اعلـــن طاعتـــه لملـــك قشـــتالة الـــذي اشـــتد طمعـــه حيـــث طالـــب بمدينـــة جيـــان او مضـــاعفة الاتـــاوة المفروضـــة علـــى ابـــن غانيـــة الـــذي وعـــده بالإجابـــة الا انـــه كـــان يضـــمر الرجـــوع الـــى احضـــان المســـلمين باتصـــاله بالموحـــدين مـــن خـــلال عـــاملهم فـــي اشـــبيلية بـــراز بـــن محمـــد المســـوفي[1] واتفقـــوا علـــى تســـليم قرطبـــة وقرمونـــة للموحـــدين، وقـــبض ابـــن غانيـــة علـــى بعـــض رجـــال ملـــك قشـــتالة وحبســـهم الامـــر الـــذي اضـــطره الـــى الخـــروج عـــن مدينة جيان وبذلك دخلت هذه المدن في طاعة الموحدين[2].

و تكررت هذه الوسيلة في مدينة غرناطة عندما وصلها الزحف الموحدي عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م حيث كان عليها ميمون بن بدر الذي رأى تجنيب المدينة الغزو العسكري بوسيلة دفاعية لاسيما بعد ان نجح ابن غانية في وسيلته التي ابقت على قرطبة قوية وموحدة، فبعث الى عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) يعرض تسليمها ويلتمس العفو والامان، وكانت نتيجة هذه الوسيلة ان اوعز عبد

---

(1) هو ابو اسحاق براز بن محمد المسوفي عامل عبد المؤمن الموحدي على اشبيلية وكان من قبل من قواد المرابطين. المراكشي، الذيل والتكملة، ج٣، ص٢٣ .

(2) السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد (ت: ١٣١٥هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء، بلا.ت)، ج٢، ص١١٨.

المؤمن الى قادة جيشه بالسير الى غرناطة حيث استقبلهم ميمون وحامية المرابطين بالترحاب وكذلك نجت المدينة من التخريب[١].

وكانت هذه الوسيلة سبب مباشرا في نهاية الصراع الذي نشب بين بني مردنيش في السيطرة على مدن شرق الاندلس فبعدما توفي ابن مردنيش[٢] عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م تسلم الحكم بعده ولده الاكبر ابو القمر هلال[٣] الذي لمس جليا انه لا طاقة له بمقاومة قوة الموحدين الفتية وجيوشهم الجرارة لذلك لجأ الى التسليم من اجل المحافظة على مدنه سالمة لاسيما وانها كانت مهددة من قبل مملكة البرتغال النصرانية وهذه الوسيلة كانت كافية بالحفاظ على المدن الاسلامية بالإضافة الى انها حافظت على بني مردنيش انفسهم الذين انتقلوا الى اشبيلية معززين ومكرمين بدخولهم في طاعة الموحدين حيث اصبحوا من المقربين وقادة لديهم[٤].

---

(١) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٤١٧هـ)، ٢٤١/٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣١٤.

(٢) هو محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش حكم شرق الاندلس بعد ان انهار نظام الحكم المرابطي في الاندلس. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص١٣١ .

(٣) ورد له اسم اخر في المصادر الاسلامية وهو (ابو الغمر) . ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: ٦٥٨هـ)، تحفة القادم، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٤٠٦هـ)، ص١٠٤ .

(٤) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ص٧٣-٧٤ ؛ عبيدات، داود عمر سلامة، الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس ما بين سنتي (٥٤١-٦٦٧هـ/١١٤٦-١٢٦٨م)، دار الكتاب الثقافي (اربد، بلا.ت)، ص٨٥.

تاسعا: التحالفات السياسية الدفاعية

اعتمد الكثيرون من القادة والامراء في المدن الاسلامية الاندلسية في الدفاع عن مدنهم الاسلامية بوسيلة التحالفات التي كانت ذات وجه دفاعي وكانت تهدف اما ان تبعد الخطر المحدق بمدنهم او في تحييد عدو معين عن الصراع الدائر في ذلك الوقت وقد جاءت هذه الوسيلة بكثير من النتائج الايجابية التي حافظت على مدن كثيرة، وقد اعتمدها المسلمون مع بعض الممالك النصرانية تجنبا للصراعات الدائرة بين المسلمين لاسيما مع الاطراف الاسلامية التي تبغي السيطرة والتوسع على حساب اطراف اسلامية اخرى.

وقد اتضحت هذه الوسيلة جليا في عهد بني بلقين زعماء غرناطة لاسيما في عهد اميرها عبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢– ١٠٩٠م) الذي عقد مع الفونسو السادس ملك قشتالة معاهدة تحالف وصداقة كانت الغاية منها على ما يبدو هو الاتكاء على اكبر قوة عسكرية وهي مملكة قشتالة في رد اطماع المعتمد بن عباد (٤٦١– ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩–١٠٩١م) الساعي الى السيطرة على غرناطة وبفضل هذه الوسيلة استطاع عبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢– ١٠٩٠م) ان يرد عادية المعتمد بن عباد (٤٦١– ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩–١٠٩١ م) بمساعدة ملك قشتالة ولم يكتف بذلك بل قرر المسير الى اراضي بني عباد والاستيلاء على حصن قبرة[1].

وكررت هذه الوسيلة مرة اخرى في عهد عبد الله بن بلقين(٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢– ١٠٩٠م) الا ان هذه المرة كان بينه وبين بني عباد، بعد ان شكل الصراع بين الطرفين خطرا كبيرا على مدنهم الاسلامية بل وتهديدا لانهيارها وانهيار وسائلها

([1]) البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٥٣؛
Ramón Menendez Pidal: La España del Cid ,Espasa, 1939, p, 257 & 260 .

الدفاعية، ويبدو ان الدافع الرئيس للتصالح بين الاعداء المسلمين انهم كانوا يشعرون دائما بصغر حجمهم وسفاهة احلامهم امام الاخطار المحدقة بهم وان خلافاتهم هي السبب الرئيس في سقوط المدن الاسلامية بيد الممالك النصرانية، وقد عقد التحالف بين الطرفين بعد وفاة وزير المعتد المسمى ابن عمار الذي يصفه عبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢– ١٠٩٠م) في مذكراته بالفاسق الذي كان يعد السبب الرئيس في تحطم اواصر الود بينهما بل انه من اشعل فتيل الصراع بين الطرفين، وبموته اصبح هناك مجالا للتقارب الذي هو فعلا كان نهاية هذا الصراع فسويت الخلافات الحدودية بين الطرفين عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م[1].

ومارس حكام مملكة بني برزال الاسلامية الذين حكموا مدينة قرمونة هذه الوسيلة اثناء صراعهم المحتدم مع بني الافطس فددخلوا في تحالف سياسي كوسيلة دفاعية مع القاضي ابن عباد صاحب اشبيلية وكان من نتيجة هذا التحالف ان قام القاضي ابن عباد بأنجاد بني برزال عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م عندما هاجمهم بنو الافطس بغية توسيع رقعة حكمهم على حسب الامارات البربرية التي تكونت في الجنوب الاندلسي وبذلك حفظت مدينة قرمونة من هذا التوسع العسكري بواحدة من اهم الوسائل الدفاعية السياسية في ذلك الوقت[2].

ومن الملاحظ والجلي في دراسة التاريخ السياسي للإمارات البربرية التي تأسست في جنوب الاندلس واصبحت المدن الاسلامية الجنوبية تحت حكمهم قد اعتمدت في صراعها العسكري على وسيلة دفاعية وهو التكتل ضد العدو المشترك

---

(1) ابن بلقين، عبد الله بن بلقين بن حبوس بن ماكسن (ت: ٤٨٣هـ)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني برزال في غرناطة، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص١٠٢-١٠٣ .

(2) التميمي، بنو الأفطس في بطليوس، ص٣٢-٣٣ .

لهذه الامارات سواء من المسلمين العرب لاسيما بني عباد الطامعين في اراضيهم او في محاولاتهم العديدة في جمع شمل المسلمين بالقوة الامر الذي جعلهم يتصادمون معهم ويتضح ذلك من خلال التعاضد السياسي بين زعيم بني صمادح معن بن محمد (٤٣٣ – ٤٤٣هـ/ ١٠٤١– ١٠٥١م) صاحب المرية وبين باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦– ١٠٧٢م) صاحب غرناطة[1] .

عاشرا: الخدع والحيل والدهاء السياسي

اوردت المصادر التاريخية الخاصة بالأندلس عددا من الوسائل الدفاعية التي اعتمد عليها القادة المسلمين هناك في ابعاد الاخطار عن مدنهم او ممالكهم التي تعكس الحنكة والدهاء السياسي لدى هؤلاء حيث نجحوا في تجنب الغزو العسكري بوسائل غير معتادة ومن تلك الوسائل: ما جابهوا به ملك قشتالة عندما قصد بجيوش ضخمة مملكة اشبيلية التي كان على راسها المعتمد بن عباد (٤٦١– ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩–١٠٩١م) الذي تولى وزيره ابن عمار مسؤولية الدفاع عن المملكة فاعتمد على دهائه في ذلك من خلال ((أنه أقام سُفرة شطرنج في غاية الإتقان والإبداع، لم يكن عند ملك مثلها، جعل صورها من الآبنوس والعود الرطب والصند، وحلاها بالذهب، وجعل أرضها في غاية الإتقان))[2] وخرج من مملكته مبتعثا من قبل ابن عباد الى ملك قشتالة الذي كان مولعا بالشطرنج، فسأله عن امكاناته في الشطرنج فابلغه انه في منزلة عالية منه فساله عن رقعته التي ذاع صيتها فقال له: ((أنا آتيك

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٣ .

(2) المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: ٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية (بيروت، ١٤٢٦هـ)، ص٩٠ .

بها على أن ألعب معك عليها، فإن غلبتني فهي لك، وإن غلبتك فلي حكمي))[١] وبعد محاورة بين الطرفين قبل ملك قشتالة هذا الشرط بعد ان اشهد عليه عددا من الشخصيات المهمة، وبعد ان لعبوا غلبه ابن عمار غلبه ظاهرة لجميع الحاضرين، فقال ابن عمار لملك قشتالة: ((هل صح أن لي حكمي؟ قال: نعم، فما هو؟ قال: أن ترجع من ههنا إلى بلادك))[٢] وبذلك اكتملت الحيلة التي اراد ابن عمار ان يوقع ملك قشتالة بها ، الذي اراد ان ينكث بالعهد الذي قطعه مع ابن عمار الا ان رجاله قبحوا اليه ذلك الامر فرجع الى بلاده وكف الله بأسه، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين. ورجع ابن عمار إلى إشبيلية وقد امتلأت نفس المعتمد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) سرورًا به[٣].

ولم تكن هذه الوسيلة موجهة ضد العدو النصراني فقط بل اتبعها المسلمون ضد بعضهم لاسيما عندما كانوا يشعرون بالخطر الذي يهدد مدنهم الاسلامية ويتضح هذا الامر عند مملكة بني مناد البربرية التي حكمت غرناطة ومالقة لاسيما في عهد اميرها باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) فعندما قام زهير العامري[٤] (٤١٩- ٤٢٩هـ/ ١٠٢٨- ١٠٣٧م) صاحب المرية بتجهيز حملة عسكرية كبيرة اتجهت نحو اراضي بني مناد التي لم يكن فيها وسائل دفاعية كافية لرد عادية زهير العامري حاول باديس استغلال الوقت فأمر بالوسائل العسكرية الممكنة لرد

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٩٠ .

(٢) المراكشي، المعجب، ص٩٠ .

(٣) المراكشي، المعجب، ص٩٠-٩١ .

(٤) أبو القاسم زهير الصقلبي عماد الدولة حاكم مدينة المرية في عهد ملوك الطوائف عام ٤١٩هـ، واستمر فيها حتى مقتله عام ٤٢٩هـ. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩٦.

العدوان عن مدنه وخرج هو لمقابلة زهير ومناظرته وكانت مدة هذه المناظرة كفيلة بالتجهيز لكافة الوسائل الدفاعية الممكنة وبتلك الحيلة استطاع باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦– ١٠٧٢م) من تجنب مداهمة العدو لمدنه بغتة[١].

الحادي عشر: الاستغاثات الدفاعية السياسية

تعد الاستغاثات احدى اهم الوسائل السياسية التي اعتمد عليها المسلمون في الاندلس اعتمادا على المبادئ الاسلامية التي كانوا يحملوها فيما اذا كان بلد مسلم في خطر حق له الاستغاثة بالمسلمين الاقرب ثم الابعد فالأبعد فلما كان المغرب الاسلامي يعد مصدر قوة المسلمين في الاندلس كان اغلب الاستغاثات موجهة اليه، ولعل اهمها الاستغاثة التي وجهها المعتمد بن عباد (٤٦١– ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩– ١٠٩١م) الى امير المرابطين يوسف بن تاشفين (٤٨٤–٥٠٠هـ/ ١٠٩١– ١١٠٦م) بعد ان سيطر النصارى على مدينة طليطلة واصبحت اشبيلية الهدف القادم للقوات القشتالية ، وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي ابداها عدد من رجال الدولة وملوك الطوائف ومنهم ولده الرشيد لهذا الامر الذي يتلخص بقوله: ((يا أبت أتدخل علينا في بلادنا من يسلبنا ملكنا، ويبدد شملنا ؟!))[٢] الا ان ابن عباد أصر على المضي قدما وانجاز هذا الامر وخلد قولته المشهورة لابنه: ((أي بني والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم اللعنة علي في

---

(١) عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص١٢٩ .

(٢) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٠٠

الإسـلام؛ مثلمـا قامـت علـى غيـري. حـرز [١] الجمـال عنـدي والله خيـر مـن حـرز الخنـازير!))[٢]، وبعد هذه المقولـة ايده الكثيـرون من ملوك الطوائـف وبعث برسالة استغاثة الى يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) جاء فيها: ((الى حضرة الامام امير المسلمين انا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنـا، وتوالى علينـا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش، أسر المسلمين وأخذ البلاد والقلاع والحصون، وليس لنـا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه، وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمـال، وأنـت أيدك الله ملك المغرب، استنصـرت بـالله ثم بـك، واستغثت بحرمكم، لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر...))[٣] ويتضح من خلال هذه الرسالة المغزى الدفاعي لتلك الاستغاثة التي كانت السبب المباشر لوصول النجدات العسكرية فيما بعد.

ولمـا كـان بقيـة ملـوك الطوائـف علـى نفس شـاكلة التهديد والوعيد مـن قبل النصـارى ويشعرون بـالخطر لذلك اقدم بعضـهم علـى الوسيلة نفسها التـي ذهب اليها بنو عباد وهي الاستغاثة بالعدوة المغربية لاسيما اميرها يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) وهذا ما قام بـه امير بنو الافطس المتوكل على الله بن الافطـس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) عنـدما كتـب اليـه رسـالة يـدعوه بهـا للجهاد في الاندلس ودفع الاخطار عن مدنها الاسلامية وجاء فيها: ((لما كان نور الهدى، أيدك الله، دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، ... وجب أن تستدعي، لما أعضل الداء، وتستغاث لما

---

(١) الحرز هو من الحفظ والتحفظ يقال حرزته او احترز هوَ، أي تحفظ. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (دمشق، ١٩٧٩م)، ج٢، ص٣٨ .

(٢) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٠٠ .

(٣) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٠١

أحاط بالجزيرة من البلاء، فقد كانت طوائف العدو المطيف بأنحائها أهلكهم الله، عند إفراط تسلطها واعتدائها ... وأيقنوا الآن بضعف المنن، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن، واضطرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم، ومن أخطأه القتل منهم، فإنما هم بأيديهم أسارا وسبايا، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا، ... إن لم تبادروا بجماعتكم عجالا، وتتداركوها ركباناً ورجالا، وتنفروا نحوها خفافاً وثقالا))[١].

وكانت الاستغاثات السياسية في عهد ملوك الطوائف هي الوسيلة التي دائما تأتي بالنتائج الايجابية في الحفاظ على كيان المدن الاندلسية الاسلامية لاسيما في الصراع الدائر بين تلك الممالك ومن تلك الاستغاثات هو الاستغاثة الموجهة من قبل عبد الله بن برزال (٤٠٣- ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) زعيم بني برزال الحاكمين لمدينة قرمونة[٢] حيث وجهها الى القاضي ابن عباد صاحب اشبيلية لصد الهجوم الموجه على المدينة من قبل صاحب مالقة المدعو يحيى المعتلي[٣] وكان من نتيجة هذه الاستغاثة ان نجت مدينة قرمونه من سقوط محقق على يد المعتلي[٤].

ولم تكن تلك الاستغاثة الوحيدة في حياة عبد الله بن برزال (٤٠٣- ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) فقد استغاث بباديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦-

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٤، ص٦٥٤- ٦٥٥ .

(٢) مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية، وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة. الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١ .

(٣) هو المعتلي بالله أبو زكريا يحيى بن علي بن حمود تاسع خلفاء الأندلس، وثالث حكام بني حمود بالأندلس، ومؤسس امارة مالقة في عهد ملوك الطوائف. المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: ٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١١هـ)، ج٧، ص٢٠٩ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٨-١٨٩ .

١٠٧٢م) صاحب غرناطة ضد محمد بن اسماعيل بن عباد الذي هاجم مدينة قرمونة فاستجاب له باديس بن حبوس الذي تصدى لابن عباد ورده عن مدينة غرناطة عام ٤٣١هـ/١٠٣٩هـ [١].

والملفت للنظر ان بني برزال اعتمدوا على هذه الوسيلة اعتمادا وثيقا اكثر من مرة لاسيما بعد ان لاحظ عبد الله بن برزال (٤٠٣- ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) النتائج الايجابية لهذه الوسيلة فكانت حجر الزاوية في السياسة الدفاعية عن المدن الخاضعة لسلطانهم.

وقد اتت هذه الوسيلة أُكُلُها في الجزائر الشرقية لاسيما جزيرة ميورقة عندما هاجمها البرشلونيين عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م بحملة بحرية كبيرة مستغلة ضعف الوسائل الدفاعية فيها فالتجأ حاكم المدينة في ذلك الوقت وهو مبشر بن سليمان الى الاستغاثة بعلي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) والذي تمكن من انجادها عام ٥٠٩هـ/١١١٥م ولو بعد دخول النصارى اليها[٢].

ولم تكن مملكة سرقسطة الاسلامية بعيدة عن هذه الوسيلة لاسيما انها كانت تحت الضغط المباشر من قبل القوة العسكرية والارجونية التي كانت تهدد المملكة من جهة الشمال بل واصبحت مدينة وشقة[٣] تحت الحصار الارجوني عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م التي كانت تعد الحصن الامامي بوجه الخطر الارجوني ونتيجة لذلك ارسل زعيم سرقسطة احمد بن يوسف الملقب بالمستعين (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥-

---

(١) طويل، مريم قاسم، مملة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣-٤٨٣هـ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٤م)، ص١٣٨

(٢) حسين، عبد الرزاق، الادب العربي في جزر البليار، دار الجليل، ط٢ (الكويت، ٢٠٠٤م)، ص٣٤ .

(٣) وهي مدينة اندلسية صغيرة التي تبعد عن مدينة سرقسطة أربعون ميلا وعن مدينة لاردة سبعون ميلا. المؤلف: الادريسي، نزهة المشتاق ، ج٢، ص٥٥٤ .

١١٠٩م) ابنه عبد الملك الى الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) بالمغرب يحمل معه هدية ثمينة لطلب العون والاستغاثة الانجاد مدينة وشقة التي سقطت بيد سانشو راميريز ملك اراغون علم ٤٨٩هـ/١٠٩٥م[1]

واتضحت النتائج الايجابية لهذه الوسيلة بشكل واضح في انتصار المسلمين في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م بقيادة يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م)الزعيم المرابطي التي مثلت النتيجة الطبيعية لاستغاثة المدن الاندلسية ضد الخطر المحدق بها المتمثل بالممالك الاسبانية وعلى راسها مملكة قشتاله، وبعد هذا الانتصار نرى انها اصبحت الاستغاثة بمثابة المنقذ من الاعتداء النصراني والوسيلة التي اعتمد عليها العديد من حكام المدن الاسلامية الاندلسية فيما بعد لاسيما مدن بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة حيث بعثت استغاثاتها الى الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م)كل ذلك على خطى المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) الذي اصبح بمثابة رائد هذه الوسيلة بل الاسوة لبقية القادة الاندلسيين[2].

وقد شهد العهد المرابطي تطورا ملحوظا في الاستغاثات فلم نعد نرى ذلك التردد والخوف الذي كان يصاحب الاستغاثات التي كانت مبنية على طلب الانجاد من قوى خارجية كما في استغاثات ملوك الطوائف بالامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م)، فقد اصبحت الاستغاثات اقرب ما يكون من كونها استغاثات داخلية نتيجة للوحدة السياسية المصيرية التي اصبحت تجمع

([1]) منصور، عبد الوهاب، اعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية (الرباط، ١٤٠٣هـ)، ج٣، ص١٧٨-١٧٩ .

([2]) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٢٦

الاندلس والمغرب، ويتضح هذا الامر عندما هاجمت قشتالة الاراضي الاسلامية التي اصبحت على مقربة من قرطبة فاستغاث واليها عبد الله بن تينغمر بالأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧ – ٥٣٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) حيث مثلت هذه الاستغاثة السبب المباشر في رد عادية القشتاليين[١].

اما في عهد بني الاحمر فقد اخذت هذه الوسيلة مكانها الطبيعي في سياستهم الدفاعية عن المدن الخاضعة لهم فقد عمد محمد بن الاحمر الاول (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) على طلب الاستغاثة السياسة عندما ساءت علاقته مع القشتاليين بعد ان كان الهدوء سائدا بين الطرفين نتيجة الاقتتال الداخلي في قشتالة[٢]، الا ان التحسن الذي وصلت اليه الحالة السياسية في قشتالة جعل جيوشها تستأنف مهاجمة مملكة غرناطة الامر الذي اضطر ابن الاحمر ان يتوجه بطلب النجدة والاستغاثة من سلطان المغرب زعيم بني مرين السلطان ابو يوسف المريني (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩ – ١٢٨٦م) الا ان ابن الاحمر لم يمد الله بعمره لكي يرى نتيجة هذه الاستغاثة حيث توفي في ٢٩ جمادي الثانية عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م[٣].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٠ .

(٢) شهدت هذه المدة من تاريخ قشتالة صراعا احداثا جسيمة جعلها مضطرة للانكفاء الى الداخل القشتالي نتيجة ثورة الامير سانشو الرابع على ابيه الفونسو العاشر والاطاحة بحكمه وتنصيب نفسه ملكا على قشتالة عام ١٢٨٤م .

Edward Mc Murdo, The history of Portugal, London, 1888, (p. 252); Richard Emmerson, key figures in medieval Europe: in Encyclopedia, New York, 2006, (p. 592); Cynthia Robinson, Under influence: Questioning the comparative in Medieval castile, netherland, 2005, (p. 123).

(٣) الكتاني، علي المنتصر، انبعاث الاسلام في الاندلس، دار الكتب العلمية، ط (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٣٩ .

الثاني عشر: عبور الحكام الاندلسيين الى المغرب

تعد هذه الوسيلة من بين اهم الوسائل السياسية و الدبلوماسية التي اعتمد عليها بعض زعماء المسلمين في الاندلس الذين اخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية بكل الوسائل المتاحة لاسيما العبور الى المغرب الاسلامي الذي يعد حجر الزاوية في السياسة الدفاعية عن المدن الاندلسية من خلال النجدات المتلاحقة وفي كثير من اوقات الشدة التي تجاوزوا فيها الكثير من حب الذات وتغلبوا على الطيش السياسي الذي اصاب الكثير من زعماء المسلمين في الاندلس والذي يتضح جليا في ذهاب بعضهم الى احضان الممالك الاسبانية.

تتضح هذه الوسيلة في عصر ملوك الطوائف الذين لم يتجرأ الكثير منهم على العبور الى المغرب في صورة تعكس القصور السياسي في فهم الوسائل الدفاعية وبالتالي تطبيقها حتى جاء المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) الذي اصبح بمثابة رائد هذه الوسيلة من غير منازع لاسيما بعد ان رأى النتائج الايجابية لاستغاثاته لزعيم المغرب يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١-١١٠٦م) ، لذلك عبر الى المغرب مع بعض المقربين منه من اجل طلب النجدة من امير المغرب بنفسه، لشن حملة مشتركة تستهدف حصن الليط[1] وتم اللقاء بينهم في وادي سبو[2] حيث شرح لأمير المرابطين الخطر المحدق الذي يمثله هذا الحصن

---

(1) اختلف المؤرخون في حديثهم عن تسمية هذا الحصن ومن التسميات التي وردت له (ألليط) و (أليدو) و (أليط) و (لييط) و (يلبط) . ينظر: طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص٢٠٤ .

(2) وهو وادي ونهر في المغرب الاسلامي بالقرب من مدينة طنجة. ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار لجيل (بيروت، ١٤١٢هـ)، ج٢، ص٦٩١ .

بغاراته المتواصله على اراضي مرسية ولورقة وكان من نتيجة هذه الوسيلة العبور الثاني لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م[١].

تعد هذه الوسيلة قليلة الاستخدام نسبيا بالمقارنة مع بقية الوسائل فيما لا يقبل الشك انه كانت تبعية مدن المسلمين في الاندلس السياسية للمغرب في العهد المرابطي ومن بعده الموحدي جعل هذه الوسيلة تغيب كثيرا عن الواقع السياسي الدفاعي لمدن المسلمين في الاندلس، الا ان عودة الزعامة الى المسلمين الاندلسيين في عهد بني الاحمر كان كفيلا بعودة هذه الوسيلة لذلك نرى ان بوادرها في هذا العهد كان على يد محمد بن الاحمر الثاني الملقب (محمد الفقيه) (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) الذي اراد تقوية الاواصر بينه وبين بني مربن بعد الجواز الاول للسلطان ابو يعقوب يوسف الناصر (٦٨٥- ٧٠٦هـ /١٢٨٦-١٣٠٦م)[٢] فارسل وفدا من اكابر دولته لتجديد العهد والبيعة لهم بالإضافة الى الاعتذار عما بدر من الفقيه في محالفته مع النصارى وتأكيدا لهذا العهد والمودة عبر محمد الفقيه الى المغرب فرحب به السلطان وحمله هدايا واموال كثيرة وكانت هذه الوسيلة السبب في زيادة رغبة سلاطين بني مرين في نجدة المسلمين في الاندلس واغاثتهم ونصرة اهلهم[٣].

وعبر من بعد محمد الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل زعيم مملكة غرناطة الاسلامية الى عدوة المغرب عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م بهدف الاجتماع بملك المغرب السلطان ابي

---

(١) ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٥٢؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٣٥٥.

(٢) هو يوسف أبو يعقوب الناصر بن السلطان يعقوب ابو يوسف بن عبد الحق، الملقب بالمنصور المريني. الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٣١١ .

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٢١؛ المضواحي، محمد يحيى مطهر، الأندلسيون عقب سقوط غرناطة، دار كوتبيا (الإسكندرية، ٢٠١٦م)، ص٧٩ .

الحسن علي بن عثمان بن ابي يعقوب المريني (٧٣١- ٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٥١م) للوقوف على الوسائل الممكنة لاستخلاص جبل طارق من القشتاليين ونتيجة لهذه الوسيلة تمكن المسلمون من طرد الجيش القشتالي عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م[1].

الثالث عشر: التهديد والوعيد

اعتمد المسلمون على التهديد والوعيد كوسيلة سياسية دفاعية يبتغي منها مسلمو الاندلس محاولة تثبيط عزائم الجيوش النصرانية المتربصة بالمسلمين او محاولة ثني ملوك النصارى عن الاقدام على اي هجوم عسكري يستهدف المدن الاسلامية في الاندلس، وتحذيرهم من مغبة تلك الافعال وجعلهم يتفكرون في مصيرهم وجنودهم التي تحاول القضاء على الوجود الاسلامي في الاندلس.

وقد سجلت المصادر اول تهديد مهم في فترة هذه الدراسة على يد المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) والذي كان ردا على رسالة ارسلها الفونسو السادس ملك قشتالة يطالبه فيها بتسليم ما تحت يده من الاعمال جاء فيها : ((وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها وما صار باهلها حين حصارها فأسلمتم اخوانكم وعطلتم بالدعة زمانكم والحذر من ايقظ باله قبل الوقوع في الحبالة ولولا عهد سلف بيننا نحفظ ذمامه ونسعى بنور الوفاء امامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ووصل رسول الغزو ووارده لكن الانذار يقطع الاعذار ولا يعجل الا من يخاف الفوت فيما يرومه أو يخشى الغلبة على ما يسومه وقد حملنا الرسالة اليكم القرمط البرهانس وعنده من التسديد الذي يلقى به امثالك والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك مما

---

(1) ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج٧، ص٣٣٨؛ الخطيب، نبيل، لسان الدين بن الخطيب (٧١٣- ٧٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٤م) نثره و شعره و ثقافته في إطار عصره، دار المنهل (عمان، ٢٠١٣م)، ص٣٤-٣٥ .

اوجب استتابته فيما يدق ويجل وفيما يصلح لا فيما يخل وانت عندما تأتيه من ارائك والنظر بعد هذا من ورائك والسلام عليك يسعى بيمينك وبين يديك))[١]، فلم يستسلم ابن عباد للتهديد الذي وجهه اليه ملك قشتالة بل ارسل له رسالة تهديد ووعيد جاء في مطلعها ابيات كتبها ابن عباد:

الــذُّلُّ تَأْبـــاهُ الْكِرَامُ وَدِينُنَا *** لَكَ مـــا نَدِينُ بِهِ مِنَ الْبَأْسَاءِ

سُمْنَاكَ سِلْمًا مَا أَرَدْتَ وَبَعْدَ ذَا *** نَغْزُوكَ فِي الإِصْبَاحِ وَالإِمْسَاءِ

اللهُ أَعْلَـــى مِنْ صَلِيبِكَ فَادَّرِعْ *** لِـــكَتِيبَةٍ خَطَبَتْكَ فِي الْهَيْجَاءِ

سَوْدَاءَ غَابَتْ شَمْسُهَا فِي غَيْمِهَا *** فَجَرَتْ مَدَامِعُهَا بِفَيْضِ دِمَاءِ

مَـــــا بَيْنَنَا إِلاَّ النِّزَالُ وَفِتْنَةٌ *** قَدَحَتْ زِنَادَ الصَّبْرِ فِي الْغَمَّاءِ

فَلَتَقْدُمَنَّ إِذَا لَـــــــقِيتَ أَسِنَّةً *** زُرْقـــا تُرَى بِالْوَجْنَةِ الْوَجْنَاءِ

ومما جاء في رسالته : ((اما تَعلمُ إنا في العددِ والعديدِ والنظرِ السديدِ ولدينا من كماةِ الفرسان وجيلِ الانسان وحماةِ الشجعانِ يوم يلتقي الجمعانِ رجالٌ تَدَرعوا بالصبرِ وكَرِهوا الكِبَر، تَسيلُ نُفوسِهم على حدِ الشِفارِ وتَتعاهُم الهامُ في القفارِ يُديرونَ رَحى الموتَ بحركاتَ العزائمَ وَيشفونَ مِن خَبَطِ الجنون بِخواتِمِ العزائم قد اعدوا لك ولقومك جلاداً رتبة الاتفاق وشفاراً حداداً شحذها الاصفاق وقد يأتي المحبوب من المكروه والندم من عجلة الشرور نبهت من غفلة طال زمانها وأيقظت من نومة تجدد امانها ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة أو وقفة متساعدة الاذل تعلم مقداره وتتحقق مثاره والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر ((لا

---

(١) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية ، ص ٩٠-٩١ .

يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ))[1] ظنوا المعاقل تعقل والدول لا تنتقل وكان بيننا وبينك من المسالمة ما أوجب العقود عن نصرتهم وتدبير امرهم ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في انفسنا وفيهم من ترك الحزم واسلامهم لأعاديهم والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونه وبالله نستعين عليك ولا نستبطئ في مسيرتنا اليك والله ينصر دينه الكريم((ولو كره الكافرون)) والسلام على من علم الحق فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه))[2].

ومن الملاحظ ان بعض ملوك الطوائف كان قد دق ناقوس الخطر عندهم عندما سقطت طليطلة بيد النصارى وهذا الامر جعل ميزان القوى يرجح لصالحهم مما جعلهم يعتقدون انه من واجب الممالك الاسلامية ان تخضع لقوتهم لذلك قاموا بتهديد مملكة بني عباد ومن بعدهم بني الافطس الذين كان ردهم لا يخلوا من التهديد والوعيد في حال اقدام النصارى على اي مغامرة عسكرية تستهدف السيطرة على اراضيهم فكان رد المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) : ((وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وأحكام العزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويلدد بجنوده الوافرة، وأحواله المتظافرة، ولو علم أن لله جنوداً أعز بهم الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ... اما تعييرك للمسلمين فيما وهي من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك، علمت أي مصاب أذقناك، كما كانت آباؤك تتجرعه، فلم نزل نذيقها من الحمام ضروب الآلام شؤماً تراه وتسمعه، وإذا المال تتورعه. وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك، أهدى ابنته إليه مع

([1]) سورة الحشر، من الاية: ١٤ .

([2]) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص٩٣؛ القاسمي، خالد محمد، العلاقات الخارجية في العصر الاسلامي، الدار الثقافية (القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص٨١ .

الذخائر التي كانت تفد كل عام عليه، وأما نحن إن قلت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر نخوضه، ولا صعب نروضه، إلا السيوف تشهد بحدها رقاب قومك، وجلاد تبصره في ليلك ويومك، وبالله تعالى وملائكته المسومين، فنقوى عليك ونستعين ... وما تتربصون بنا إحدي الحسنيين، نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله، فيالها من جنة، وفي الله العوض مما به هددت، وفرج يفتر بما مددت، ويقطع بك فيما أعددت))[1].

اما في عهد بني الاحمر فقد حملت هذه الوسيلة طابعا جديدا ولربما كان للضغط الكبير من قبل القوى النصرانية على مملكة غرناطة الاسلامية وكذلك التشرذم والتشضي الذي اصاب الجبهة الاسلامية فقد كانت مدينة مالقة تحت حكم بني اشقيلولة حيث تنازل زعيمهم عن المدينة الى السلطان يعقوب المريني (٦٦٨-٦٨٥هـ/ ١٢٦٩- ١٢٨٦م) وهدده في حالة عدم رغبته بتسلمه اياها فانه سيقوم بتسليمها للنصارى وجاء في تهديده للسلطان المريني: ((ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا يتملكها ابن الاحمر))[2] فان من الملاحظ والجلي ان العداء المستشري بين بني اشقيلولة وبني الاحمر هو ما دفع حاكم مالقة الى هذه الوسيلة، وان هذا التهديد هو ما حمل يعقوب المريني (٦٦٨-٦٨٥هـ/ ١٢٦٩- ١٢٨٦م) الى تسلم المدينة من حاكمها[3].

---

(1) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص٨٦-٨٧ ؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت : ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ (بلا.مكان، ١٤٠٥هـ)، ج١٨، ص٦٩٥ .

(2) السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص٨٤ .

(3) السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص٨٤ .

الرابع عشر: الزواج السياسي

يعد الزواج السياسي احد اهم الوسائل السياسية الدفاعية لا سيما في الاوقات التي يكون فيها الصراع الداخلي (بين المسلمين) محتدم فيكون الزواج والتصاهر احد اهم الاسباب في الصفاء و الود بين الطرفين المسلمين وان الباحث ليجد جليا شيوع هذه الوسيلة في عهد ملوك الطوائف الذي كان فيه الصراع الداخلي في اعلى مستوياته.

وتتضح هذه الوسيلة من خلال سياسة مجاهد العامري[1](٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) زعيم الجزائر الشرقية للأندلس حيث اراد ان يدعم وسائله الدفاعية بالتواصل العميق مع الداخل الاندلسي الذي يعد القوة الطبيعية والدائمة للمسلمين في تلك الجزائر لذلك قوى علاقته مع اقوى زعماء ملوك الطوائف وهو المعتضد بن عباد(٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) صاحب بن عباد حيث قام بتزويج ابنته منه[2]، وبذلك تمكن من عزل نفسه عن الطموح العسكري للمعتضد الذي توسع على حساب جميع الامارات الاسلامية التي تحيط به فاصبح لديه متكأ عسكرياً وسياسياً يستطيع الركون اليه في حالة حدوث اي خطر من الممكن ان يهدده من جانب الممالك النصرانية التي كان معها في حالة حرب مستمرة.

---

(1) هو أبو الجيش الموفق محمد بن أبي عامر أمير الأندلس وأصله مملوك رومي من مماليك ابن أبي عامر، كان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبه وكانت له همة وجلادة وجرأة، فلما جاءت أيام الفتنة وتغلبت العساكر على النواحي سار هو فى من تبعه الى الجزائر التي في شرق الأندلس واسس فيها دولته وتوفي بدانية سنة ٤٣٦هـ. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٥، ص٢٢٧٣ .

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٥٧؛ القيسي، فايز عبد النبي فلاح، ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير (عمان، ١٤٠٩هـ)، ص٣٦ .

وترسيخا لهذه الوسيلة وتعميقا لنتائجها الايجابية طبق مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) بالوسيلة نفسها مع زعيم اخر من زعماء ملوك الطوائف وهو عبد الملك بن عبد العزيز (٤٥٢- ٤٥٧هـ/ ١٠٦٠- ١٠٦٤م) صاحب مدينة بلنسية التي تعد من اهم واكبر المدن الاندلسية الاسلامية المطلة على البحر المتوسط، الامر الذي يجعلها نقطة تواصل او حلقة وصل امنة بين الجزائر الشرقية والداخل الاندلسي فقربها منها يجعل منها سهلة الامداد متى ما تعرضت املاك مجاهد العامري للخطر النصراني لاسيما امارة برشلونه التي كانت ترتبط معه في صراع عسكري دائم[١] .

ولم يكن علي بن مجاهد (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) بعيدا عن وسائل والده الدفاعية عن الجزائر الشرقية فقد نمى لديه فائدتها الجلية لاسيما وانه ملك اركانها الاساسية فرزق ببنات ذاع صيتهن عند ملوك الطوائف فتنافسوا عليهن. قال بذلك صاحب الذخيرة: ((ورزق عدة بنات أحسن من الشموس، وأفنن من الطواويس، فتبارى ملوك الطوائف بأفقنا في نكاحهن، وتنافسوا في غدوهن إليهم ورواحهن))[٢] ، وقد اتضح لصاحب الذخيرة المغزى الدفاعي الذي كان يريد ان يصل اليه علي بن مجاهد (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) من خلال تزويج بناته لملوك الطوائف بقوله: ((واغتنم هو ذلك منهم وأذكاهن عليهم عيوناً، وبناهن بينه وبينهم دروباً وحصوناً، معتقداً أن الصهر رحم لا تجفى، وطريق إلى رعي الذمم لا تخفى. فقل ملك منهم إلا وقد علق له به حبل، واتصل بينه وبينه نسل))[٣]، لذلك زوج احدى بناته للمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وزوج الاخرى للمعتصم بن

([١]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٨ .

([٢]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص٢٦٦ .

([٣]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص٢٦٦ .

صمادح[1] صاحب المرية، وتزوج هو من ابنة احمد بن هود المقتدر بالله (٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) [2].

وكانت تلك الزيجات السياسية ذات تأثير كبير في رسم صورة الصراع العسكري والسياسي في عهد ملوك الطوائف لذلك ابدى المأمون يحيى بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) عطفا واهتماما في المعاونة والدفاع عن عبد الملك بن عبد العزيز الزعيم الثالث لمملكة بلنسية الاسلامية لأنه كان صهره، حتى كانت فيما بينهم محاولة للتوحد ضد التحديات الخارجية التي تتحداهم[3].

وعندما زاد اهتمام المؤتمن بن هود (٤٧٤- ٤٧٨هـ/ ١٠٨١- ١٠٨٥م) في ضم بلنسية الى ولايته وزاد من الضغط على صاحبها ابي بكر محمد بن عبد العزيز[4] (٤٦٧- ٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م) سياسيا وعسكريا خاف منه كثيرا وقرر الجنوح الى وسيلة سياسية يستطيع من خلالها ابعاد الخطر عن مدنه الاسلامية لذلك لم يجد افضل من الزواج لكبح جماح المؤتمن ففاوضه وعرض عليه المصاهرة بزواج ابنته من ابن المؤتمن احمد المستعين (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥- ١١٠٩م) فوافقه

---

(1) المعتصم بالله والواثق بفضل الله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي ثاني حكام امارة ألمرية في عهد ملوك الطوائف، تولى حكم المرية عام ٤٤٣هـ حكم المرية خلفًا لأبيه. ابن خاقان، ابي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت: ٥٢٩هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تح: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار (الزرقاء، ١٩٨٩م)، ج١، ص١٤٦ .

(2) المنصور، اعلام المغرب العربي، ج٣، ص١٥٩ .

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٥- ١٦٦ ؛ابن بسام، الذخيرة ، ج٥، ص٢٥٠.

(4) هو ابو بكر محمد بن عبد العزيز بن المنصور بن ابي عامر الثائر في مدينة بلنسية وضابط امورها والذي كان فقيها عدلا متصدرا للفتيا مشتغلا بالعلوم. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٣-٣٠٤.

وراى ان هذه المصاهرة قد تكون سببا مباشرا في ضم المملكتين سرقسطة وبلنسية في مملكة قوية وموحدة[١].

ولم يكن بنو تجيب اصحاب سرقسطة بعيدين عن هذه الوسيلة الدفاعية المهمة فقد كانوا على شفا الخطر المتمثل بالممالك الاسبانية المجاورين لهم لذلك حاول زعيمهم يحيى بن المنذر (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢– ١٠٢٣م) ان يقوم ببعض الوسائل التي من الممكن ان تسانده في صراعه معهم فتزوج من شقيقة اسماعيل بن ذنون (٤٢٧– ٤٣٥هـ/ ١٠٣٥– ١٠٤٣م) صاحب طليطلة ليمد جسور التواصل السياسي بين المملكتين الاسلاميتين ومن حسن الطالع ان هذه الوسيلة كانت ذات نتائج ايجابية في مواجهة الاخطار المحدقة بمملكة سرقسطة[٢].

وعلى الرغم من اختفاء هذه الوسيلة الدفاعية في عصري المرابطين والموحدين، ليس لعدم الحاجة اليها، بل لان الصراع اقتصر بين المسلمين الحاكمين للمدن الاسلامية الاندلسية وبين الممالك النصرانية، الا ان هذه الوسيلة وجدت مكانا لها في سياسة بني الاحمر الحاكمين لمملكة غرناطة الاسلامية التي ساءت علاقة ملكها نصر ابو الجيوش[٣] (٧٠٨–٧١٣هـ/ ١٣٠٨–١٣١٣م) مع بني مرين الامر الذي جعل القشتاليين يسجلون انتصارات كبيرة على المعسكر الإسلامي لاسيما في سيطرتهم على جبل طارق لذلك ادرك ابو الجيوش خطورة الامر فسعى جاهدا

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٣ –٣٠٤ .

(٢) عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٦٩–٢٧٠ .

(٣) هو السلطان أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه بن محمد الغالب بالله بن يوسف بن محمد بن احمد بن نصر. من بني نصر، رابع سلاطين بني الاحمر في غرناطة حكم مابين (٧٠٨– ٧١٣هـ). ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، ط٢ (حيدر اباد، ١٣٩٢هـ)، ج٦، ص١٥٨ .

لتحسين علاقته مع بني مرين ومن اهم الوسائل التي اتخذها هو الزواج السياسي حيث اقترن باخت السلطان توثيقا لوشائج المودة الامر الذي اسهم في عودة الاواصر بين الطرفين الامر الذي اعاد القوة الى الجبهة الاسلامية للتصدي للجيوش القشتالية والدفاع عن مدنها[١]

الخامس عشر: بناء علاقات مع اطراف اسلامية بعيدة

من الملاحظ والجلي ان اغلب الوسائل الدفاعية السياسية والدبلوماسية تنوعت في عهد ملوك الطوائف لان الضعف الذي استولى على تلك الممالك فضلا عن الفارق العسكري الكبير بين الممالك النصرانية وبقية الممالك الاسلامية جعل المسلمين في الاندلس دائما ما يبحثون عن وسائل دفاعية من الممكن ان تكون ذات نتائج ايجابية في صراعهم المستمر مع القوى النصرانية.

وسجلت لنا المصادر الخاصة بالتاريخ الاندلسي ان علي بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) زعيم الجزائر الشرقية المشهور في تنوع وسائله الدفاعية اراد توثيق وتأكيد علاقته مع الدولة الفاطمية لانها كانت من اقوى الكيانات الاسلامية في شمال افريقيا ولربما انها تستطيع تغيير معادلة القوى في الصراعات بين تلك الجزائر وبين الممالك النصرانية، لذلك استجاب لنداء المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥- ١٠٩٤م) ايام الانتكاسة الاقتصادية التي مرت

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣١٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص١٠١.

بها مصر والتي سميت بالشدة المستنصرية[١] فقام بارسال مركبا كبيرا مشحونا بالمؤن والاطعمة عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م فرد المستنصر المركب محملا بالتحف والذخائر[٢].

وتأكيدا لتلك الوسيلة كتب علي بن مجاهد (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤-١٠٧٥م) الى المستنصر رسالة بليغة ومما جاء فيها: ((فألف المولى أشتاتا، ونظم أفرادا، وجمع أصنافا، وهيأ ألطافا، من تحف أفقه، وخواص أرضه، وغرائب مغربه، وطوائف ثغره، شرح أنواعها، وأفراد جماعها، ونثر نظامها، وفصل تؤامها، في ملطف طي مكاتبته هذه، وأودع ما نوعه، وضمن ما جمعه، حربيا من أشد نمطه حصانة، وأوفره أمانة، وأكثره عدة وعدة، وأفضله جدة وجدة، وأبهجه حلية وبردة، وتفاءل المولى في اسمه ووسمه، فخرق أديم البحر على اليمن والطائر السعد، والفأل الصدق، كأنه هلال سائر، أو عقاب كاسر، أو باز مهابذ، أو شهاب قاقب، أو سهم نافذ، ولحضرته الطاهرة...))[٣] .

ومن خلال ما جاء في وصف هذا التنوع الذي حمله المركب المرسل الى مصر يتضح حرص علي بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) لبناء علاقات رصينة مع مصر الفاطمية والاستفادة من هذه العلاقات في الصراع المستمر مع الممالك الاسبانية

---

(١) وهو المصطلح الذي يطلق على الازمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في حكم الدولة الفاطمية بسبب انخفاض مستوى نهر النيل في عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واستمرت لمدة سبع سنين (٤٥٧- ٤٦٤هـ) وسميت بالشدة نتيجة الاهوال التي عاشها الشعب المصري بسببها. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد، احياء التراث الاسلامي (القاهرة، بلا.ت)، ج٢، ص٢٩٧-٣٠٠ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٨.

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص٣٩٤ .

وتطورت هذه الوسيلة قليلا في فترة الصراع الذي دب عقب افول نجم الموحدون بالأندلس فلم يكن من خاض بهذه الوسيلة يبغي الدعم العسكري بل اراد فقط اضفاء على نفسه صفة الشرعية فهي وسيلة تضيف لشخصيته الافضلية على منافسيه في الحكم وهذا ما يتضح جليا عندما اعلن محمد بن يوسف بن هود الجذامي[1] (٦٢٠ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣- ١٢٣٧م) تبعيته للخلافة العباسية برفعه الشعار الاسود ودعائه للخليفة العباسي وبعث الى بغداد يطلب المرسوم والخلع فبعث اليه المستنصر العباسي بما اراد عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وبما لا يقبل الشك انه اتخذ هذا الامر كوسيلة دفاعية لقضيته اتجاه خلافة الموحدين وصراعهم المحتدم بالسيطرة على المدن الاسلامية وما مثل ذلك من اخطار جسيمة عليها[2].

واخذ بنو الاحمر بهذه الوسيلة نتيجة الضغط الكبير الذي كانت تقوم به الجيوش القشتالية على ما بقي للمسلمين من مدن الاندلس وكذلك الضعف الذي دب في جسد دولة بني مرين الامر الذي جعلهم يبحثون عن اي وسيلة ممكنة تقدم الحلول للوضع المزري الذي وصل اليه الحال في الاندلس الامر الذي جعل ملك غرناطة الغني بالله (٧٥٥ - ٧٩٣ هـ/ ١٣٥٤- ١٣٩٠م) يقوي اواصر علاقته السياسية بمصر لعل ذلك يلقي

---

(1) هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن بن محمد بن هود الجذامي من اعقاب بني هود ، ثار على الموحديين في سرقسطة وتلقب= =بالمتوكل على الله عام ٦٢٥هـ وسيطر على سرقسطة ومرسية وشاطبة واشبيلية والجزيرة الخضراء حتى وفاته عام ٦٣٤هـ. ابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت: بعد ٦٣٩هـ)، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تح: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٤٢٠هـ)، ص١٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٥.

(2) لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٤٧ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٥.

بـدعم مـادي او عسـكري فبعـث بسـفارة حاملـة رسـالة منـه الـى أبـي عبـدالله محمـد بـن قـلاوون فـي مصـر تحـدثت عـن مكانـة الجهـاد فـي الاسـلام وان كـلا البلـدين فـي مركـب واحـد مـن جهـاد اعـداء الـدين يجـب التعـاون مـن اجـل دحـر العدو المشترك[1].

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٨، ص١٠٧-١١٥ .

المبحث الثاني: الوسائل السياسية السلبية

على الرغم من المجهود السياسي الذي بذله قادة وزعماء المسلمين في الاندلس في الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية التي كانت ذات نتائج إيجابية الا ان هناك البعض من القادة المسلمين الذين عالجوا مشاكلهم الشخصية او الدفاع عن حكمهم وسيادتهم مقابل اعطاء القوى الصليبية مناطق كثيرة او غيرها من التنازلات التي كان لها الدور الابرز في تسليم حصون وقلاع كانت تعد خط الدفاع الاول الذي طالما احتمى خلفه المسلمون وكانت تلك الوسائل لصالح العدو وان كانت في بداياتها قد تأتي بالنفع المؤقت على صاحبها ومن تلك الوسائل:

اولا: التنازل عن المدن والحصون للنصارى

تكررت هذه الوسيلة السلبية كثيرا في التاريخ الاندلسي السياسي والعسكري، فمن اجل الوصول الى كرسي الحكم والسلطة يقوم بعض القادة بالالتجاء الى النصارى من اجل الوقوف معهم عسكريا وكانوا لابد من ان يدفعوا ثمنا باهضا من اجل القيام بذلك وكانت هذه الوسيلة تبرز كلما لاح شبح التفرق والتشرذم الذي يصيب جسد الدويلات الاسلامية في الاندلس[١]، ومن تلك المواقف عندما حلت فتنة الاندلس[٢] بين العرب والبربر ومن اجل

---

(١) عبد الرحمن، نواف أحمد، حضارة الأندلس، دار المنهل (ابو ظبي، ٢٠١٥م)، ص٥٩.

(٢) وهو المصطلح او الوصف الذي يطلق على الفترة الممتدة (٣٩٩-٤٢٢هـ) والتي شهدت اندلاع الفتنة والاقتتال والتشرذم بين العرب والبربر والتي ادت الى سقوط الدولتين الاموية والعامرية والتي كانت احدى نتائجها المباشرة هو ظهور حكم دويلات الطوائف. بوباية، البربر في الأندلس ، ص٤٣١- ٤٤١ .

ذلك قرر الفتى واضح العامري ان يستعين بالنصارى فسار الى طرطوشة[١] واتصل بأمير برشلونة على ان يمده بالرجال مقابل ان يعطيه مدينة سالم وفعلا تم هذا الاتفاق وسلم واضح المدينة بعد ان افرغها من المسلمين ، فمن اجل ان يدفع خطر البربر المسلمين قام بإعطاء مدينة من اهم مدن الثغور الى العدو الاول والاخير للمسلمين بالأندلس وهنا تتضح السلبية الكبيرة التي تكتنف مثل هذه الوسائل الدفاعية[٢].

وعند الفتنة التي حدثت عام ٤٠١هـ / ١٠١٠م بين اهل قرطبة والبربر الذين قاتلوا تحت لواء سليمان المستعين بالله الذي عرض على سانشو غرسيه ملك قشتالة ان يسانده في حربه ضد الفتى واضح العامري و هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) على ان يسلمه جميع الحصون الامامية التي افتتحها الحكم والمنصور على ان يهاجم معهم قرطبة، وعلى الرغم من ان ملك قشتالة لم يصغ اليهم الا ان هذا الامر يبين مدى خطورة الوسائل الدفاعية التي اعتمدها المستعين ومن معه من البربر في صراعهم هذا؛ ومن السلبيات التي ترتبت على هذه الوسيلة الدفاعية ان سانشو غرسيه ملك قشتالة ارسل وفدا الى واضح والمؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) يطالبهما بالحصون التي افتتحها المسلمون منذ ايام الحكم وحتى عصر بني عامر وبذلك اصبحوا ملزمين بالرضوخ لمطالب القشتاليين لاتقاء عدوانهم من جهة وضمان عدم اتحادهم مع البربر من جهة اخرى واجتمع قضاة وعلماء قرطبة لهذا الامر وقرروا تسليم الحصون التي يقال انها بلغت المائتين حصن

---

(١) هي مدينة بالأندلس شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره استولى النصارى عليها في سنة ٥٤٣هـ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠.

(٢) البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٢١

وبذلك فقدت مدن المسلمين في الاندلس خط دفاعها الاول وتركت حدودها الشمالية مفتوحة لغزوات النصارى[١].

ولم يكن بنو ذنون حكام طليطلة بأحسن حال من الذين سبقوهم فقد اضطر حاكمهم يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله (٤٦٧- ٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م) الى التنازل لملك قشتالة بعدد من الحصون الغربية التي كانت تمثل الخط الدفاعي الاول لمنطقة الثغر الاوسط لاسيما حصون سرية[٢] وقتورية[٣] وقنالش[٤] كل ذلك حتى يجعل قشتالة على الحياد والتفرغ لصراعه مع ابن هود فضلا عن ملك اراجون الذي بدأ يتربص بالمدن الاندلسية المسلمة الواقعة تحت حكم بني ذنون[٥].

وكذا كان الحال بالنسبة لبني تجيب حكام مملكة سرقسطة الاسلامية عندما وجدوا انفسهم مضطرين لاستخدام هذه الوسيلة امام الاخطار النصرانية المحدقة بمملكتهم التي اشتهرت بمسالمتها لهم التي لم تنفعها في رد اطماع هذه الممالك لاسيما في عهد يحيى بن المنذر بن يحيى الملقب بالمظفر بالله (٤١٢ -٤٢٧هـ/ ١٠٢١- ١٠٣٥م) حيث هاجمه امير

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٤؛ مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٨م)، ج١، ص٤٢٤.

(٢) احد الحصون الصغيرة بالقرب من المرية. ينظر: البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٧١.

(٣) حصن من أعمال مدينة المرية تقع على نهر المنصورة. لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ١٤٢٣هـ)، ص١٠٥ .

(٤) وهي من الحصون والاندلسية والتي تبعد عن مدينة وادي اش مسيرة يوم واحد. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير (ت: ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار الهلال (بيروت، بلا.ت)، ص٢٨٤.

(٥) البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٧١؛ السرجاني، راغب، قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، مؤسسة اقرا للنشر (القاهرة، ٢٠١١م) ، ص٤٥٣.

برشلونة رامون بوريل الذي كان ذو علاقة طيبة مع والده المنذر بن يحيى (٤٠٣ – ٤١٤هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٣م) الا انه لم يستطع ان يخفي اطماعه التوسعية فهاجم سرقسطة مما جعل يحيى بن المنذر يتنازل عن بعض المدن والقلاع لصالح امارة برشلونة الاسبانية التي ستكون فيما بعد منطلقا للعمليات الاسبانية ضد الاراضي المسلمة[١].

وتكررت هذه الوسيلة في سياسة الدفاع عن مدن المسلمين الاندلسية في مدينة بطليوس التي كانت تحت حكم المتوكل بن الافطس (٤٦٤-٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) الذي واجه التقدم المرابطي على مدنه فطلب الاستغاثة من الفونسو السادس ملك قشتالة وكان عليه مقابل ذلك ان يتنازل عن بعض المدن الاندلسية المهمة التابعة له وهي اشبونة[٢] وشنترة[٣] وشنترين[٤].

ولم تكن هذه الوسيلة حكرا على ملوك الطوائف بل وجدت طريقها ايضا في السياسة الدفاعية المرابطية فعلى الرغم من اضطرام روح القتال في جسد المسلمين في الاندلس في عهد المرابطين الا انهم اضطروا الى التسليم والتنازل عن بعض المدن في بعض الاحيان لاسيما المناطق التي يصعب الدفاع عنها ومن تلك المدن

---

(١) عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٦٨ .

(٢) وهي مدينة بالأندلس تسمى ايضا لشبونة، قريبة من مدينة شنترين قريبة من البحر المحيط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥ .

(٣) مدينة من أعمال مدينة لشبونة في الاندلس تبعد يومان عن مدينة شنترين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٧ .

(٤) التميمي، بنو الأفطس في بطليوس، ص٨٨ . مدينة متصلة الأعمال بأعمال مدينة باجة تقع في غرب الاندلس تبعد عن قرطبة خمسة عشر يوما. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٧ .

مكناسة [1] التي قاد الفونسو المحارب حملة عسكرية تستهدفها فعلى الرغم مما قامت به الحامية المرابطية من الدفاع عنها الى انها اضطرت للتسليم لصعوبة الدفاع عنها لوقوعها على سهل مكشوف[2].

وفي شرق الاندلس اضطرت الحامية المرابطية التي كانت تحمي حصن ارنيط[3] الى التسليم الى القوات القشتالية بعد ان يأس المرابطون فيه بعد ان فشلت في حمايتها جميع الوسائل الدفاعية في الحفاظ عليها فلم يبق في جعبتهم سوى التسليم والانسحاب الى قلعة الرباح[4] بعد الامان الذي اعطي لهم من قبل الجيش القشتالي[5].

واضطر بعض الزعماء المسلمين الى التنازل عن بعض المدن او الحصون الاسلامية مقابل الاستمرار في محالفة النصارى ومن ذلك ما قام به القائد المرابطي الذي كان على مسؤوليته حماية مدينة قرطبة حيث دخل في طاعة الفونسو

---

(1) سميت مكناسة نسبة الى قبيلة مكناسة التي سكنتها تقع على نهر الابرو. السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد(بيروت، ٢٠٠٠م)،ص٨٢ .

(2) صالح، نادية مرسي السيد، مملكة أرغون وعلاقاتها بالمسلمين في عهد الملك ألفونسو الأول المحارب ٤٩٤-٥٢٨هـ/ ١١٠٤-١١٣٤م، دار عين للنشر (القاهرة، ٢٠٠٠م)، ص٩٣ .

(3) مدينة في شرقي الأندلس من أعمال تطيلة وبينها وبين سرقسطة سبعة وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٦٢ .

(4) مدينة بالأندلس غربي طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣ .

(5) Piles Ibars, Andrés, Valencia árabe, M. Alufre, 1901, p. 481

ملك قشتالة ومقابل تنازل القائد المرابطي ابن غانية عن حصن اندوجر وعن مدينتي بياسة وابدة[١] حتى يضمن الدفاع عنه في حالة هجوم الموحدين على مدينة قرطبة[٢]

ولم تكن حال مدينة المرية افضل من سابقيها فقد واجهت عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م حملة صليبية عنيفة توجهت من عدد من المدن الاوربية باتجاه المدينة برا وبحرا وحوصرت المدينة حصارا عنيفا لمدة ثلاثة اشهر حتى نضبت جميع موارد المدينة فضلا عن انها فشلت جميع الوسائل الدفاعية الممكنة فلم يبق الا التسليم الذي ربما يأمن المسلمون فيه على انفسهم ورافق هذه الوسيلة الكثير من السلبيات التي من بينها ما واجهه اهل المدينة من سفك للدماء التي ربما حدثت بسبب جهل زعماء المدن الاسلامية للخلفية الهمجية والوحشية التي كانت ترافق الحملات النصرانية في ذلك الوقت حيث كانوا يقيسون الامور بمنظار هجمات مملكة قشتالة او غيرها من الممالك الاسبانية[٣] .

وتكررت هذه الوسيلة مرة اخرى عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م عندما هاجم فرناندو الثالث ملك قشتالة حصن قبالة[٤] الا ان هذه الوسيلة كانت مرهونة ببعض الشروط وهي ان تبعث حاميتها برسلهم الى السيد ابي العلاء[٥]

---

(١) وهي مدينة بالأندلس من كورة جيّان، وتعرف ايضا بأبّدة العرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦٤.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠١ .

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٣٤٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦١-٤٦٤ .

(٤) وهو من الحصون المنيعة الواقعة شمال قرطبة. ينظر:عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٦١.

(٥) هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور كان واليا على الاندلس من قبل اخيه العادل الذي قتل على يد ابن اخيه يحيى بن محمد الناصر الحكم فرفض ابو العلاء ان يبايعه وعلى اثر ذلك الخلاف انقسمت الدولة الموحدية الى قسمين في المغرب وزعيمها يحيى الحكم وفي الاندلس وزعيمها ابو العلاء. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد =(ت:

لأنجادهم فاذا لم تصل اليهم النجدة خلال ثمانية ايام سلموا الحصن وهذا فعلا ما حصل فقد خرج المسلمون باقل الخسائر محافظين على ارواحهم واهليهم واموالهم الى حصن غافق[١] .

وكان لهذه الوسيلة مكانا في سياسة بني الاحمر في الدفاع عن غرناطة فعندما هاجمها الفونسو العاشر عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م بجيش كبير وكان ابن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) يرى استحالة رد عاديتهم قرر تجديد معاهدة الصلح بين الطرفين وان يتنازل عن عدد من المدن و الحصون وقيل ان ما اعطاه ابن الاحمر بمقتضى هذا الصلح من المدن والحصون بلغ مائة وخمس من بلاد غرب الاندلس[٢].

ثانيا: اعطاء الاتاوة للنصارى

اعتاد قادة بعض المدن الاسلامية في الاندلس على وسيلة دفاعية سياسية كان لها دورا كبيرا في صرف الجيوش الغازية عن المدن الاسلامية الاندلسية او فك الحصار عنها وهي دفع مبالغ مالية ضخمة مقابل الانصراف والتعهد بدفعها سنويا وبنفس المبلغ او بالاتفاق على مبلغ جديد يدفع في اوقات محددة بين الطرفين مقابل الامان الذي يعطيه قادة جيوش الممالك الاسبانية للمدن الاندلسية الاسلامية، وعلى الرغم من الاثار الايجابية التي ارستها هذه الوسيلة الدفاعية الا انها تحمل في طياتها العديد من المخالفات الشرعية لما في ذلك الامر من دفع الاموال للنصارى التي كان

٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ)، ج٢، ص١٤٦؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٢٣١ .

(١) هو حصن حصين ومعقل جليل من اعمال فحص البلوط سمي بهذا الاسم نسبة الى عبد الرحمن الغافقي الذي بناه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٨٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٦٥. عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٦٢.

(٢) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية ، ص١١٢.

من الواجب عليهم دفعها للمسلمين من (جزية المفروضه عليهم)، الا ان المسلمين كانوا مضطرين للرضوخ لمثل هذه الوسائل التي تعد من الوسائل السلبية لما فيها ذل وصغار للمسلمين، مقابل عنجهية عسكرية للجانب الاخر.

ففي عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م خرج جيش كبير من قشتالة وغزا مملكة طليطلة الاسلامية التي كان يحكمها بنو ذنون وعاث بأحوازها حتى اضطر حاكمها المأمون بن ذي النون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) ان يطلب الصلح وتعهد وفق ذلك ان يدفع اتاوة سنوية لملك قشتالة سلمت فيها مملكة طليطلة من عبث ملك قشتالة ولو لفترة قصيرة من الزمن[1].

وتكررت هذه الوسيلة في عام ٤٥٥هـ/١٠٦٢م عندما هاجمت قوات قشتالة كل من بطليوس واشبيلية مما اضطر المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) وهو في ذلك الوقت حاكم اقوى مملكة اسلامية اندلسية الى ان يقدم اتاوة سنوية الى ملك قشتالة من اجل الانصراف عن المدن الخاضعة لحكمه وزاد المعتضد في هذه الوسيلة انه قام بتقديمها بنفسه وفي معسكر القوات القشتالية[2].

وحذا بنو الافطس حذو بني عباد عندما هاجمت القوات القشتالية مدينة شنترين بعد ان رفض المظفر محمد بن الافطس (٤٣٧- ٤٦١هـ/ ١٠٤٥- ١٠٦٨م) اداء الاتاوة لملك قشتالة، فهاجمها النصارى واتموا حصارها وبعث قائد

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٩٨؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة، بلا.ت)، ج٢، ص١٩٦؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٧٠ .

([2]) Ramón Menéndez Pidal: La Espana del Cid, Espasa-Calpe, 1967, p. 135 & 140 ؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٣٠ .

الحملة القشتالية الى ابن الافطس للمفاوضة وانتهت بانسحاب القوات النصرانية على ان يدفع ابن الافطس لملك قشتالة اتاوة مقدارها خمسة الاف دينار[١] .

ومن الملاحظ والجلي ان اغلب الوسائل الدفاعية التي اعتمد عليها ملوك الطوائف هو دفع الاتاوة للنصارى بسبب انشغالهم بالفتن الداخلية وصراعاتهم الجانبية او عجزهم في التصدي العسكري للدفاع عن مدنهم لذلك نرى هذه الوسيلة قد تكررت عند بني ذنون في طليطلة عند دفعهم للنصارى الذين كانوا يقضمون مدنهم شيئا فشيئا وكانوا منشغلين في صراعهم مع بني هود الامر الذي اضطرهم للتفاوض مع النصارى واقرارهم بدفع الاتاوة لهم لاسيما بعد ان وصلت القوات القشتالية بقيادة فرناندو الاول الى وادي الحجارة[٢] وقلعة النهر[٣]. وتكررت هذه الوسيلة ايضا عندما تقدمت القوات القشتالية اكثر في اراضي طليطلة الشمالية في عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ولم يجد المأمون بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) اي وسيلة دفاعية

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٨؛ التميمي، بنو الأفطس في بطليوس، ص٥٧-٥٨ .

(٢) هي مدينة بالقرب من طليطلة بينهما خمسة وستون ميلاً . القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، بلا.ت)، ص٥٦٧؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٣ .

(٣) لها عدة تسميات وهي (هنارس) (مدينة المائدة) وهي من احواز طليطلة. الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٠؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٨-٢٧٩؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج٢، ص١٧٧ ؛ عطيات، احمد محمد، الاندلس من السقوط الى محاكم التفتيش، دار امواج (عمان، ٢٠١٢م)، ص٦٦ .

يتمكن بها دفع العدو القشتالي سوى المفاوضة على طلب الصلح مقابل دفع اتاوة سنوية كبيرة[1].

واعتمدت امارة البونت الاسلامية على هذه الوسيلة حيث اضطرها العدو المدعو الكمبيادور[2] الذي هاجمها وعاث باحوازها وخرب اراضيها مما جعل صاحبها عبد الله بن محمد بن عبد الله الى الاعتراف بطاعة ملك قشتالة وان يدفع الاتاوة السنوية التي اقرها العدو عليه التي كان مقدارها عشرة الاف دينار[3].

ولم يكن بنو هود الذين حكموا سرقسطة عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م بعيدين عن هذه الوسيلة الدفاعية الذين اعتمدوا عليها على الرغم من سلبيتها فقد جعلهم القشتاليون مضطرين الى هذا الطريق لعدم تمكنهم من صد تلك الهجمات المستمرة والمكثفة التي اسفرت عن السيطرة على عدة حصون وقلاع تابعة لأمارة سرقسطة التي من اهمها حصن غرماج[4] الذي اصبحت بمثابة قاعدة انطلاق متقدمة للجيوش القشتالية في عملياتها العسكرية ضد سرقسطة الامر الذي جعل زعيمه المقتدر بن هود (٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) ان يطلب الهدنة والصلح من القشتاليين

([1]) عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص١٠١ .

([2]) هو رودريك القمبيطور المعروف بالسيد مرتزقة نصراني استخدمه ملوك الطوائف في حروبهم ضد بعضهم البعض مقابل المال الذي يعطوه اياه. دوزي، رينهارت، المسلمون في الاندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، ١٩٩٥م)، ص١٤١.

([3]) ارسلان، شكيب، الحلل السندسية، ج٣، ص١٨٤ .

([4]) يقع حصن على نهر دويرة على مقربة من شنت إشتبين. السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٨٩.

فوافقوا عليه على ان تدفع سرقسطة اتاوة سنوية وبذلك تمكن من دفع هذه الهجمة التي كادت ان تطيح بقاعدة الثغر الاعلى سرقسطة[1].

واضطر المرابطون في عهدهم الى الولوج في هذه الوسيلة الدفاعية لاسيما عندما اضطرتهم الهجمات الاسبانية اليها فعندما اراد المرابطون التفرغ للتصدي لحملة الفونسو المستهدفة للمدن الاسلامية الاندلسية ارادوا ان يعزلوا امير برشلونة رامون برنجير الثالث الذي تسميه المصادر الاسلامية (ريمند برنجار) عن هذا الصراع وابعاده عما يصبوا اليه بالتوسع باتجاه المدن الاسلامية ويضطرون بعد ذلك للقتال بجبهتين، فعقدوا السلم معه على ان يدفع المرابطون اتاوة له قدرها اثني عشر الف دينار يؤدوها كل عام[2].

واعتمد ابن مردنيش على هذه الوسيلة السياسية لاسيما عندما اقترب الموحدون من مدنه في شرق الاندلس فدخل في صلح مع الممالك النصرانية التي تجاوره من الشمال والغرب لاسيما مع ملك قشتالة الفونسو السابع والكونت رامون بريجير الرابع امير برشلونة التي تضمنت ان يدفع ابن مردنيش اتاوة سنوية مقدارها خمسون الف مثقال لكل منهما[3].

ونتيجة للانتصارات المتلاحقة لجيوش قشتالة وسيطرتها على عدد كبير من المدن والحصون لم يجد السيد ابو العلاء اي وسيلة ناجعة لحماية مدنه سوى عقد

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(2) ابن القطان المراكشي، ابي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت: ٦٢٨هـ)، نظم الجمان لترتيب ماسلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط٢ (القاهرة، ١٤١٠هـ)، ص٢٤٤ .

(3) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٧١-٧٢؛ الكركجي، نغم عدنان أحمد، الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، دار الكتاب الثقافي (اربد، بلا.ت)، ص١٤٩ .

الصلح لمدة عام واحد على ان يدفع الموحدون اتاوة سنوية قدرها ثلاثة الاف قطعة من الفضة يدفع قسما منها عند توقيع الاتفاق ويدفع الباقي بعد ذلك[1] .

كذلك اضطر محمد بن هود الجذامي (٦٢٠ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣- ١٢٣٧م) الى الولوج في هذه الوسيلة لاسيما بعد ان رأى انه لا طاقة له بصد عادية قشتالة التي هاجم ملكها فرناندو الثالث مدينة جيان فجرت المفاوضات بين الطرفين وعقد اتفاق بين الطرفين على ان يدفع ابن هود اتاوة مقدارها مئة الف وثلاثين الف دينار على ان يترسخ الصلح لمدة ثلاث اعوام وبذلك نجت مدينة جيان من احتلال عسكري محقق[2].

ان الاضطرار الذي حمل ابن هود في دفع الاتاوة لصالح قشتالة نفسه كان سببا في ولوج محمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) هذه الوسيلة عندما اضطر الى عقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة المحاصر لمدينة جيان عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م على ان يدفع اتاوة سنوية قدرها مائة وخمسين الف دينار.

وعلى الحال نفسه خاض يوسف الخامس بن اسماعيل زعيم مملكة غرناطة تجربته فعندما تمكن القشتاليون من احتلال جبل طارق عن طريق الفجأة عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م التي كانت اول خطوة منذرة بزوال اهم واقوى وسيلة دفاعية استراتيجية لمسلمي الاندلس وهي قطع طريق النجدات التي كانت تمر بجبل طارق الامر الذي جعل يوسف الخامس مضطرا في سلوك وسيلة اخرى وهي اعطاء الاتاوة لملك قشتالة سنويا اغتناما للسلم والمهادنة[3].

([1]) عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٦٣ .

([2]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٢٢ .

([3]) فرحات، يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر، دار الجيل، (بيروت،١٤١٣هـ)، ص٤٥.

ثالثا: محاولات عقد صلح غير موفقة

تتمثــل الســلبية فــي مثــل هــذه الوســيلة ان الســلطات الاســلامية فــي الانــدلس التــي تحمــل علــى عاتقهــا مسـؤولية الــدفاع عــن هــذه المدينــة او تلـك ، تحــاول جاهــدة مــن اجــل عقــد صــلح يضــمن دفــع الاخطــار المحدقــة بالمدينــة الاســلامية الاندلسـية وتكـون النتيجـة هـي الفشـل سـواء فـي رفـض هـذه المحاولـة او ان نتائجهــا تكــون ذات تــأثير ســلبي علــى مســتقبل المدينــة ذاتهــا او غيرهــا مـن المـدن ، وبهـذه الحالـة فإنهـا تـدل علـى تقصـيير القيـادة السياسـية وفشـلها فـي ادارة الازمات ومواجهة الاخطار المحدقة بالمدينة الاسلامية الاندلسية .

وتتضــح هــذه الوســيلة عنــدما هــاجم الفونســو الســادس ملــك قشــتالة مملكــة سرقسطة الاسلامية التي كانت تحت حكم احمد بن يوسف الملقب بالمستعين بـالله (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥– ١١٠٩م) وضـرب حولهـا الحصـار الشـديد واقـدم زعـيم المملكة الى وسيلة دفاعية لم تكن ذات فائدة بل انها فشلت في دفع العدو الصائل حيث تحاور مع الفونسو وارسل اليه وفدا لعله يقنعه بالعدول عن مشروعه بالسيطرة على المدينة وعرض عليه اموالا كبيرة الا ان هذه الوسيلة لم يكن لها اي تأثير على قرارات الفونسو بل على العكس انه اصر على اخذ المدينة ودخولها عنوة(١) .

ولــم تكــن المحــاولات التــي تهــدف الــى عقــد الصــلح بــين الامــارات الاســلامية والنصــارى فقــط بــل كــذلك تكــررت كثيــرا فــي الصــراع الاســلامي الاسـلامي ومـن ذلـك مـا قـام بـه عبـد الملـك بـن احمـد بـن يوسـف الملقـب بعمـاد الدولــة عنــدما فشــلت جميــع محاولاتــه فــي ابعــاد المــرابطين عــن امارتــه وبالتــالي شــاهد الاصــرار المرابطــي للســيطرة علــى سرقســطة الامــر الــذي اضــطره الــى

---

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٣– ١٤٥ .

مراسلة امير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) للعدول عن امره بالسيطرة على مدينته بخطاب مؤثر يذكره فيه بما كان بين والديهما من اواصر ومودة ، الا ان هذه الوسيلة لم تنفع في شيء امام الاصرار المرابطي في السيطرة على سرقسطة وطرد بني هود واسقاط رايتهم عن تلك المدينة[١].

رابعا: الاستعانة بالنصارى ضد المسلمين

حملت هذه الوسيلة الخطر الحقيقي ضد الوجود الاسلامي في الاندلس لما تمثله من صراع من اجل السلطة، فعلى الرغم من انه الواجب من اتحاد جميع القوى الاسلامية ضد العدو الحقيقي المتمثل بالممالك الاسبانية النصرانية التي تقضم المدينة بعد الاخرى من الامارات الاسلامية المتاخمة لها ومع ذلك فقد اتحد هؤلاء معهم من اجل مصالحهم الشخصية وقاوموا بمحاولة لتوحيد الصف الاسلامي تجنبا للانصياع لرغبات للممالك النصرانية بل والاتحاد معها سياسيا او عسكريا من اجل البقاء في السلطة رغم مما تحمله هذه الوسيلة من مخالفات شرعية كبيرة.

تتضح هذه الوسيلة في مقاومة الممالك الاسلامية في عهد ملوك الطوائف ضد المجهود المرابطي لتوحيد الجبهة الاسلامية الاندلسية المتفرقة ضد الممالك الاسبانية النصرانية ، ومن ذلك ما اقدم عليه احمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥– ١١٠٩م) زعيم مملكة سرقسطة عندما شعر بالخطر المرابطي الداهم على مملكته لذلك لجأ الى عدوه الاخطر والدائم المتمثل بالممالك الاسبانية النصرانية وذيولها في

---

(١) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٦٥-١٦٦ .

المنطقة لاسيما المدعو السيد الكمبيادور الذي يشعر بنفس الخطر من التقدم المرابطي وعقد حلفا بين الطرفين من اجل الوقوف بوجه المرابطين[١].

ولم يكن هذا هو الاجراء الوحيد من قبل المستعين بالله (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥– ١١٠٩م) ضد التقدم المرابطي بل عقد حلفا لمواجهة هذا الخطر مع عدوه الذي سبق وان استعان بالمرابطين من اجل ابعاده الا وهو مملكة اراغون الذي سبق وان سيطروا على مدينة وشقة التي كانت تمثل الحصن الاول لإمارة سرقسطة وبهذا تتضح السلبية الكبيرة التي تحملها هذه الوسيلة[٢].

وجدت هذه الوسيلة ايضا في سياسة المعتمد بن عباد (٤٦١– ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩–١٠٩١م) الدفاعية لاسيما بعد ان عزم يوسف بن تاشفين (٤٨٤–٥٠٠هـ/ ١٠٩١– ١١٠٦م) ان يقضي على ملوك الطوائف ومنهم المعتمد فسار امير المرابطين قاصدا اشبيلية حاضرة بني عباد فحاصرها حصارا شديدا ولم يجد المعتمد بدا من طلب النجدة من ملك قشتالة الفونسو السادس الذي استجاب له بدعم عسكري الا ان المرابطين كانوا عازمين على اقتحام المدينة وتم لهم ذلك[٣].

وقد حملت هذه الوسيلة من السلبيات الكثيرة فعلى الرغم من مخالفاتها للثوابت الشرعية الواضحة فإنها كذلك تناقض سياسته التي انتهجها في الدفاع عن مدن الاندلس التي على اساسها استعان بالمرابطين الا اننا نلاحظ التناقض الكبير

---

(١) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٣٩ .

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٩؛ البستاني ، معارك العرب في الاندلس، ص٣٩ .

(٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٠٠–٢٠١؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية ، ص١١٠–١١١؛ العامري، محمد بشير، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)، ص١٩٧ .

في استعانته بالقشتاليين العدو ضد المسلمين بالإضافة الى ذلك ان هذه الوسيلة لم تأت باي نتائج ايجابية في الدفاع عن مدينته.

ولم تكن مدينة بطليوس بعيدة عن هذه الوسيلة السلبية فعندما دهمها الخطر المرابطي حسب وجهة نظر زعيمها المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١-١٠٩٤م) لم يجد حرجا من الاستعانة بملك قشتالة الفونسو السادس. وعلى الرغم من السلبيات التي حملتها هذه الوسيلة التي قد اشرنا اليها وفي الوسيلة التي سبقتها الا ان هذه الوسيلة حملت الكثير من التنازلات لصالح القشتاليين[١] .

وجدت هذه الوسيلة طريقها الى مدينة شلب عندما حاول زعيمها ابن قسي التصدي للتقدم الموحدي بكل الوسائل الممكنة وعندما رأى عجزه وخسارة الجميع وقف بوجه التيار الموحدي من زعماء المدن الاندلسية قرر اللجوء الى الاستعانة بملك البرتغال ألفونسو هنريكيز ، الذي تسميه المصادر الاسلامية (ابن الرنق و ابن الرنك) للتحالف والعون، فاستجاب ألفونسو إلى دعوته، وبعث إليه بهدية ووعده بالعون ، فلما رأى أهل المدينة ركون ابن قسي إلى النصارى ثاروا عليه وقتلوه[٢]، ان مخالفة هذه الوسيلة للشرع الاسلامي واساسيات السياسة كانت السبب المباشر والرئيس في القضاء على صاحبها ابن قسي.

---

(١) التميمي، بنو الأفطس في بطليوس ، ص٨٨ ؛ الحارث، مدحت محمد عبد، الرهائن السياسيون في الأندلس، ببلومانيا للنشر (القاهرة، ٢٠١٨م) ص٤١٤-٤١٥.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٠٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٣/١٣؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح ابو غدة، دار البشائر الاسلامية (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٥٧٩.

خامسا: اعلان الطاعة للنصارى

اضطر الكثير من الزعماء المسلمين في المدن الاسلامية الاندلسية اعلان الطاعة للممالك الاسبانية والدخول في طاعتهم كوسيلة دفاعية تهدف الى تخليص مدنهم الاسلامية من الخطر المحدق الذي يحيطها المتمثل بالجيوش النصرانية المرسلة من قبل الملك النصراني نفسه، فعلى الرغم من انها كانت اسهمت في الحفاظ على العديد من المدن الاسلامية الا انها كانت ذات نتائج سلبية لا تخفى على اي باحث في هذا المجال اذ انها جعلت من الزعماء المسلمين تابعين ذليلين للملك الاسباني ويجب عليهم طاعته في السراء والضراء.

فعندما هاجم فرناندو الاول الذي تسميه المصادر الاسلامية (فرذلند) ملك قشتالة وليون مملكة طليطلة مستهدفا مدينة سالم وطلمنكة(١) ووادي الحجارة وقلعت النهر لم يكن امام صاحب مملكة طليطلة المأمون بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) الا الاذعان لهذه الحملة بل وذهب الى اكثر من الموادعة والتهادي واعطاء الاتاوة فاعلن اعترافه وطاعته لملك قشتالة وليون الامر الذي كان السبب المباشر في سحب فرناندو لجيوشه وبذلك سلمت هذه المدن من خطر كان على اقل تقدير يدمرها ويستبيح اهلها، وبذلك اصبح تابعا له(٢).

وكان الاضطرار بكل معانيه فضلا عن حالة الضعف الشديد والانقسام بين القوى الاسلامية في الاندلس الاسلامية هو السبب المباشر في قبول وانصياع

---

(١) مدينة بثغر الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن منها أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الطلمنكي المقرئ ، وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٨٩١/٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٣٩٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٢٨.

(٢) عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٣٨٣-٣٨٤ .

الزعماء المسلمين لهذه الوسيلة على الرغم من السلبيات الكثيرة المترتبة عليها التي من اخطرها في عدها من بين الخيانات العظمى التي كثيرا ما تكون سببا مباشرا في ثورة المسلمين ضد هذا الحاكم او ذاك بتهمة الارتماء في احضان النصارى او خيانة قضايا المسلمين الذين بقاءهم مرهون في مقاومة تمدد القوى الاسبانية الى الاراضي الاسلامية ومن اوضح الصور المذلة التي تصور لنا هذا الحال هو ما ذهب اليه القاضي ابن حمدين[1] الثائر في مدينة قرطبة ضد المرابطين وقائدهم العسكري ابن غانية عندما دخل في طاعة ملك قشتالة الفونسو ريموندیس الذي سانده من اجل السيطرة على قرطبة التي استعصيت عليهم بقيادة ابن حمدين[2] .

وعلى الرغم مما سجلته المصادر الاسلامية من موقف ابن غانية في التصدي للقوة المتحالفة المستهدفة مدينة قرطبة الا انه لم يبتعد عما ذهب اليه ابن حمدين القاضي في محالفته للنصارى حيث تفاهم معهم على ان يخرجوا من مدينة قرطبة وان يحكم المدينة باسم الملك القشتالي. وعلى الرغم من السلبيات لهذه الوسيلة الا ان مما لا يختلف عليه اثنان انه تمكن من ان ينقذ المدينة من دمار محقق كان قاب قوسين او ادنى على يد النصارى وفي ذلك جاء في المصادر الاسلامية ان الفونسو خطب باهل قرطبة وقال لهم: ((ولا يريبنكم أن تكونوا تحت يدي ونظري، فعندي كتاب نبيكم إلى جدّي. حدّث ابن أم العماد أبو الحسن، قال: حضرت، وأحضر حقّ من ذهب، فتح

---

(1) هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي ، واوردته مصادر اخرى بانه حمدين بن محمد بن حمدين من مشاهير القضاة في الاندلس والذي ثار في فترة ضعف الدولة المرابطية وتسمى بامير المؤمنين في قرطبة عام ٥٣٩ وتوفي عام ٥٤٦ . ابن النباهي، المرقبة العليا، ص١٠٣؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٢١٥ .

(2) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٠-٣٠١ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٦.

وأخرج منه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى قيصر ملك الروم، وهو جدّه بزعمه. والكتاب بخط علي بن أبي طالب (عليه السلام). قال أبو الحسن: قرأته من أوله إلى آخره، كما جاء في حديث البخاري))[1] وانصرف إلى بلاده، وانصرف معه ابن حمدين وبذلك نجت مدينة قرطبة على الرغم من دخولها بطاعة ملك قشتالة.

وتكررت هذه الوسيلة في عصر مملكة غرناطة وحكامها بنو الاحمر الذين اضطر ملكهم محمد الاول (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) امام سيول جيوشهم الجرارة عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م ان يعلن طاعته الى ملك قشتالة في مدينة جيان التي كان يحاصرها القشتاليون فاصبح بذلك ابن الاحمر يحكم ما بيده من مدن وحصون باسم ملك قشتالة و عليه ان يحضر الاجتماع السنوي الذي يقيمه ملك قشتالة لعماله وولاته باعتباره احدهم[2].

وعلى الرغم من السلبية التي حملتها هذه الوسيلة الا انها اطالت من عمر بقاء المسلمين في الاندلس لمدة لا تقل عن قرنين ونصف من الزمن لأنها اعطت لبني الاحمر الفرصة الكافية لإعداد وتأسيس دولة قوية استطاعة مجابهة الممالك النصرانية لفترة طويلة من الزمن .

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠١؛ بخيت، رجب محمود إبراهيم، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة، ١٤٣٠هـ)، ص٣٩٥- ٣٩٧.

(2) عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ص٥٦؛ الكركجي، لأزمات الاقتصادية في الأندلس، ص١٤٩-١٥٠.

الفصل الثاني

الوسائل الدفاعية العسكرية

المبحث الاول: الوسائل العسكرية الايجابية

اولا: الجاسوسية العسكرية

ثانيا: الوسائل العسكرية البحرية

ثالثا: رد الحملات الاسبانية بحملات معاكسة

رابعا: تجهيز حملات الانجاد الداخلية

خامسا: حملات الانجاد الخارجية

سادسا: الاهتمام بالجيش والتسليح

سابعا: استقطاب المتطوعة واعدادهم العسكري

ثامنا: التستر والامتناع في المدن و الحصون

تاسعا: التعبئة العسكرية والاستنفار

عاشرا: الأشراك والكمائن والدهاء العسكري

الحادي عشر: السيطرة على الحصون والقلاع الحدودية

الثاني عشر: التوسع العسكري الدفاعي

الثالث عشر: وسائل رعب وتشريد العدو

الرابع عشر: الوسائل والخطط العسكرية في المعارك الدفاعية

الخامس عشر: الدعم والامداد بالفرق العسكرية

المبحث الثاني: الوسائل العسكرية السلبية

اولا: الاستعانة العسكرية بالممالك الاسبانية

ثانيا: محاولات الانجاد العسكرية الفاشلة

ثالثا: الخطط العسكرية فاشلة

المبحث الاول: الوسائل الدفاعية العسكرية الايجابية

تعد الوسائل الدفاعية العسكرية ردود فعل طبيعية نتيجة للصراع العسكري الدائم والمستمر بين الكيانات الاسلامية في الاندلس والممالك الاسبانية النصرانية واختلفت هذه الوسائل بحسب نهجها العسكري الى ما يأتي:

اولا: الجاسوسية العسكرية

تعد الجاسوسية من اولى الوسائل العسكرية التي من الممكن ان يتخذها المسلمون للحيطة في مباغتة العدو و التحديات المعادية التي تستهدف حدود الكيانات الاسلامية في الاندلس وتعد مثل هذه الاجراءات من اولى مهام القائد المسلم المحنك تقع على عاتقه تبعة الدفاع عن المدن الاسلامية المستهدفة، وقد دخل في هذا المعنى ما كان عيونا للمسلمين في معاركهم الدفاعية اذ ادوا دورا بارزا في رد عادية العدو المتربص بالمدن الاسلامية الاندلسية.

ان اولى الوسائل الدفاعية العسكرية التي كانت تدل الى ما ذهبنا اليه الحملة العسكرية التي قادها اردونيو عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥هـ بجيش قوامه ستين الف مقاتل واعتمد في ارشاده على اثنين من الادلاء المسلمين من البربر من قبائل مصمودة من البرانس و كانا يضمران عكس ما كان يطلب منهما فقادا الجيوش النصرانية بعيدا عن المدن الاسلامية في طرق صعبة المسالك ذات طبيعة وعرة مما ادى الى انهاك شديد للجيش الذي كان يقوده اردونيو[١].

ومن المحتمل وهو المرجح لدينا ان هذين الدليلين لربما كانا جاسوسين لصالح المسلمين اذ دلت نهايتهما على ذلك حيث قام اردونيو بإعدامهما نكالا لخيانتهما للقائد النصراني، فلو كانا غير ذلك لن يقدم اردونيو على اعدامهما

---

[١] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص١٠١ .

والاستغناء عن خدماتهما بعد ان كانا ادلاء الجيش الغازي للمدن الاسلامية الاندلسية اذ تبين له حقيقة امرهما[١].

و كان للمعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) باعا طويلة في هذه الوسيلة ويتضح ذلك في موقعة الزلاقة التي حدثت عام ٤٧٩هـ/ ١٩٨٦م لاسيما بعدما ابلغ المعتمد الزعيم المرابطي يوسف بن تاشفين(٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١-١١٠٦م) انه على اهبة الاستعداد ونبهه ان عدوه صاحب مكر وخديعة في الحرب فلجأ الى وسيلة دفاعية وهي بث العيون التي اشار اليها ابن ابي زرع بقوله: ((وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل سبق يأتونه باخبارهم وما يرونه من حركاتهم))[٢]، وقد كان لهؤلاء العيون دور كبير في المعركة لانهم اوصلوا خبر هجوم العدو الى ابن عباد بالوقت المناسب الذي بدوره اوصل الخبر الى القائد يوسف بن تاشفين الذي تأهب للتصدي للعدو. ففي هذا الشأن قال صاحب الانيس المطرب: ((... فبينما ابن عباد في اخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ اقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه فاخبروه ان العدو قد زحف نحو المسلمين في امم كالجراد المنتشر فارسل في الحين بالخبر الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجدوه على اهبة للحرب ...))[٣].

واللافت للنظر ان الوسائل الدفاعية في العصر الموحدي كانت يقظة ومستوعبة المعنى نفسه، فقد اورد ابن صاحب الصلاة خبرا عن وسيلة قام بها والي مدينة قرطبة الاسلامية في تصديه لحملة ابن مردنيش ومن معه من النصارى عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م حيث خرج من مرسية باتجاه قرطبة وحاصرها حصارا شديدا ((...

---

[١] عنان، دولة الاسلام، ج١، ص٣٩٣ .

[٢] الانيس المطرب، ص١٤٧ .

[٣] ابن ابي الزرع، ص١٤٧ .

ونازلها ودمر زروعها، وعفى ربوعها ...))[١] وكان على المدينة ابو زيد عبد الرحمن بن تيجيت الذي ((دافع مدافعة الفرسان الابطال، اهل الوفاء بالبيعة للأمر العزيز في كل حال، وقاتله اشد قتال، ولاقى عنده ما يلقي من الآساد عند حماية ابنائها الآساد))[٢] الا ان هذا الجهد لم يثن ابن مردنيش عن عزمه في السيطرة على المدينة، لذلك لجأ والي المدينة الى حيلة على اثر اجتماعه بالقاضي أخيل بن ادريس وتقتضي هذه الحيلة ان يرسلوا جاسوسا الى ابن مردنيش على هيئة زَيَّات[٣] من اهل الشرف يحمل رسالة مزيفة على لسان سيد راي بن وزير[٤] يدعو فيها ابن مردنيش للاقلاع عن مدينة قرطبة والتوجه باسرع وقت الى اشبيلية وهو ضامن له دخولها، ونجحت هذه الخطة بانسحاب ابن مردنيش عن قرطبة[٥].

ومن الغريب انه كان لمدينة اشبيلية والقائمين على حمايتها الوسيلة الدفاعية نفسها لحمايتها من ابن مردنيش واتباعه النصارى فكانت عيونهم تراقب تحركاته عن طريق جاسوس يعمل لصالح الموحدين الحاكمين لمدينة اشبيلية وعندما علم بموضوع رسالة سيد راي بن وزير اسرع الى اشبيلية وابلغ واليها السيد ابا يعقوب بتحرك ابن مردنيش الى اشبيلية فاسرع بالقبض على ابن وزير وزجه في السجن واستعد للمواجه

---

[١] ابن صاحب الصلاة، أبو محمد عبدالملك بن محمد بن أحمد (ت: ٥٦٤هـ)، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، ط٣ (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٦٦ .

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٦٦.

[٣] هو مصطلح يطلق على من يمتهن بيع الزيت او يعصره. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط٣ (بيروت، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٣٥ .

[٤] هو ابو محمد سيد راي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي الاندلسي من رجال الدولة الموحدية في مراكش والذي كان له دورا بارزا في التوسع الموحدي في الاندلس بعد ان ارسله الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن اليها عام ٦٥٥هـ. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٧؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص١٤٨.

[٥] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٦٧ .

وعندما وصل ابن مردنيش الى اشبيلية قام بمحاصرتها وبعد ثلاثة ايام علم بان هذا الامر كان حيلة وقد لعب فيه الجواسيس وافشلوا مقاصده ومبتغاه السيء تجاه المدن الاسلامية في الاندلس لذلك اقلع خاسرا خائبا[١].

ثانيا: الوسائل العسكرية البحرية

كان الزعماء المسلمون في الاندلس يولون الوسائل الدفاعية البحرية الاهمية الكبيرة لوقوفهم على قوة وتطور القوة الهجومية البحرية للممالك الاسبانية النصرانية وعلمهم بما يحيط شبه الجزيرة الاندلسية من ممرات مائية كان تأمينها واجبا على من له السمع والطاعة في المدن الاسلامية الاندلسية.

وان اول من قام بهذه الوسيلة المهمة خلال فترة الدراسة الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) الذي قصد في شهر رجب عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م الثغر البحري المهم (المرية) في عدد من القادة العسكريين ليشرف بنفسه على الوسائل الدفاعية البحرية في ذلك الثغر وعمل على تجديد الاسطول البحري وتطويره[٢]، وكانت المرية تعد في ذلك الوقت من اعظم المراسي البحرية حيث بلغت السفن الراسية في ذلك الوقت ثلاثمائة سفينة بحرية[٣]، وامر المستنصر بالله في زيادة التحوط وان تحشد سفنا صغيرة في نهر قرطبة (نهر الوادي الكبير) كوسيلة دفاعية لمدينة قرطبة ويكون ترتيبها على هيئة مراكب النورمان وتكون مهمتها حماية العاصمة من اي اختراق محتمل للأساطيل الاسبانية عن طريق النهر كما حدث لمدينة اشبيلية في هجومهم عليها[٤].

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٦٨ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٦٨ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٦٨ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩.

وفي عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م اقدم النورمان على غزو المسلمين بحريا فامر المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) بتفعيل وسائله الدفاعية البحرية التي من بينها العهد الى امير البحر المسلم عبد الرحمن بن رماحس[١] واعطائه جميع المسؤوليات لرد عادية هذه الغزوة الاسبانية واوعز بتسيير الاساطيل الاسلامية من المراسي العسكرية لمدينتي المرية واشبيلية ، ومن خلال تلك الوسائل الدفاعية استطاع المستنصر بالله وقواده العسكريين صد تلك الحملات النورمانية البحرية ودفع خطرها عن المدن الاسلامية الاندلسية[٢].

وعلى الرغم مما تقدم من وسائل بحرية سواء أكانت من التحصين او التسليح الا انها لم تكتمل ولم تتطور بالدرجة المرضية الا في عهد مجاهد العامري (٤٠٠-٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) زعيم مملكة دانية والجزائر الشرقية البحرية الذي استطاع بوقت قصير من بناء ترسانة عسكرية بحرية تمكن من خلالها السيطرة على الشواطئ الاسلامية وابعاد خطر الممالك الاسبانية لمدة طويلة حتى اصبحت جزيرة دانية من احصن المدن الاسلامية بوسائلها الدفاعية البحرية الجيدة.

وكان الاعتماد الرئيس في بناء وسائله الدفاعية إقدامه على بناء الاسطول البحري وتطويره فأعاد بناء دار صناعة السفن بمدينة دانية وعمل على مضاعفة طاقاتها الانتاجية ولم يكتف بذلك بل عمل على تنوع انتاج هذه الدار فأصبحت بذلك

---

[١] هو عبد الرحمن بن محمد بن رماحس ، قائد بحري مسلم اعتمدت عليه الدولة الاموية في الاندلس في الكثير من المهمات البحرية في الاندلس. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٧٠-٧١.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤١؛ الخزاعي، عبد الأمير حسين علوان، البحرية الإسلامية في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١١ - ١٤٩٢ م، دار المنهل (بلا.مكان، ٢٠١١م)، ص١٠٨-١٠٩.

تمد المملكة بالعديد من السفن الصغيرة والكبيرة والحربية والناقلة حتى انه استكثر منها، واستطاع بذلك بناء اسطولا كبيرا واصبح يرابط في مياه الجزائر الشرقية مما جعله من اقوى الوسائل الدفاعية العسكرية فاستطاع به من القضاء على اي محاولة للنيل من استقرار المدن الاسلامية في تلك الجزائر[١]، ولم يكتف مجاهد بهذه النتائج فعندما احس بتهديد النصارى في جزيرة سردانية قرر توجيه حملة عسكرية استطاعت السيطرة على هذه الجزيرة عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م وضمها الى المدن الاسلامية[٢]، وبهذه الوسيلة استطاع ان يبعد كافة الاخطار عن تلك المدن الاسلامية وابعد عنها اي خطر بوسائل دفاعية تنم عن قيادة فذة مقارنة بمثيلاتها في عهد ملوك الطوائف المتخاصمين المتعادين[٣].

ومما يدل على حسن ومناعة الوسائل الدفاعية العسكرية البحرية التي ارساها مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) لم تجرؤ القوات النصرانية بمختلف تسمياتها من القيام باي عمل عسكري ضد مدينة دانية .

ومن الوسائل البحرية التي اسهمت بالدفاع عن مدينة ميورقة عندما حاصرتها الجيوش النصرانية في عهد اميرها بشر الذي استنجد بسلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الذي بدوره ارسل حملة عسكرية بحرية كبيرة بلغ قوامها ثلاثمائة سفينة بحرية عسكرية مما ارغم العدو على فك الحصار عن مدينة ميورقة الاسلامية عام

---

[١] عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص١٩٠.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١١٦؛ الحارث، الرهائن السياسيون في الأندلس، ص٩٢، ٤٠٦.

[٣] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٥.

٥٠٩هـ/ ١١١٥م وعمل ابن تاشفين على تحصينها عسكريا ورد سكانها الفارين اليها[١] .

اما في العهد الموحدي فعلى الرغم من الاندفاع العسكري القوي في الاندلس وما رافق ذلك من القيام بوسائل دفاعية عسكرية مختلفة الا اننا نلمس وبوضوح قلة الوسائل العسكرية البحرية الموحدية في الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية واستمر هذا الامر حتى قيام القوات النصرانية بتهديد اهم المدن الاسلامية الاندلسية البحرية ومراسي هذه المدن وهذا ما حصل لمدينة المرية الاسلامية عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م[٢]، لذلك كان الموحدون مضطرون الى ايجاد وسيلة بحرية تضمن ردع عادية النصارى فضلا عن ردع تهديد القوات النصرانية لخط مواصلات الموحدين البحري شرق بحر الزقاق[٣] فيما بين شاطئ المغرب الاوسط وجنوبي الاندلس، لذلك سار الامير ابو سعيد الموحدي الى مدينة المرية بجيش كبير و تحرك اسطول بحري من مدينة سبتة فحاصر المدينة وتمكن من الدخول اليها وتخليص هذه المدينة من الخطر الصليبي[٤].

وكان للخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) قدم السبق في الوسائل العسكرية البحرية لاسيما بعد عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م سنة عبوره

---

[١] المخزومي، ابو المطرف احمد بن عميرة (ت: ٦٥٨هـ)، تاريخ ميورقة، تح: محمد بن المعمر، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٢٧-٢٨.

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٥٢.

[٣] هو مجاز البحر بين طنجة، وهي مدينة بالمغرب على البرّ المتصل بالإسكندرية والجزيرة الخضراء، وهي في جزيرة الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٤ .

[٤] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٤٢؛ ابو الفداء، المختصر، ج٣، ص٣٣؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٥٨؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص١٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣١٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٢٢ .

الاول الى الاندلس بعد ان لمس الخطر المحدق بالمدن الاسلامية الاندلسية، فاقدم على تهيئة وسائل عسكرية بحرية تكون مهمتها قطع الطريق البحري امام الغزوات الصليبية المحتملة على المدن الاسلامية، فأمر بإنشاء السفن الحربية فأنشأ منها مائتي سفينة ، وقيل اربعمائة اعد منها في مرسى المعمورة على شاطئ وادي سبو مائة وعشرين قطعة واعد الباقي في مختلف ثغور العدوة والاندلس وقد اتم ذلك في عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م ، وان التنوع في الاماكن التي انجزت هذا الانجاز يدل بدون ادنى شك ان الخليفة عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) قد وضع الكثير من امكانات الدولة لصالح بناء ترسانة بحرية تسهم في مواجهة التحديات التي اصبحت تحيط بالمدن الاسلامية الاندلسية[١].

وفي عام ٥٥٧هـ هاجم البرتغاليون من البر والبحر بعد ان نقض ملكهم الفونسو هنريكيز الذي تسميه المصادر الاسلامية (ابن الرنك)[٢] وادي اشبيلية ثم مدينة باجة فاوعز الخليفة عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) بالتصدي لهم بوسيلة بحرية حيث بعث اسطوله المرابط بسبتة الذي كان تحت قيادة غانم بن مردنيش[٣] لاستهداف شواطئ البرتغال لاسيما مدينة اشبونة الامر الذي اضطر البرتغاليين الى الانسحاب من شواطئ المسلمين ومراسيهم[٤].

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) الرنك: لقب اطلقه العرب المسلمون على الملك الفونسو هنريكيز مؤسس مملكة البرتغال في غربي الاندلس. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٠١.

(٣) هو غانم بن محمد بن سعد بن مردنيش امير البحار في الجيش الموحدي قائد لأساطيل المغرب ومقره سبتة. ابن عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص١٨٤ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٢-٢١٣ .

وكان للخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥هـ/ ١١٨٤– ١١٩٩م) دور بارز في تهيئة واعداد الوسائل العسكرية البحرية كان القصد منها تأمين الجبهة الشمالية لاسيما بعد الانتصارات التي حققتها القوات القشتالية في زحفها اتجاه المدن الاسلامية لذلك اخذ الخليفة يعقوب المنصور اعداد العدة في المدينة وخرج منها عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م قاصدا قصر ابي دانس القريب اشبونة فهاجمها من جهة البحر وبذلك سيطر المنصور على الحصن ووضع فيه حامية عسكرية ليكون درعا باتجاه اي تقدم قشتالي[١].

ولم يكن الخطر الوحيد الذي واجه الموحديين بحريا متمثلا بالممالك الاسبانية بل زامن هذا الخطر تحديا داخليا هو تعاظم نفوذ بني غانية الذين اصبحوا يبغون مد نفوذهم الى الجزر الشرقية وطرد القوات الموحدية منها، فهاجم عبد الله بن اسحاق بن غانية[٢] جزيرة يابسة[٣] عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م الا ان حملته فشلت بسبب تصدي الموحديين لها[٤]، فكرر ابن غانية محاولته عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م الا انه غير وجهته الى جزيرة منورقة

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٤ .

([٢]) هو عبد الله بن اسحاق بن غانية من بقية عائلة بني غانية وعاملهم على الجزائر الشرقية والذي قتل على يد الموحدون اثناء سيطرتهم على ميورقة عام ٦٠٠هـ . المراكشي، المعجب، ص٢٣١.

[٣] وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة وأقرب الأندلس إليها مدينة دانية وبينهما مجرى وفي شرقي جزيرة يابسة جزيرة ميورقة. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٨٢ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣١١ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧ .

واستطاع السيطرة عليها وطرد القوات الموحدية منها[١]، الامر الذي جعل الخليفة الموحدي محمد الناصر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) يوجه حملة عسكرية لرد عادية بني غانية فحاصرت ميورقة وبعد قتال عنيف استطاع الموحدون من الدخول الى المدينة والقبض على بني غانية في شهر ربيع الاول عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م[٢].

ومن الغريب ان بني الاحمر تلكؤوا كثيرا في تطوير وسائلهم العسكرية البحرية حيث لم تسجل المصادر التاريخية اي وسيلة بحرية حتى عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ، وربما كان السبب في ذلك هو اقتصار حدود مملكة غرناطة البحرية على الجهة الجنوبية الامر الذي جعل حماية تلك الاطراف من مهمة عدوة المغرب عامة وبني مرين خاصة، فأصبح البحر المتوسط بمثابة بحيرة اسلامية من اغلب اطرافه، لهذا السبب نجد ان اولى الوسائل البحرية سجلت في عصر السلطان ابو الوليد اسماعيل[٣] (٧١٣- ٧٢٥هـ/ ١٣١٣- ١٣٢٤م) حيث هاجم القشتاليون غرناطة عام ٧١٦هـ / ١٣١٦م وتمكينا لهم ارادوا الهجوم على الجزيرة الخضراء التي تعد الممر الطبيعي لجيوش الدعم المغربية الى الاندلس ليقطعوا ذلك الدعم وبذلك يتم لهم ما يبتغون، ونتيجة لذلك الخطر المحدق أقدم ابو الوليد اسماعيل الى تجهيز اساطيل بحرية تترقب الوضع هناك وتكون مسؤوليتها حماية الجزيرة الخضراء من اي اعتداء

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧- ٥٦٨؛ ولد السالم، حماه الله، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربيه الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)، ص١٣٦ .

(٢) المخزومي، تاريخ ميورقة، ص٢٨؛ ابي، زرع الفاسي، الروض القرطاس، ص٢٣٢ .

(٣) هو أبو الوليد إسماعيل الغالب باللّه بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ٢٠٠/١ .

قشتالي بحري عليها ونتيجة لذلك عدل القشتاليون عن هدفهم المنشود في السيطرة على الجزيرة الخضراء[١].

ثالثا: رد الحملات الاسبانية بحملات معاكسة

اعتمد مسلمو الاندلس في كثير من الاحيان للدفاع عن مدنهم هناك بالرد على حملات الممالك الاسبانية التي تستهدفهم بحملات عسكرية مضادة تستهدف الجيش المتحرك من ارض العدو والالتقاء به بأماكن خارج المدن وبالتالي ابعاد الاخطار التي من المتوقع ان تكون نتيجة طبيعية لذلك الاعتداء والغزو.

فعندما قام الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١-١١٠٦م)بحملاته العسكرية التي استهدفت القضاء على دويلات الطوائف زاد في ذلك الظرف ضعف الوسائل الدفاعية في المدن الاسلامية لاسيما المدن المحاذية لمملكة قشتالة الامر الذي جعل ملك قشتالة يقود حملة عسكرية تهدف الى محاصرة عدد من المدن الاسلامية ونتيجة هذا الخطر القشتالي قام الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) باعداد حملة عسكرية كبيرة عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[٢] وعهد بقيادتها الى القائد محمد بن الحاج[٣] الذي سار الى طليطلة واصطدم بالجيوش القشتالية وانتصر عليهم انتصارا كبيرا جعل فيه قشتالة

---

[١] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج٣٢، ص٢٣٩؛ الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، ص٤١ .

[٢] السلاوي، الاستقصا ، ج٢، ص٥٦ .

[٣] هو ابو عبد الله محمد بن علي بن الحاج اللمتوني من قادات جيوش المرابطين في المغرب والاندلس والتي اعتمد عليه يوسف بن تاشفين في القضاء على دويلات الطوائف حيث سيطر على قرطبة سرقسطة وحكم بلنسية . ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٠؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٦٤ .

مضطرة الى سحب جيوشها عن المدن الاسلامية[1]، وبنفس الوسيلة استطاع المرابطون من ابعاد الخطر النصراني عن مدينة سرقسطة وبقيادة القائد نفسه محمد بن الحاج عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م وقد ساعده في هذه المهمة محمد بن عائشة[2] والي مرسية[3].

واستكمالا لهذه الوسيلة وترسيخا لمبدأ ابعاد الخطر عن مدينة سرقسطة الاسلامية سار واليها الامير ابو بكر[4] عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م الى حصن روطة[5] الذي كان يشكل الخطر المباشر الذي يهدد المدينة بإيعاز وتوجيه مباشر من قبل الفونسو ملك اراجون الذي كانت غزواته المنطلقة من هذا الحصن ترهق وتقلق الحامية المرابطية في سرقسطة[6].

ولما مرض السلطان يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) رأى ملك قشتالة ان الفرصة مواتية لتنفيذ رغباته في السيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية فاعد حملة عسكرية بلغ تعدادها ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل، نحو مدينة

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٨ .

[2] هو ابو عبد الله محمد بن عائشة احد اهم القادة الذين اعتمد عليهم يوسف بن تاشفين في ادارة الاندلس . ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد (ت: ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣ (القاهرة، ١٩٥٥م)، ج٢، ص٣١٤.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٨ .

[4] هو أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصحراوي صهر علي بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، وأبو ولده منها يحيى، كان مثلا في الكرم، وآية في الجود، أنسى أجواد الإسلام والجاهلية إلى الغاية؛ في الحياء والشجاعة والتّبريز في ميدان الفضائل. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢١٩ .

[5] وهو حصن حصين من اعمال مدينة سرقسطة يقع على وادي شلون. ياقوت الحموي، وعجم البلدان، ج٣، ص٩٦ .

[6] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٤ .

اشبيلية حيث استهدف احوازها ونتيجة لذلك الخطر قام القواد والولاة المرابطون في المدن الاسلامية الاندلسية بوسيلة عسكرية فباغتوا العدو بحملة معاكسة قادها الامير سير بن ابي بكر[١] والي اشبيلية ساندته جيوش غرناطة بقيادة ابي عبد الله بن الحاج وطاردوا القشتاليين في تلك الاحواز وشردوهم وقتلوا منهم نحو الف وخمسمائة رجل الامر الذي ابعد خطرهم عن مدينة اشبيلية واحوازها[٢].

واعادت الممالك الاسبانية الكرة لكن هذه المرة كانت تحت قيادة الفونسو ملك اراغون حيث قام بما يعرف بغزوة الفونسو المحارب (ابن رذمير) عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، التي اراد الولوج بها الى قلب الاندلس لاسيما غرناطة التي حرضه عليها نصارى المدينة[٣]، لذلك توغل في الاراضي

---

[١] وهو من اهم القادة العسكريين للسلطان يوسف بن تاشفين والذي كان له دورا كبيرا في العمليات العسكرية التي وجهها اليه يوسف التي كان الهدف منها القضاء على دويلات الطوائف وتوحيد الاندلس لاسيما بني عباد وبني هود وتسلم سير بن ابي بكر ولاية اشبيلية واستمر في حكمها حتى وفاته عام ٥٠٧هـ. أبو جعفر الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص٤٢؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٢؛ ابن خميس، ابو بكر أبي عبد الله بن عسكر، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٤٢٠هـ)، ص٢٦٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص ٧٧.

[٢] السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص٤٠٧.

[٣] وحري بنا ان نقف على تفسير الموقف السلبي لنصارى مدينة غرناطة من غزوة الفونسو المحارب والتي لم نجد لها تفسيرا سوى انهم وقفوا الى جانبه في غزوته على المسلمين انهم احسسوا ببعض الاضطهاد بعد ان قام يوسف بن تاشفين عام ٤٩٢هـ بتهديم كنيستهم بمدينة غرناطة والتي تسمى كنيسة البيرة بالاضافة الى ذلك ان لنزعة المرابطين القتالية واندفاعهم الشديد جعلهم يستفتوا عددا من العلماء في شأن هذه الكنائس والتي افتوهم بتهديمها وعدم جواز اعادة بنائها الامر الذي جعل النصارى يستائون من ذلك. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢١؛ بوفلاقة، محمد سيف الاسلام، التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)، ص٦٢ ؛ صالح،

الاسلامية مبتعدا عن المدن حتى وصل الى وادي اش[1] الا انه فشل في السيطرة عليها نتيجة مقاومة المرابطون لهذه الحملة حيث تكبد على اسوارها خسائر كبيرة[2]، وفي بلنسية خرجت حملة عسكرية بقيادة ابو عبد الله محمد يدر بن ورقاء[3] للوقوف بوجه العدو بحملات معاكسة جعله يقوم مضطرا الى اخفاء وجهته العسكرية حتى لا يتجمع المرابطون لقتاله[4].

وكان لوالي غرناطة ابو عبد الله بن الحاج في عهد الموحدين نصيبا بارزا من هذه الوسيلة فقد تقدم على المدينة النصارى المتحالفين مع ابن مردنيش الذين كانوا في تخوم المدينة واطرافها فاتخذ واليها وسيلة دفاعية هي تجهيز حملة تخرج اليهم وترد عاديتهم وتمكنت هذه الحملة من محاصرة القوة النصرانية في جبل بالقرب من وادي اش بعد ان قتل الكثيرين منهم واسر اكثر ومزق شملهم وبهذه الوسيلة سلمت مدينة غرناطة من خطر كان دائما ما يهددها، ونتيجة لهذا النصر المؤزر ارسل الوالي ابو عبد الله بن الحاج الى الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

نادية مرسي السيد، مملكة أرغون وعلاقاتها بالمسلمين في عهد الملك ألفونسو الأول "المحارب"، ١٠٤٠-١١٣٤ م/٤٩٤-٥٢٨ هـ ، عين للدراسات (القاهرة، بلا.ت)، ص٢٢٥ .

[1] مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٢ .

[2] عبد الرحمن، حضارة الاندلس، ص١١٥

[3] هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن يدر بن ورقاء، وقيل انه محمد بن يوسف بن يدر بن ورقاء، وتسميه بعض المصادر الاندلسية بـ يدير بن ورقا، وهو من اهم القادة العسكريين للمرابطين وولاتهم في الاندلس كان حاكما في بلنسية اثناء غزوة الفونسو الكبرى عام ٥١٩هـ وتوفي عام ٥٢٤هـ . ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٠؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص ١٥٧.

[4] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٠ .

(٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) رسالة يبشره بالانتصار فرد عليه الخليفة بمثلها اثنى عليه وشكر الله فيها على منه بالنصر[١].

وشكلت مملكة ليون تهديدا للمدن الاسلامية الاندلسية، لاسيما عندما غزا ملكهم فرناندو الثاني اراضي المسلمين فعاث فيها فسادا، فامر الخليفة الموحدي بتسيير حملة عسكرية من اشبيلية لمعاقبة فرناندو الثاني في عقر داره فخرجت الحملة بقيادة ابي حفص اخو الخليفة الموحدي ابي يعقوب في الثالث من صفر سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وكانت تستهدف مدينة السبطاط قاعدة مملكة ليون النصرانية وسيطرت في هذه الحملة على عدة حصون وقلاع[٢].

وفي سنة ٦٢٣هـ/ ١٤٢٦م هاجم عبد الله البياسي[٣] ومعه من حالفه من القوات القشتالية مدينة اشبيلية وضرب حولها حصارا شديدا، فاستعد واليها الموحدي السيد ابو العلاء لهذا الخطر وخرج بمن معه من المقاتلين الى حشود العدو فهزم البياسي ومن معه وعاد مخذولا بعد ماذاقه من تلك الوسيلة العسكرية الناجعة[٤].

وافتتح بنو الاحمر عهدهم بوسيلة دفاعية كان لها اثر كبير في بث روح مقاومة العدو القشتالي، فعندما قامت قشتالة عام ٦٣٦هـ/ ١٤٢٨م بمهاجمة مدينتي جيان وارجونة، خرج محمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) بجيش كبير لدفع القشتاليين عن ما تبقى للمسلمين من مدن وحصون بعد سقوط معاقل المسلمين المهمة في الاندلس، وكان القشتاليون تحت قيادة الفونسو وحدثت بين

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن، ص٢٧٥-٢٧٧ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٠٤

[٣] هو ابو محمد عبد الله البياسي والي الموحدين على مدينة قرطبة والذي اعلن خلع طاعتهم وتمكن من السيطرة على المدينة عام ٦٢٤هـ. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤٤؛ بلعربي، خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الالمعية (قسنطينة، ٢٠١١م)، ص٤٨.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤٤ ؛ عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص١٢٧.

الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة القشتاليين هزيمة شديدة ومنكرة[1].

وكان محمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) يتوجس خيفة من التحركات العسكرية لملك قشتالة فرناندو الثالث لاسيما تحركاته التي كانت تستهدف مدينة جيان التي تعرضت لخطر من سيطرته على مدينة قرطبة، وكانت توجسات ابن الاحمر في محلها اذ ارسل فرناندو جيشا كبيرا بقيادة ولده الفونسو فعاث في احواز جيان تدميرا وتخريبا وسيطر على ارجونة مسقط راس ابن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) ثم تحرك نحو غرناطة فحاصرها لذلك قرر ابن الاحمر الخروج من المدينة لمواجهة القشتاليين واستطاع رد حملتهم بخسارة كبيرة جدا عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م[2].

وعلى الرغم من الوسائل السياسية الدفاعية التي اتخذها بنو الاحمر في الدفاع عن مملكتهم الا ان النتائج الايجابية للوسائل العسكرية لاسيما الخروج بحملات معاكسة جعل هذه الوسيلة هي الخيار الامثل لدرء الخطر عن المدن الاسلامية الاندلسية المتبقية لذلك نرى ان الملك الرابع لمملكة غرناطة نصر ابو الجيوش (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨-١٣١٣م) لم يبتعد عن ما أصله محمد الاول (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) من الوسائل العسكرية فسار على نهجه في ذلك.

ففي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م هاجم الملك الارجوني خايمي مدينة المرية ونتيجة لذلك خرجت من مدينة غرناطة وبايعاز من نصر ابو الجيوش

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٥٢؛ عنان، دولة الإسلام، ج٤، ص٤٦٦؛ الكتاني، انبعاث الإسلام، ص٣٥؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٨٣.

[2] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص١٩٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٥٦.

(٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨-١٣١٣م) حملة عسكرية بقيادة عثمان بن ابي العلاء لدرء عادية الارجونيين وتواجه الطرفان بالقرب من مدينة المرية فهزم النصارى هزيمة شديدة حتى اضطروا الى فك الحصار عن المدينة في نجاح اخر لهذه الوسيلة الدفاعية في ابعاد الخطر عن المدن الاسلامية في الاندلس[١].

ومن ذلك ايضا الهجوم القشتالي على غرناطة بجيش كبير كان على راسه الوصيان على الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة وهما الدون بيدرو والدون خوان وعدد من الامراء ، ونتيجة هذه الاخطار قرر المسلمون الخروج من المدينة ومواجهة ذلك الخطر في هضبة البيرة بقيادة عثمان بن ابي العلاء في ٢٠ ربيع الثاني عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وحققوا بتلك الوسيلة انتصارا كبيرا وقتل من القشتاليين الالاف وكان من بينهم الوصيان بيدرو وخوان واسر منهم الالاف في نجاح كبير لهذه الوسيلة في رد عادية القشتاليون[٢].

وكان لهذه الوسيلة مكانا مميزا في وسائل مملكة غرناطة الدفاعية العسكرية لاسيما في عهد السلطان محمد الايسر[٣] (٧٩٩- ٨٥٧هـ/١٣٩٦-١٤٥٣م) حيث

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ٢٥٩/٣؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: احمد الطوخي، مكتبة افاق (الكويت، ٢٠١٢م) ، ص١١٥-١١٦ . ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٢٩-٣٣٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج٥، ص١١٥؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٩٨ .

(٢) لسان الدين بن الحطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٩٧؛ ابن خلدون، ج٤، ص١٧٠، ج٧، ص٢٥٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٠ .

(٣) هو محمد الايسر ابو عبد الله بن نصر بن ابي عبد الله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر السلطان الرابع عشر من سلاطين غرناطة. المقريزي،

واجه القشتاليين عندما هاجموا الجهة الشرقية لمدينة غرناطة واستطاع دفعهم وكان لـه نفس هذا الوسيلة فـي ردع عاديـة القشـتاليين عـن مدينـة ارشـدونة عـام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وكذلك في وادي اش وجبل طارق الذي قتل فيه قائد الحملة النصرانية عام ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م[١].

وكان لهذه الوسيلة دور كبير في تخليص مدينـة مالقة من الخطر القشتالي عندما هاجمتها قواتهم لتطويق المسلمين في غرناطـة لذلك خرج اليهم الامير محمد الزغـل (٨٩٠- ٨٩١هـ/ ١٤٨٥-١٤٨٦م) وخـاض معهـم معركـة حاميـة الـوطيس وهزمهم هزيمـة منكرة حتى قتل واسر منهم الالاف وكان بينهم الكثير من الاكابر والاشراف وسميت هذه المعركة بموقعة الشرفية[٢].

وتكـررت هـذه الوسـيلة مـرة اخـرى علـى يـد ابـي عبـد الله محمـد الزغـل (٨٩٠- ٨٩١هـ/ ١٤٨٥-١٤٨٦م) عنــدما هــاجم القشــتاليون حصــن ملكــين الـذي كـان بـه الاميـر ابـو عبـد الله محمـد الزغـل فيقـوم باصـلاح اسـواره وخـرج علـيهم وحـدثت معركـة بـين الطـرفين انتهـت بانتصـار المسـلمين انتصـارا كبيـرا فــي شـعبان عــام ٨٩٠هـ/١٤١٥م واستبشـرت غرناطــة بهـذا الانتصــار الكبيـر الذي تكبدت به قشتالة خسائر كبيرة[٣].

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م)، ج٣، ص٢٦٦.

[١] الكتاني، انبعاث الاسلام، ص٤٤ .

[٢] مجهول، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الاندلسيين الى المغرب، ضبطه: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص١٣ .

[٣] مجهول، نبذة العصر، ص١٧.

رابعا: تجهيز حملات الانجاد الداخلية

ونقصد بحملات الانجاد الداخلية هي الحملات العسكرية التي توجهها الزعامة السياسية التي تخضع اليها المدينة المستهدفة من قبل العدو التي تهدف الى دفع العدو الصائل عن المدينة الاسلامية، وبذلك يكون هذا الاجراء شئنا داخليا وليس لاي كيان خارجي دور في مثل هذه الوسائل الدفاعية العسكرية.

وتتضح هذه الوسيلة جليا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري عندما هاجم القشتاليون حصن غرماج الذي كان تابعا لخلافة قرطبة التي كان على راسها الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) وقاموا بمحاصرته، فقام بأرسال حملة عسكرية لإنقاذ الحصن المحصور الامر الذي شجع على ما يبدو الحامية المسؤولة على حماية هذا الحصن من الصمود والوقوف بوجه هذا الخطر وكان نتيجة هذه الوسيلة الدفاعية العسكرية ان قضي على الحملة القشتالية وشتت شملهم[١].

ومن حملات الانجاد الداخلية التي يجب الوقوف عندها عندما هاجم النورمان مدينة بربشتر[٢] عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م التي تعد من اعمال احمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر (٤٣٨- ٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م) فعندما دخل النورمان الى

---

[١] ابن حيان، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية (بيروت، ٢٠٠٦م)، ص١٧١؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٨٩؛ العامري، محمد بشير، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)، ص١٣٢.

[٢] مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بربطانية وهي من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩ .

المدينة احس المقتدر بالتقصير في نجدة المدينة الامر الذي جعله يعلن الاستنفار التام وتجهيز حملة عسكرية كبيرة استقطب فيها الاجناد من طوائف المسلمين وحاصر الجيوش الاسبانية المحيطة بالمدينة وتمكن بهذه الوسيلة الدفاعية من دفع العدو عن المدينة الاسلامية[١] .

و في عهد السيطرة المرابطية على المدن الاسلامية الاندلسية لم تكن الحملات التي سبقت السيطرة المباشرة وسيلة دفاعية داخلية لان الدولة المرابطية كان لها كيان سياسي مستقل لذلك كانت جميع الحملات التي سبقت السيطرة المرابطية ماهي الا حملات انجاد خارجية لنجدت المدن الاسلامية الاندلسية، اما حملات المرابطين وقادتها بعد عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م فهي حملات انجاد داخلية لان المدن الاندلسية اصبحت جزءا من الدولة المرابطية، ففي عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م عاد السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الى الاندلس عن طريق سبتة بقصد الجهاد ودفع العدو عن اراضي المسلمين ويتضح الدور الدفاعي لهذا العبور من خلال كلام صاحب الحلل الموشية بقوله عن غاية الغزوة: ((برسم الجهاد، ونصر الملة، واعزاز الكلمة))[٢]، ويتضح من خلال مسير الغزوة ان مما جهزت لأجله هو تحطيم الارادة القشتالية في طليطلة التي اصبحت منطلقا لغزو مدن المسلمين الاخرى حيث استهدفتها هذه الحملة بصورة مباشرة وسيطر على المناطق المحاذية لها[٣].

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٤٩- ٤٥٤ .

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٠ .

[٣] ولد سالم، حماه الله، صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)، ص٤٢.

وتكـــررت هـــذه الوســـيلة عـــام ٥١١هـ/ ١١١٧م و ٥١٥هـ/١١٢١م بعبـــور السـلطان علـي بـن يوسـف بـن تاشـفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الـى الاندلس لنجدتها من التمدد العسكري للممالك النصرانية على حساب المدن الاسلامية الاندلسية[١]، فقد اهتز السلطان علي بن يوسف لما بلغه من توالي المحن على القوات المرابطيـة فـي الانـدلس التـي كانـت تعد القوات الحاميـة والحصـن الحصـين للمدن الاسـلامية فـي شبه الجزيرة الايبيريـة، فكان السبب فـي عبوره هو ما اصـاب الجيوش المرابطيـة مـن خسـائر جسيمة فـي كتنـدة (قتنـدة)[٢]، فعبـر لتـدارك الامـور واصلاح ما افسدته الحملات النصرانية المتتالية على المدن الاسلامية الاندلسية[٣]، و ان سبب عبوره كان وسيلة دفاعية ضد خطر اخر وهو حدوث ثورة ضد التواجد المرابطي في مدينة قرطبة فوصل اليها وحاصرها واستطاع بمدة وجيزة من تسوية الامور لصالح التواجد المرابطي في الاندلس[٤].

وفـي عـام ٥١١هـ/ ١١١٧م ولـي امـر مدينـة سرقسطة عبد الله بـن مزدلـي[٥] (٥١١- ٥١٢هـ/ ١١١٧-١١١٨م) فسار اليها من مدينـة غرناطـة فوجد ابن رذمير قد اذاق اهلها شرا فاشتبك معه في عدة معارك شديدة حتى هزمه وبذلك استطاع هذا

---

[١] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥١؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب، ص١٦١.

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٦٤.

[٣] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٥٤.

[٤] عنان، دولة الاسلام المرابطين، ص٨٤ .

[٥] هو من الامراء المرابطين الذي تسنم منصب عديدة في عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين ومن ذلك ولاية غرناطة ثم بلنسية وسرقسطة. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣ .

الوالي انجاد مدينة سرقسطة بحملات انجاد داخلية وبإيعاز ودعم من قبل السلطان علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦–١١٤٣م)[١].

وسار المرابطون من بعد السلطان علي بن يوسف (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦–١١٤٣م) بنفس النهج لاسيما في عهد السلطان تاشفين بن علي بن يوسف (٥٣٧ – ٥٤٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) الذي كان له باع طويلة في الوسائل العسكرية الدفاعية لاسيما ما كان منها من حملات انجاد داخلية لان كثيرا من المدن الاسلامية الاندلسية كانت تابعة اداريا الى حكم المرابطين في المغرب، ففي عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م اتجهت حملة قشتالية باتجاه مدينة قرطبة حتى اصبحت على مقربة منها ونتيجة لاستغاثة واليها عبد الله بن تينغمر[٢] بادر اليها السلطان تاشفين بن علي (٥٣٧ – ٥٣٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) بقوات كبيرة الامر الذي جعل القشتاليين يترددون في توغلهم في اراضي المسلمين فعادوا ادراجهم خائبين الامر الذي سلم مدينة قرطبة من هذا الخطر المحدق[٣].

واعاد السلطان تاشفين بن علي (٥٣٧ – ٥٣٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) هذه الوسيلة مرة اخرى عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١م عندما هاجم القشتاليون مدينة اشبيلية وخسر واليها معركة الدفاع عن المدينة واصبحت المدينة في متناولهم لولا تدخل تاشفين بن علي بقواته للدفاع عن المدينة وعندما علم النصارى بقدومه انسحبوا واخذ يطاردهم حتى تمكن من طردهم من احواز المدينة وواديها، ثم تابعهم حتى وصل

---

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦٢ .

(٢) وهو من اهم القادة المرابطين الذين تسلموا مناصب عديدة ومن المقربين لزعماء المرابطين كونه ابن اخت الاميرعلي بن يوسف بن تاشفين. السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص٤١٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٠ .

الـى يـابرة[1] حيـث التقـى معهـم هنـاك فهزمهم هزيمـة منكـرة واسـتطاع بهـذه الوسـيلة العسكرية من استنقاذ الاسرى والغنائم من يد القشتاليين الذين سبق ان تم اسرهم في وقت سابق عند صولتهم على احواز مدينة اشبيلية[2].

وهكـذا تمكـن السـلطان تاشـفين بـن علـي (٥٣٧ - ٥٣٩هـ /١١٤٣ - ١١٤٥م) من انقاذ مدينة اشبيلية بوسيلة عسكرية تنم عن الحس الدفاعي الذي كان يتمتع بـه السلطان تاشفين لاسيما في وسيلة الانجاد التي كانت رئيسة في سياستهم الدفاعية عن المدن الاسلامية في الاندلس.

وقد اعيد العمل بهذه الوسيلة العسكرية لكن في هذه المرة كانت بقيادة القائد العسكري المرابطي الفذ يحيى بن غانية عندما حاصر النصارى مدينة افراغة[3] حتى كادت ان تسقط بأيديهم بعد حصار عنيف للمدينة الامر الذي تطلب من يحيى بن غانيـة ان يهرع لإنجـاد المدينـة وقد نفذ مـا عليـه وتمكنـت حملتـه فك الحصـار عن المدينـة وتقابـل معهـم فـي معركـة شـديدة انتهـت بهزيمـة النصـارى هزيمـة سـاحقة فـي رمضان عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م[4].

وفـي عـام ٥٣٨هـ كـان لهذه الوسيلة مكانـا فـي الدفـاع عن مـدن اخرى حيث هاجمت قشتالة بقيادة الفونسو السابع الذي تسميه المصـادر الاسـلامية (الفنش بن رمـد) مدينـة بطليـوس وعـاث فيهـا فسـادا الامـر الـذي جعـل السـلطان تاشـفين بـن علـي(٥٣٧ - ٥٣٩هـ /١١٤٣ - ١١٤٥م)يعد حملـة عسكرية لانجاد المدينـة وانقاذ

---

[1] وهـي من مدن غرب الاندلس وهي من كور مدينة باجة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٢٤/٥ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٥ .

[2] ابن القطان، نظم الجمان ، ص٢٢٦-٢٢٨ .

[3] وهي من المدن الاندلسية ومن اعمال ماردة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٧.

[4] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٠ .

المسلمين، وتصدى للعدو قرب الزلاقة بعد ان نظم جيشه ودارت معركة قوية بين الطرفين انتصر فيها المسلمون وقتل فيها اعداد كبيرة من القشتاليين وانقذ الاسرى المسلمون الذين كانوا تحت ايديهم وبعد ان سلمت مدينة بطليوس من كيد القشتاليين بالوسائل العسكرية عاد السلطان تاشفين بن علي الى مدينة قرطبة ظافرا قاهرا لاعدائه[1].

وفي الفترة التي شهدت ضعف السطوة المرابطية اصبحت التحديات التي تواجهها المدن الاسلامية الاندلسية كثيرة لاسيما الحملات التي كانت تبغي السيطرة على المدن الكبيرة والرئيسة في الاندلس ومن ذلك الحملة التي قادها ابن قسي في مدينة شلب وهاجم مدينة اشبيلية بقيادة ابن المنذر الامر الذي جعل ابن غانية مضطرا لإرسال حملة انجاد على وجه السرعة لدرء الخطر الذي يهدد المدينة فالتقت الحملة بالمريدين في طريانة فاوقعت بهم وفر ابن المنذر من ارض المعركة وبذلك نجت المدينة من الاقتحام العسكري[2].

وعندما سيطر الموحدون على مقادير الحكم والادارة السياسية والعسكرية في المدن الاندلسية اصبحت حملاتهم العسكرية داخلية فلم تكن الاندلس ومدنها الكبرى الا جزءا لا يتجزء من دولتهم الكبرى لذلك عدها الموحدون املاكهم وبذلك اصبحت حتى في حالة عبورهم العسكري من المغرب وسيلة انجاد داخلية للدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية من التحديات والاخطار التي تواجهها، ومن تلك الاخطار خطر ابن مردنيش الذي اصبح يشكل خطرا حقيقيا على التواجد الموحدي في الاندلس فهاجم مدينة اشبيلية ومن بعدها مدينة قرطبة الامر الذي جعل الخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) يعبر بنفسه لحماية دولته ومدنه وليقف

---

[1] ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٣٥ .

[2] ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٠٦-٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٦ .

على وسائلها الدفاعية ويعالج المثالب التي اعترى الحاميات الدفاعية وكذلك اذكاء روح الجهاد في تلك المدن وزيادة البعوث العسكرية الانجادية من المغرب وبالتالي ابعاد الخطر المحدق بها[١].

وعبر الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) الى الاندلس في ذي القعدة عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م وقام هناك بعدة وسائل عسكرية التي كان اغلبها حملات انجاد داخلية وكان اولها موجها الى مدينة قرمونة[٢] حيث استطاعت هذه الحملة من القاء القبض على احد المتآمرين على المدينة المدعو عبد الله بن شراحيل الذي كان يمثل خطرا على المدينة من خلال اتصالاته بالعدو واخذ الى اشبيلية حيث صلب مع عدد من اتباعه فيها ليكونوا عبرة لغيره[٣].

وارسل الخليفة عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) حملتين اخرتين الى اشبيلية وقرطبة وكانت الغاية منهما ان تهدأ بهما نفوس الناس وتقوى ضد عدوهما ابن مردنيش الذي خافه اهل المدينتين وعسكرت الحملة الاولى بالقرب من اشبيلية لتكون درءا لها من اعدائها فهدأت قلوب الناس وامنت نفوسهم، وحملت الثانية معها الى قرطبة المؤن والعتاد والاقوات لشد ازرها وتقوية وسائلها الدفاعية[٤].

وارسل حملة انجاد عسكرية الى مدينة غرناطة التي هددها جيش عبد الله بن شرحيل وكانت الحملة كبيرة جدا حتى بلغ تعداد المقاتلين فيها عشرين الف مقاتل

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٦؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٦٥-٦٦ .

[٢] او قرمونية مدينة بالاندلس يتصل اعمالها باعمال مدينة اشبيلية غرب قرطبة وشرق اشبيلية بينهما سبعة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠ .

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٧؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٩٢ .

[٤] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٢٠-١٢١ .

نجحت بابعاد الخطر عن المدينة بعد الفشل الذي رافق الحملة التي قادها ابنه ابو سعيد لنجدة المدينة[١].

وكان للخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) دور في هذه الوسيلة حيث قاد بنفسه حملة عسكرية لانجاد مدينة كونكة[٢] التي كانت تابعة للموحدين وكانت هدفا منشودا للجيوش القشتالية التي حاصرتها حصارا شديدا الا انها انسحبت بعد ان علموا بقدوم الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة نفسه وبذلك زال الخطر عن هذه المدينة عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[٣].

ومرة اخرى كان للخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩م) دور من خلال استعمال هذه الوسيلة الدفاعية لاسيما بعد الاخطار الكبيرة التي تعرضت لها المدن الاسلامية الاندلسية من قبل الممالك الاسبانية وبخاصة البرتغال وقشتالة لاسيما بعد ان سيطرت قشتالة على حصن المنار[٤] وام غزالة[٥] عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٦]، وبعد ان لمس الخليفة ضعف الوسائل الدفاعية للمدن الاسلامية قرر التوجه الى الاندلس فعبر اليها بجيش ضخم

---

[١] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص١٥٤-١٥٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٢٣-١٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٢.

[٢] وهي من مدن كورة تدمير قريبة من مرسية . الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٨ .

[٣] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٨- ٤٠٠ .

[٤] وهو من الحصون الاندلسية المهمة القريبة من مدينة لكة. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٥ .

[٥] وهو حصن حصين من اعمال مدينة ماردة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٤.

[٦] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧٢-٢٧٣ .

فـي ١٥ ربيـع الاول عـام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م لـدفع العـدو وتـامين المـدن الاسـلامية الاندلسية[١].

وتكررت هذه الوسيلة للمرة الثانية في جمادي الاخرة عام ٥٩١هـ/ ١١٩م ولم تكن غاية عبوره تختلف عن جوازه السابق لاسيما اذا ما عرفنا ان عبوره كان بسبب تعديات قشتالة على المدن الاسلامية الاندلسية، وقد كان انتصاره في معركة الارك احد النتائج الايجابية لهذا العبور الذي اسهم بشكل مباشر في كسر شوكت القوات الصليبية فضلا عن بعث روح الانتصار من جديد الى الصف الاسلامي[٢].

وفـي بـدايات القرن السـابع الهجري تكررت التعديات القشـتالية علـى المـدن الاسـلامية لاسيما مـدن جيـان وبياسـة وقلعـة ربـاح وكـان منطلق هذه التعديات هـي حصـن شـلبطرة[٣] ونتيجـة هـذه الاخطـار قـرر الخليفـة الناصـر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) العبـور بحملـة انجـاد فـي اول شـهر ذي الحجـة عـام ٦٠٧هـ/١٢١٠م الـى مـدن الانـدلس الاسـلامية لابعـاد الخطـر القشـتالي فحاصـر شلبطرة حصارا شديدا حتى استسلمت حاميتها النصرانية في ربيع الاول عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م[٤].

امـا حمـلات الانجـاد الداخليـة التـي رافقـت التـاريخ العسـكري لمملكـة غرناطـة الاسـلامية فاغلـب حمـلات الانجـاد الداخليـة التـي تخـص بدايـة تاريخهـا كانـت سـلبية الا ان عهـد السـلطان ابـو الحسـن علـي بـن سـعد فـي فتـرة حكمـه

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧٣ .

[٢] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٠-٢٢١ .

[٣] وهو من الحصون المهمة في الاندلس الأندلس من اعمال قلعة رباح. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٠٨ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ص٣٣٢-٣٣٣؛ عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص١١٩ .

الثانيـــة (١٤٨٣-١٤٨٥م/٨٨٨- ٨٩٠هـ) شـــهدت وســـيلة انجـــاد مدينـــة لوشـــة[١] التـــي هاجمتهـــا القـــوات القشـــتالية و علـــى الـــرغم مـــن المقاومـــة الكبيـــرة التـــي ابـــدتها المدينـــة الا ان حملـــة الانجـــاد التـــي قادهـــا ابـــو الحســـن باتجـــاه المدينـــة هـــي الوســـيلة التـــي كانـــت ذات التـــأثير المباشـــر فـــي انجـــاد المدينـــة وطـــرد الجـــيش النصراني وكلفه خسائر فادحة في جمادي الاولى عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[٢].

خامسا: حملات الانجاد الخارجية

ونقصـــد بحمـــلات الانجـــاد الخارجيـــة هـــي الحمـــلات العســـكرية التـــي يوجههـــا كيـــان سياســـي مـــا الـــذي يهـــدف الـــى انجـــاد مدنـــه المعرضـــة للخطـــر وتكـــون هـــذه الوســـيلة فـــي اغلبهـــا مســـبوقة باســـتغاثات لطلـــب العـــون العســـكري او تحالفـــات عســـكرية تضـــفي الـــى وجـــوب النصـــرة بـــين الطـــرفين وتكـــون هـــذه الوســـيلة فاعلـــة ســـواء كـــان العـــدو المهـــاجم للمدينـــة مســـما او غيـــر مســـلم لـــذلك نراهـــا فـــي كثير من عهود وفترات التاريخ الاندلسي.

فعندما اوعز حـاكم مدينـة طليطلـة المـأمون يحيـى بـن ذنـون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) الـى جيشـه بالسير تحت قيادتـه نحو قرطبـة يبغي السيطرة عليها وضمها الى ملكه ، دق ناقوس الخطر عند صاحبها عبد الملك بن جهور[٣] (٤٥٧- ٤٦٢هـ/ ١٠٦٤- ١٠٦٩م) لأنـه علم بمـا ستؤول اليه الاحداث والاخطـار التي من الممكن ان تحدث فيما اذا سيطر بنو ذنون على المدينة لذلك لجأ الى حليفه الاقوى

---

[١] وهي مدينة بالاندلس غرب البيرة تقع على نهر سنجل (نهر غرناطة)، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا وبين غرناطة عشرة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦.

[٢] مجهول، نبذة العصر، ص٩-١٠ .

[٣] هو عبد الملك بن جهور الملقب ذو الرياستين ثالث حكام بني جهور غلى مدينة قرطبة في عهد ملوك الطوائف والذي بعهده انتهى حكم هذه العائلة على المدينة عام ٤٦٢هـ. ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٢، ص٦٠٩ .

المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) الذي لم يتوان مطلقا فبادر بإرسال حملة انجاد لقرطبة عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م تحت امرة ابرز قائديه العسكريين وهما (خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين)[١] واللذان نزلا على وجه السرعة في الربض الشرقي لمدينة قرطبة وبعد مواجهات يسيرة بين الطرفين لمس ابن ذنون حراجة موقفه العسكري فلم يجد بدا من الانسحاب وبذلك سلمت هذه المدينة بهذه الوسيلة الدفاعية الناجعة[٢].

واستنجد محمد بن عبد الله بن برزال (٤٤٢ - ٤٥٩هـ/ ١٠٥٠- ١٠٦٦م) بهذه الوسيلة العسكرية الدفاعية عندما هاجم حاضرته قرمونة القاضي ابن عباد صاحب اشبيلية فهب باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) زعيم غرناطة ومالقة فهرع لنجدته بحملة قوية وتمكنوا بهذه النجدة من هزيمة القاضي ابن عباد عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م[٣].

وكانت هذه الوسيلة العسكرية احد الوسائل التي اعتمد عليها باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) زعيم بني مناد في غرناطة اثناء قيامه بالتصدي للهجوم الذي شنه المعتصم

---

[١] وهو من ابرز القواد العسكريين الذين ارتبط اسمهما بالتوسعات العسكرية التي قادها المعتمد بن عباد ضد ملوك الطوائف. السرجاني، قصة الاندلس، ص٤١٩؛ عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٨ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٦٠-٢٦١ ؛ السرجاني، راغب، قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، ص٤١٨-٤١٩.

[٣] طويل، مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٤م)، ص١٠٧؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٤٧.

بــــاالله محمـــــد بـــــن صـــــمادح[١] (٤٤٣- ٤٨٤هـ/ ١٠٥١- ١٠٩١م) صـــاحب المريـــة الـــذي نـــتج عنـــه ســـيطرته علـــى وادي اش واصـــبحت غرناطـــة بـــدون شـــك هـــي الهـــدف القـــادم الامـــر الـــذي جعـــل بـــاديس مضـــطرا لطلـــب النجـــدة مـــن المـــامون يحيـــى بـــن ذي النـــون (٤٣٥- ٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) صـــاحب طليطلـــة الـــذي هـــرع لنجدتـــه حيـــث تمكـــن مـــن ابعـــاد الخطـــر عـــن مدينـــة غرناطـــة واســـترداد وادي اش من قبضتهم[٢]

امـا مدينـة لبلـة فقـد كانـت تحـت قيـادة ابـي عبـد الله محمـد اليحصـبي[٣] (٤٣٣هـ- ٤٤٣هـ/ ١٠٤١- ١٠٥١م) والـذي فـي عهـده عـزم بنـو عبـاد تحـت قيـادة المعتضـد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) ان يضـموا الـى ممتلكـاتهم مدينـة لبلـة فبـدأ مشـروعهم بمضـايقات وتحـرش كانـت نهايتهـا ان قـاد المعتضـد حملـة عسـكرية للسـيطرة علـى لبلـة فاقـدم اليحصـبي الـى وسـيلة دفاعيـة عسـكرية هـي الاسـتغاثة العسكرية بحليفه المظفر بن الافطس صاحب بطليموس الذي لبى نداءه سريعا حيث ارسـل حملـة عسكرية لنجدة مدينـة لبلـة فدارت معارك كبيرة بـين الطـرفين كـان فـي

---

[١] هو المعتصم باالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح ثاني حكام مدينة ألمرية في عهد ملوك الطوائف. الزركلي، الاعلام، ج٧، ص١٠٦ .

[٢] طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح ٤٤٣هـ - ٤٨٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٤م)، ص٣٧ .

[٣] هو أبو عبد الله محمد بن يحيى اليحصبي الملقب بعز الدولة ثاني حكام مدينة لبلة في عهد ملوك الطوائف. الزركلي، الاعلام، ٧/١٣٦.

بدايتها النصر للمعتضد حتى دارت الدائرة عليه فيما بعد، فكان لهذه الوسيلة دور في ابعاد خطر المعتضد عن المدينة[١].

اما في امارة بني ذنون الحاكمة على طليطلة، وتحديدا في عهد القادر يحيى بن ذنون (٤٦٧- ٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م) ، وعند حدوث التمرد ضده عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وكان من نتيجتها ان سيطر عليها المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) لمدة عشرة اشهر ثم عاد القادر الى الحكم ونتيجة لتلك الاحداث المتسارعة والخطيرة على الصعيد السياسي والعسكري التي استغلتها مملكة قشتالة فهاجمت المدينة بحملة قوية فاستنجد القادر بممالك المسلمين القريبة منه فلم يجد منهم مساعدة او منجدا لاستغاثته سوى المتوكل بن الافطس الذي قاد حملة انجاد اشتبكت مع جيش قشتالة الذي اضطر الى الانسحاب مما يثبت جليا نجاعة هذه الوسيلة الدفاعية بوجه الخطر المحدق الذي واجهته مدينة طليطلة المسلمة[٢].

وكرر المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) هذه الوسيلة الدفاعية من اجل الدفاع عن مدينة طليطلة مرة اخرى بعد ان هاجمتها مملكة قشتالة حيث ارسل حملة انجاد بقيادة ولده الفضل والي مدينة ماردة لرد الفونسو القشتالي

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٠-٣٠١؛ التميمي، بنو الافطس في بطليوس، ص٤٥؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص١٤٠.

[٢] البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٧١.

وعلى الرغم من اخفاق هذه الحملة بانقاذ مدينة طليطلة الا انه تمكن من تكبيد القوات القشتالية خسائر كبيرة[1].

وتتضح هذه الوسيلة العسكرية في عهد بني صمادح التجيبيين زعماء حكام المرية في عهد ملوك الطوائف لاسيما في عهد المعتصم ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح (٤٤٣ – ٤٨٤هـ/ ١٠٥١- ١٠٩١م) الذي تمرد عليه في لورقة (ابن شبيب) التي كانت تعتبر اخر حصون مملكة المرية وكان هذا التمرد بإيعاز ودفع من قبل صاحب بلنسية عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور (٤١١- ٤٥٢ هـ/ ١٠٢٠- ١٠٦٠م) ونتيجة هذه الاخطار الكبيرة الطارئة على المملكة قرر المعتصم توجيه حملة عسكرية تستهدف لورقة واضطر الى طلب المعونة العسكرية من باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) الذي لم يتوان في امداده واعانته عسكريا الامر الذي جعل لورقة في امان واعادتها الى حظيرة المملكة[2].

ويلمس الباحث ان من ابرز الوسائل الدفاعية العسكرية تأثيرا على صورة الاحداث السياسية والعسكرية هي حملات الانجاد الخارجية التي من اكثرها تأثيرا وبلا منازع هي حملات الانجاد التي كانت تنطلق من عدوة المغرب الى المدن الاسلامية في الاندلس التي كانت تهدف الى دفع الاخطار التي تشكلها الممالك الاسبانية عن المدن الاسلامية في الاندلس وكانت في كثير من الاحيان الوسيلة الدفاعية الوحيدة والكفيلة في رد عادية الممالك الاسبانية وكانت احد نتائج الاستغاثات التي يطلقها زعماء الاندلس هي جواز الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) الى الاندلس كنتيجة طبيعية لاستغاثة المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/

---

(١) التميمي، بنو الافطس في بطليوس، ص٦٧-٦٨ .

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٢ .

١٠٦٩ -١٠٩١م) الـذي ايقـن مـع بقيـة زعمـاء دويـلات الطوائـف بضـعف وسـائلهم الدفاعيـة وعـدم قـدرتها علـى حمايـة المـدن الاسـلامية وبخاصـة بعـد سـقوط مدينـة طليطلـة عـام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[١]، لـذلك عنـدما عبـر يوسـف بـن تاشفين الـى الانـدلس قـال قـولا بـين فيـه الغايـة الدفاعيـة مـن عبـوره عنـدما أشـار عليـه ابـن عبـاد بالسـير لإشـبيلية ليسـتريح مـن السـفر فـأبى وقـال: ((إنمـا جئـت ناويًـا جهـاد العـدو، فحيثمـا كـان العـدو وجهـت نحـوه))[٢]، وكانـت احـدى النتـائج الايجابيـة لهـذه الوسـيلة هـو الانتصـار الكبيـر فـي معركـة الزلاقـة عـام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م[٣].

وتكررت على يد يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) هذه الوسيلة الدفاعيـة العسكرية مرة اخرى عـام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م التـي كانـت سببا فـي

---

(١) ابـن القلانسـي، حمزة بـن أسد بـن علـي بـن محمـد(ت : ٥٥٥هـ)، تـاريخ دمشـق، تـح: سـهيل زكـار، دار حسـان (دمشـق، ١٤٠٣هـ)، ص١٩٣؛ ابـن الاثيـر، الكامـل فـي التـاريخ، ج٨، ص٢٩٨؛ ابـن العمـاد، عبـد الحـي بـن أحمـد بـن محمـد (ت: ١٠٨٩هـ)، شـذرات الـذهب فـي أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، ١٤٠٦هـ)، ج٥، ص٣٣٧ .

(٢) المراكشـي، المعجب، ص٩٨؛ دوزي، رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، دار كتاب (الامارات، بلا.ت)، ص٢٠٧.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠٧؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا.ت)، ج٢، ص٣٤٠؛ اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر مـن حـوادث الزمـان، تـح: خليـل المنصـور، دار الكتـب العلميـة (بيـروت، ١٤١٧هـ)، ج٣، ص٩٩.

ازاحة خطر حصن الليط عن المدن الاندلسية والقضاء على المطامح القشتالية بالتوسع على حساب ممالك المسلمين واراضيهم[١].

وفي عصر الضعف العسكري الذي اصاب التواجد المرابطي في الاندلس وتدخل الموحدون للقضاء على نفوذهم هناك استغل القشتاليون هذه الاوضاع وبسطوا سلطانهم على بعض من المدن الاسلامية الاندلسية ومن اهمها مدينة قرطبة عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٢م[٢] التي انسحب منها ابن غانية فضلا عن ضعف الحامية المسؤولة عن حمايتها الامر الذي سهل مهمة القشتاليون الامر الذي جعل الموحديين عازمين على انجاد قرطبة فجهزوا حملة عسكرية يؤازرها امداد عسكري من المغرب، ولما علم القشتاليون بهذه الحملة اضطروا الى الانسحاب من المدينة[٣]، وبعد نجاح هذه الوسيلة الدفاعية في دفع الخطر عن مدينة قرطبة الاسلامية، كرروها مع مدينة جيان وكتب لها النجاح ايضا في دفع القوات النصرانية المحاصرة لها وكذلك الامر تكرر مع مدينة بياسة فكان التدخل الموحدي بوسائله الدفاعية فاتحة خير لعودة السيطرة الاسلامية على كثير من المدن الاسلامية[٤] .

اما فيما يخص الوسائل الدفاعية لبني الاحمر فقد كانت النجدات الخارجية اولى تلك الوسائل ففي عام ٦٦١هـ/١٢٦١م ارسل ابن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) رسائل كثيرة الى السلطان المريني ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٨٦م) طلبا للغوث والنصرة، وكان من نتيجتها

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٦؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص٢٠٧.

(٢) السامرائي، واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٦٦ .

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٧٧ .

(٤) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٢٢ .

ان ارسل بنو مرين حملة انجاد بقيادة عامر بن ادريس بن عبد الحق المريني ونزلت الحملة في مدينة شريش وتمكنت من طرد النصارى من قصبتها عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م[١].

واعتمد سلطان غرناطة محمد الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢-١٣٠١م) على الوسيلة نفسها التي اعتمد عليها ابوه لانه راى النتائج الايجابية لهذه الوسيلة في زمن ابيه لذلك ارسل استغاثات عسكرية لبني مرين كان من نتائجها ان جاز السلطان ابو يوسف (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٨٦م) بنفسه لانجاد المدن الاسلامية في الاندلس فهاجم الفرنتيرة[٢] وتوغل فيها حتى وصل قرطبة وحدثت بين الطرفين معركة كبيرة بالقرب من استجة[٣] في ربيع الاول عام ٦٧٤هـ/ ١٤٧٥م انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة القشتاليين هزيمة شديدة وبلغ عدد قتلاهم ثمانية عشر الف[٤].

ومن اكبر الخسائر التي خيمت بضلالها على التواجد الاسلامي في غرناطة هو سيطرة مملكة قشتالة الاسبانية على جبل طارق واجزاء كبيرة من الجزيرة

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٠١-٥٠٢ .

[٢] وهو مصطلح جغرافي يطلق على عدد من المناطق الاندلسية مجتمعة وهي قرطبة واشبيلية الى جيان وما فيها من حصون مثل المقورة وابدة وغيرهما الكثير. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تح: محمد تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٥هـ)، ص٣٣ .

[٣] اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال ريّة، تقع على نهر سنجل، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة، ياقوت الحموي، ومعجم البلدان، ج١، ص١٧٤ .

[٤] ابن ابي زرع، الذخيرة السنية ، ص١٤٥- ١٤٧.

الخضراء في عهد ابي عبد الله محمد بن اسماعيل[١] (٧٢٥- ٧٣٤هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٣م) وبذلك انقطع الطريق امام الامداد العسكري المريني لمسلمي الاندلس ولهذا السبب عبر سلطان بني مرين ابو الحسن علي بن عثمان بن ابي يعقوب (٧٣٢-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨ م) لنجدة سكان جبل طارق من السيطرة القشتالية وبعد حصارها برا وبحرا فتمكن المسلمون من استرداد جبل طارق في اواخر سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٤م[٢].

سادسا: الاهتمام بالجيش والتسليح

يعد الاهتمام بالجيش الاسلامي وتطويره من اهم الوسائل الدفاعية واكثرها تأثيرا لعلاقتها الوطيدة بترجيح الكفة العسكرية للطرفين المتصارعين، ومن ذلك نلاحظ التأثير الكبير لتلك الوسيلة التي دائما ما تكون حاسمة كوسيلة دفاعية .

وكنتيجة للحملات العسكرية التي قادتها الممالك الاسبانية النصرانية ضد المدن الاسلامية في الاندلس لاسيما في بداية القرن الرابع الهجري نتيجة للانتكاسة السياسية والصراع على دست الخلافة اذ قام الحاجب المنصور (٣٢٧- ٣٩٢ هـ/ ٩٣٨- ١٠٠٢م) بتأهيل الجيش الاسلامي وتطويره واصلاحه وتزويده بالخبرات العسكرية الممكنة من العناصر البربرية وحتى الاسبانية ليتمكن الجيش الاسلامي من ان يقوم بمهامه الطبيعية في الدفاع عن المدن الإسلامية الاندلسية ونتيجة هذا اجهد

---

[١] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الغالب باللَّه بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر. لسان الدين بن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، وزارة الثقافة السورية (دمشق، ١٩٩٠م)، ص٨١ ؛ اللمحة البدرية، ص١٢٣.

[٢] لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٣٦.

المضن من قبل الحاجب المنصور وصل الجيش الاسلامي المرابط على الثغور الى حد الاكتفاء واصدر مرسوما بذلك[١] .

ولم تبتعد جهود بنو عباد كثيرا عما قام به الحاجب المنصور (٣٧١-٣٩٢هـ/ ٩٨١- ١٠٠٢م) فقد ذهب زعيمهم المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) للاهتمام بالجيش وتدعيمه وتحسينه وتنويعه فاصبح يمتلك جيشا خاصا ومنتخبا من ابرع الفرسان والمقاتلين وقد اجزل اليهم بالعطاء والصلات الوفيرة فكان له التفوق العسكري اذ اصبح قوة ضاربة تؤمن له الدفاع المميز عن مدنه وحصونه[٢].

وكنتيجة طبيعية للتطور العسكري الكبير الذي وصلت اليه جيوش بنو عباد اصبحت لديها مهمة التوسع العسكري على حساب دويلات الطوائف الاخرى لاسيما بنو الافطس الذين لمسوا خطر بنو عباد الذين بدؤوا يتحرشون بحدودهم لذلك لم يجد ابن الافطس بدا من الاعداد لجيش قوي كوسيلة دفاعية وضمانة له بزيادة امكاناته العسكرية برد عادية المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) وطموحه التوسعي[٣]

ويلمس الباحث ان كثيرا من الزعماء في الاندلس اعتمدوا هذه الوسيلة العسكرية الدفاعية في بدايات التأسيس السياسي لدويلات الطوائف في الاندلس لان الاهتمام بالجيش والتسليح هي الوسيلة الكفيله في صيانة

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٦٨؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٦٨؛ العامري، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤هـ)، ص١٣٨-١٣٩.

[٢] عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٥٥ .

[٣] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠١.

حرمات الدول والدفاع عنها، ففي اول توجهات حبوس بن ماكسن[١](٤١٠ - ٤٢٨هـ/ ١٠٩١- ١٠٣١م) زعيم دولة بني مناد البربرية في غرناطة ومالقة وبعد عدة اجراءات ادارية وسياسية حشد الجند ونظم الجيش وقام بواجبه العسكري المنوط به وكان الهدف منها هو ابعاد الاخطار المتوقعة لمعاداة هذه الدويلة الناشئة، لاسيما بني حمود اصحاب مالقة و زهير العامري (٤١٩- ٤٢٩هـ/ ١٠٢٨- ١٠٣٧م) صاحب المرية[٢].

وعلى هذه الشاكلة نفسها ذهب بنو برزال اصحاب قرمونة الى نفس ما ذهب اليه حبوس بن ماكسن (٤١٠ - ٤٢٨هـ/ ١٠٩١- ١٠٣١م)، حيث دعا ابو عبد الله البرزالي لنفسه عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م وهم ببناء دولته الناشئة وقام بضبط شؤونها واهتم كثيرا بالجانب العسكري الكفيل بالدفاع عن كيانه الناشئ في امواج الاضطراب التي كانت تعصف بالأندلس فرتب الجند واتخذ كافة الاجراءات العسكرية المناسبة ضد اعدائه (بنو الافطس)[٣] .

اما في شرق الاندلس، وتحديدا دولة الصقالبة في مدينة المرية، التي كان على راسها خيران الصقلبي[٤] (٤٠٢-٤١٩هـ/ ١٠١١- ١٠٢٨م) الذي كان موشكا على الدخول في صراع مع بقية الطوائف السائدة في الاندلس انذك لاسيما عدوه

---

[١] هو حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد من قبيلة صنهاجة ثاني حكام غرناطة في فترة ملوك الطوائف. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٦٧ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ٢٦٧/١؛ السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص٣٤١.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣١١ .

[٤] خيران الصقلبي أو خيران العامري خيران الصقلبيّ، من موالي آل أبي عامر، ثم اصبح حاكم ألمرية ومرسية في عهد ملوك الطوائف الى وفاته عام ٤١٩هـ. الزركلي، الاعلام، ج٢، ص٣٢٦ .

الاول باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) فأول ما اقدم عليه من الوسائل الدفاعية العسكرية هو ضبط الدولة عسكريا والاهتمام بالجيش اعدادا وتسليحا وقد تحقق له ما اراد[١].

سابعا: استقطاب المتطوعة واعدادهم العسكري

تعد الاندلس الارض المثالية التي كانت محل استقطاب للعناصر الاسلامية المجاهدة وكانت دائما محط انظار المتطوعين المسلمين من كافة انحاء العالم الاسلامي لاسيما بلاد المغرب العربي التي كانت بمثابة الرافد الاساس للمتطوعين المسلمين، وان اول اشارة لهذه الوسيلة خلال حقبة هذه الدراسة هو ما ذهب اليه الحاجب المنصور (٣٢٧- ٣٩٢هـ/ ٩٣٨- ١٠٠٢م) عندما اراد تحديث الجيش وتطويره فاهتم كثيرا بالعناصر المحاربة من خلال استقبال المتطوعة لاسيما البربر منهم، حيث قام بالإكثار منهم واستقدامهم من عدوة المغرب وكان قد استمال قلوبهم بالمال والعطاء الجزيل، وقد تجاوز المنصور الحد المعقول من استقطاب المتطوعة ويتضح ذلك من خلال استقدامه لمتطوعة اسبان وقد استمالهم بالمعاملة بالمساواة والرفق و لعله كان يبغي من ذلك تجديد الوسائل الدفاعية للجيش بخبرات جديدة او جعلهم ادلاء للجيش الاسلامي وفي ذلك قال المقري: ((وقدّم رجال البرابرة وزناتة، وأخّر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم، فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر ... وجنّد البرابرة والمماليك، واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة)) [٢].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٦-١٦٧.

[٢] نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨ ؛ بوباية، البربر في الأندلس، ص١٥٣-١٥٤.

وحذا عبد الملك المظفر بن المنصور (٣٩٣- ٣٩٩/ ١٠٠٢- ١٠٠٨م) حذو والده في استقطابه للمتطوعة من عدوة المغرب وقد عمل اولا على استمالة القبائل البربرية هناك لاسيما قبائل زناتة ومغراوة ضمانا لولائهم ونتيجة هذه السياسة وفد على قرطبة الكثير من المتطوعة حيث اجزل المظفر اليهم بالعطاء فضلا عن انه وزع فيهم ما كان مخزونا من السلاح والمعدات العسكرية ومن خلال ذلك اتضحت الوسيلة من استقدامهم بانها عسكرية بحته وتعزيزا للقوة العسكرية التي تحت امرته التي تهدف من دون ادنى شك الى تقوية الوسائل الدفاعية عن المدن الاسلامية الاندلسية[١].

اما مملكة بلنسية الاسلامية التي حكمها القائدان مبارك ومظفر في ان واحد بعد ان سيطرا عليها واستلاها من يد مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) فعملا على المضي في هذه الوسيلة العسكرية وبدأوا باستقطاب وفود كثيرة من بقية المدن الاسلامية من الموالي والصقالبة من الافرنج والبشكنس[٢] وغيرهم من مختلف انحاء الاندلس وكان كثير من هؤلاء فرسان شجعان الامر الذي اسهم في زيادة القدرة العسكرية لجيش مملكة بلنسية لمواجهة التحديات الخارجية والاخطار المحدقة بها[٣].

---

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٠٦-١٠٧؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٨٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) البشكنس او الباسكيون أو البشكنج وهم من قومية التي سكنت بلاد نافار التي كانت بَنْبُلُوْنَة عاصمة لها، وتقع نافار شرقي مملكة ليون محاذية لجبال البُرْت التي تفصل بين إسبانيا وفرنسا. ينظر: خطاب، محمود شيت، قادة فتح الأندلس، دار المنار (القاهرة، ٢٠٠٣م)، ج١، ص٩٩.

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص١٦-١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٩-١٦١ .

ثامنا: التستر والامتناع في المدن و الحصون

يعد التستر في الحصون والقلاع احد اهم الوسائل الدفاعية العسكرية التي تلجأ اليها الحاميات الاسلامية المدافعة عن هذه المدينة او تلك وعلى الرغم من كونها تدل على ضعف الوسائل وقلتها بالنسبة لحجم الهجوم الذي قد تتعرض له المدينة في الوهلة الاولى كونه يعد اعتراف من المدافعين بقوة المهاجمين وقدراتهم العسكرية وعجز المدافعين عن الدفاع عن المدينة ، لذلك يكون اشغال المهاجمين بالحصار لحين وصول المدد العسكري للحامية الاسلامية الذي من الممكن ان يكون سببا كافيا في رجحان كفة المدافعين عن المدينة الاسلامية.

وتتضح هذه الوسيلة في عهد بني الافطس فعندما ضايقهم المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) وهاجم مدينتهم باجة في عهد عبد الله بن الافطس (٤١٣- ٤٣٧هـ/ ١٠٢٢- ١٠٤٥م) التي كانت فيها حامية وعندما داهمهم ابن عباد اضطروا الى غلق ابواب حاضرتهم مدينة بطليوس وتحصنوا بداخلها[١].

و خاضت مدينة بربشتر التجربة العسكرية نفسها في عهد بني هود حيث هاجمها النورمان وحاصروها من كل الجهات الامر الذي جعل المسلمين بداخلها يلجؤون الى هذه الوسيلة الدفاعية فتحصن المسلمون بداخلها وكانت حاميتهم تهاجم بين الحين والاخر فادخلت الجيش النورماني بحالة استنزاف كلفتهم خسائر كبيرة بالارواح والمعدات العسكرية حتى بلغت خسائر النورمان من القتلى خمسمائة قتيل، الا ان المدينة لم تصمد فدخلها

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٥ .

النورمان وقتلوا الكثير من اهلها حتى انجدت من قبل المسلمين وتخليصها مما لحق بها من دمار [١].

ومن الواضح ان هذه الوسيلة الدفاعية تعكس ضعفا عسكريا لدى القوة المدافعة عن المدن الاسلامية التي عجزت عن القيام بوسيلة دفاعية اخرى مؤثرة فلم يبق لهم الا كسب الوقت لعله تأتي حملات انجاد او دعم تستطيع تخليص المدينة الاسلامية من خطر الاجتياح العسكري الذي داهمها لذلك تزداد هذه الوسيلة استعمالا وتكرارا في الاوقات التي يكون فيها المسلمون بحالة ضعف واستكانة وهذا ما يمكن ان يتضح بعد انتهاء حكم الخلفاء الموحدين الاقوياء، حيث بدأ هذا الامر يظهر للعيان في فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) ، حين هاجم البرتغاليون بقيادة سانشو مدينة شلب برا وبحرا الامر الذي ادى الى ان يضعوا قدما في اراضي شلب بعد سيطرتهم على حصن ألبور [٢] واصبح منطلقا لهم في شن حملاتهم العسكرية على المدينة الامر الذي جعل والي المدينة الحافظ عيسى بن ابي حفص بن علي مضطرا للامتناع داخل اسوار المدينة معتمدا على حصانتها الطبيعية وسورها العالي [٣].

وقد يضطر المسلمون للولوج في هذه الوسيلة الدفاعية لاسيما في الاوقات التي يدب فيها الضعف ولا يجدوا وسيلة دفاعية اخرى غيرها ومن ذلك عندما هاجم القشتاليون مدينة جيان في الوقت الذي استشرى فيه الضعف في جسد الدولة الموحدية واضحى خلفاءها غير قادرين على نجدة مدنهم الاندلسية الامر الذي جعل

---

[١] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٠-٣٧١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠-٩١؛.

[٢] هو حصن صغير باقرب من مدينة شلب. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧٢.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧٢ .

والي المدينة عمر بن عيسى بن ابي حفص بن يحيى يخرج بحامية المدينة ليدفع العدو القشتالي الا ان رجحان الكفة كان يميل لصالح الاعداء بعد ان تمكنوا من قتل عدد كبير من المدافعين المسلمين بالاضافة الى اسر عدد اكبر الامر الذي اضطره ان يعود ليحتمي بأسوار المدينة العالية وقصبتها الحصينة فامتنع بداخلها حتى اضطر ملك قشتالة ان يرفع الحصار عن مدينة جيان ولم يجد حلا سوى ان يرحل بقواته عن اسوار المدينة الامر الذي يوضح نجاعة هذه الوسيلة العسكرية في انقاذ مدينة جيان الاسلامية من خطر محدق كان لا يتوانى في تدمير المدينة واهلاك الحرث والنسل[١].

وفي سنة ٦٣٦هـ/ ١٤٣٨م لم يكن امام والي مدينة بلنسية ابو جميل زيان سوى التستر في المدينة بعد ان فشلت جميع الوسائل الدفاعية للدفاع عن المدينة بعد الهجوم الذي شنه الملك الارجوني خايمي في هذه السنة الا انه قرر الخروج في جماعات صغيرة لضرب القوات المحاصرة للمدينة وفي احدى هذه الصولات اصيب خايمي براسه واستمرت المدينة على هذا الحال لمدة خمسة اشهر[٢].

و كان لهذه الوسيلة دور ايجابي في الوسائل العسكرية لمملكة غرناطة الاسلامية لاسيما في زمن السلطان ابو الحجاج يوسف الاول (٧٣٣- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٢- ١٣٥٤م) حيث عقد العزم ملك قشتالة على السيطرة على جبل طارق لقطع اي امداد عسكري من الممكن ان يطيل من امد المعركة لصالح مملكة غرناطة فحاصر القشتاليون جبل طارق الذي كانت فيه حامية اسلامية التي لم يكن باستطاعتها القيام باي وسيلة رادعة لهذه الحملة سوى التستر والتحصن داخل الاسوار لاطالة امد الحصار وفعلا تم لهم ذلك بعد ان استمر الحصار لمدة عام

---

[١] الحميري، الروض المعطار، ص١٢٢؛ عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٥٨ .

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣١٠ .

كامل كانت نهايته ان فتك الوباء بالجيش القشتالي وقتل عددا كبيرا منه وكان من بين القتلى الملك نفسه الامر الذي اضطرهم الى رفع الحصار عن الجبل عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م[١].

تاسعا: التعبئة العسكرية والاستنفار

تعد التعبئة العسكرية احد اهم الوسائل الدفاعية العسكرية التي يقوم بها كل من يشعر بالتهديد المباشر من قبل العدو ومن خلالها تكون مهمة الدفاع عن المدينة الاسلامية مسؤولية الجميع وليس مسؤولية القوات العسكرية وحدها ويتم من خلال هذه الوسيلة توزيع الاسلحة على المواطنين القادرين على حمل السلاح من الشعب وزجهم بالثغور لمواجهة الاخطار التي تهدد وجودهم ومن خلال ذلك تتضح المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الزعامة السياسية للمدينة الاسلامية المهددة وعندئذ تتضح مدى القدرة السياسية التي تملكها هذه الزعامة تسهم القوى الشعبية في مؤازرتها والوقوف الى جانبها لدرء الاخطار المحدقة بالجميع.

وتتضح هذه الوسيلة جليا في حقبة ملوك الطوائف لاسيما في مملكة بني مناد البربرية التي قامت في غرناطة التي تعد اكثر استقرارا من الممالك الاخرى وربما يكون ذلك بسبب الموقع الجغرافي لمدينة غرناطة في جنوب البلاد مما جعلها بعيدا عن النفوذ المعادي المتمثل للمالك النصرانية في الشمال، فعندما واجهت هذه المملكة اول خطر حقيقي في عهد زعيمها باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦-١٠٧٢م) من قبل زهير العامري (٤١٩- ٤٢٩هـ/ ١٠٢٨- ١٠٣٧م) صاحب المرية الذي سار بجيش كبير نحو غرناطة الامر الذي جعل باديس ان يقوم بإعلان التعبئة العسكرية في غرناطة كأول وانفع وسيلة من الممكن ان يقوم بها من اجل

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٠٤ – ٤١٠ .

صد هذه الحملة وردها على اعقابها وفعلا تم له ذلك اذ قضى على هذه الحملة ونجت مدينة غرناطة من شرور هذه الحملة[١].

لم يكن اعلان التعبئة العسكرية يتم بشكل داخلي فقط (اي تعلن في داخل المدينة الاسلامية) بل كانت تعلن ايضا من قبل القيادة العسكرية التي تفرضها الاوضاع السياسية والعسكرية في الاندلس، ومن ذلك التعبئة العسكرية التي كان يوجهها الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م)الى زعماء طوائف الاندلس من اجل استنهاضهم في مسؤولية الدفاع عن المدن الاسلامية في الاندلس ومن ذلك ما اوعز به لهؤلاء الملوك عند عبوره الثاني ٤٨١هـ/١٠٨٨م من اجل تواصل مسؤولية الدفاع فبعث بكتبه اليهم من اجل ان يستنفروا جيوشهم وان يتوجهوا مجتمعين الى حصن الليط الذي كان في ذلك الوقت يعد بؤرة عداء اتجاه المدن الاسلامية الاندلسية[٢].

وفي عهد السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) هاجمت الممالك الاسبانية النصرانية مدينة سرقسطة عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م مستغلة وفاة واليها عبد الله بن مزدلي (٥١١- ٥١٢هـ/ ١١١٧-١١١٨م) الذي كان شجاعا وسدا منيعا بوجه الاعتداءات الخارجية وكانت هذه الحملة تختلف عن الحملات التي سبقتها اذ عدت هذه الحملة هجمة صليبية دعت اليها البابوية واسهم فيها عدد كبير من الشعوب الاوربية لاسيما الروم والافرنج الامر الذي جعل السلطان علي بن يوسف ان يعلن التعبئة العسكرية فارسل الى ولاة الاندلس يأمرهم بالمسير الى اخيه

---

[١] ابن بلقين، التبيان ، ص٥٠-٥١ .

[٢] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٥٢ .

تميم بن يوسف بن تاشفين ليسيروا معه لاستنقاذ المدن المستهدفة بهذه الحملة الصليبية وهي سرقسطة ولاردة التي انجدها وعاد الى بلنسية[١].

اما فيما يخص الوسائل الدفاعية التي اتخذها المسلمون في مواجهة خطر مملكة اراغون وطموحها بالسيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية بعد التطور العسكري الذي تم على يد الفونسو حيث بلغ خطره العسكري بما وصلت قواته العسكري الى مدينة غرناطة وتهديدها المباشر الى وادي اش فاقدم الامير ابو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين على اعداد وسيلة عسكرية اعلن فيها التعبئة الشاملة لدفع عدو المسلمين وخطره عن مدنهم وانظم اليه نتيجة هذه التعبئة العديد المتطوعين وقوات من مدينتي مرسية واشبيلية وتمكنت هذه القوات من ابعاد الخطر عن مدينة غرناطة عام ٥٢٠هـ/ ١١٤٦م[٢].

وعندما تمكن البرتغاليون من احتلال مدينة اشبونة عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م الثغر الصغير المسمى بقصر الفتح[٣] و هجومهم على بطليوس وعدة مدن اخرى منها ترجالة[٤] ويابرة[٥] والحصون والقلاع الاسلامية الواقعة في تلك المنطقة ، ونتيجة لهذه الصولات النصرانية اصبح المسلمون مضطرين لاعلان التعبئة العسكرية فارسل الخليفة الموحدي عبد المؤمن

---

[١] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦٢-١٦٣.

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٩؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦٣.

[٣] قصر الفتح او قصر ابي دانس او الثغر الصغير يقع غرب الاندلس والذي سمي بقصر ابي دانس نسبة الى بانيه أبي دانس بن عوسجة المصمودي. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٦١ .

[٤] وهي من غرب الاندلس التي اشتهرت بحصانتها تقع بالقرب من مدينة وادي الحجارة. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٦٣ .

[٥] وهي من مدن غرب الاندلس وهي من كور باجة. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٩٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٤.

(٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) السـيد ابـا ابـراهيم فـي عـدد مـن عسـكر الموحـدين والعـرب الـى مدينـة قرطبـة ليتعـاونوا مـع القـوات الاسـلامية المتواجـدة فـي اشـبيلية ولتكـون مسـؤولية الجهـاد وحمايـة الـبلاد والعبـاد مـن التعـديات النصـرانية علـى المـدن الاسـلامية مسؤولية الجميـع، واعطـى الخليفـة الموحـدي والـي غرناطـة مسـؤولية تـوفير وادامـة الآلات الحربيـة المهمـة فـي صـد الهجمات النصرانية المتكررة[1].

وغيـر بعيـد مـن التـاريخ السـابق فقـد اعلـن الخليفـة الموحـدي عبـد المـؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) اثنـاء عبـوره الاول الـى الانـدلس عـام ٥٥٥هـ/١١١٦م عنـدما شـاهد الخطـر الـذي تمثلـه الممالـك النصـرانية التـي اصـبحت قواتهـا تهـدد الكثيـر مـن المـدن الاسـلامية الاندلسـية وبـذلك اعلـن التعبئـة العسـكرية واعـداد العـدة لـرد عاديـة تلـك الممالـك المتربصـة بهـم فـامر بالكتابـة الـى سـائر المـدن والجهـات والقبائـل المسـلمة لاسـتنفارهم وحـثهم علـى الجهـاد فـي سـبيل الله (عـز وجـل) و لـرد عاديـة العـدو عندئـذ عـادت ثقـة النـاس بأنفسـهم بعـد ان اصـبحت الكثيـر مـن تلـك المـدن تمثـل كتلـة واحـدة فـي صـد الهجمات النصرانية المحتملة[2].

وتكـرر اعـلان التعبئـة العسـكرية فـي العصـر الموحـدي فـي كثيـر مـن الاوقـات ففـي سـنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م اغـار القشـتاليون بقيـادة الكونـت نونيـو[3] علـى العديـد مـن مـدن الانـدلس الاسـلامية واخـذ يتوغـل بالاراضـي الجـرداء

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المن، ص١٠٧.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن، ص٩٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٧ .

[3] الذي تسميه المصادر الاسلامية بـ (القمط نونة) و (ادفونش الصغير). ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٢٠٤ .

متحاشيا المدن الرئيسة فاخترق بذلك وسط الاندلس من اقصاها الى اقصاها حيث عبر نهري الوادي الكبير وسنيل[١] حتى وصل جنوب غرناطة[٢]، ونتيجة لهذه الاخطار قرر الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) اعلان التعبئة العسكرية في المغرب لنصرة مدن الاندلس الاسلامية فامر بضرب الطبول وخرج بنفسه على هيئة الجهاد ونزل في وادي تانسيفت[٣] معلنا عزمه على الجهاد في سبيل الله واقام به ثلاثة ايام ونادى جموع العرب في افريقية، والموحدين من كافة الانحاء والمدن وقام بتزويدهم بالاموال والاقوات والاسلحة واستعدوا للعبور الى الاندلس[٤].

وفي تطور جديد للجبهة النصرانية في صراعها مع القوى الاسلامية في مدن الاندلس الاسلامية اصبحت الهجمات تحمل طابع الحملات الصليبية التي تستهدف الشرق الاسلامي حيث اصبحت الجيوش النصرانية تنساب من اغلب المدن الاوربية تستهدف السيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية لاسيما بعد ان اصبحت الدعوة الى هذه الحروب تصدر من البابا نفسه، فانطلقت حملة صليبية جاءت من فرنسا وايطاليا مستهدفة طليطلة[٥]، وعندما وقف الخليفة الموحدي الناصر (٥٩٥-

---

(١) وهو من الانهار القريبة من مدينة غرناطة، الذي سمي بـ (سنيل) او (شنيل) ويطلق عليه بالاسبانية (Genil) او (Xenil). السلاوي، الاستقصا، ١٠٩/٣؛

Alex. Keith Johnston, dictionary of geography, descriptive, physical, statistical, and historical, forming a complete general gazetteer of the world, London, 1862, (p. 1336)

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص٣١٠ .

(٣) وهو وادي يبعد ثلاثة اميال عن مدينة مراكش. الحميري، الروض المعطار، ص١٧٧

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣١٢ .

(٥) اشباخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٣٥٨-٣٦٠.

٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) على خطر تلك الحشود الصليبية قام بكافة استعداداته العسكرية من اجل صد الحملة الصليبية المحتمة ومنها انه استنفر القبائل من كافة الجهات ليضاعف حشوده العسكرية ليدعم جيوشه فاجتمعت عنده حشود كبيرة[١].

وكان للجزر الاسلامية نصيب من حملات الممالك الصليبية في الوقت الذي بدأ فرط عقد السيطرة الموحدية على الاندلس لاسيما جزيرة ميورقة التي كانت اداريا تتبع ولاية بلنسية التي كانت على موعد مع هجمة بحرية ضخمة من ملك ارجون تالفت من مائة وخمس وخمسين سفينة وغيرها من القطع البحرية الاخرى، الامر الذي جعل والي المدينة (ابو يحيى بن ابي عمران) ان يقدم الى وسيلة الاستنفار العسكري فحشد الوالي قوة من عشرين الف مقاتل، الف منها من القوات المدربة جيدا اما الالف الثانية فكانت من فرسان الرعية، وثمانية عشر الف من الرجالة وتمكن هذا الحشد الكبير من الانتصار على قوات العدو التي نزلت على الشاطئ[٢]، و على الرغم من هذا الانتصار الا ان الجزيرة لم تسلم من العدوان الارجوني الذي تمكن من دخولها عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[٣].

وكان المسلمون على طيلة تاريخهم العسكري يلجؤون الى وسيلة الاستنفار العسكري او ما يسمى بالمصطلح الاسلامي اعلان الجهاد واستقطاب المتطوعين لذلك عندما هاجم القشتاليون مملكة غرناطة الاسلامية ومدنها عام ٦٩٠هـ/ ١٣٩١م اعلن سلطان بني مرين بعد الاستغاثات من قبل بني الاحمر بمهام رد عادية عدوان قشتالة لذلك اعلن ابو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) التعبئة

---

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٤ .

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٠ .

(٣) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: ٦٥٨هـ) ، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر (بيروت، ١٤١٥هـ)، ج١، ص١٣٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٣٢.

العسكرية والتحضير للعبور الى الاندلس وتم ذلك في شهر رمضان عام ٦٩٠هـ/ ١٣٩١م[١].

عاشرا: الأشراك والكمائن والدهاء العسكري

تعد الكمائن من الوسائل العسكرية الصرفة ، وعلى الرغم من تبعيتها للجانب العسكري، الا انها تكون محدودة التأثير او ان تأثيرها يكون على نطاق ضيق، وواجبها ربما يكون مقتصرا على اعاقة تقدم الجيوش المتقدمة على المدينة الاسلامية لأنها لا تستطيع ان تقضي على الحملة العسكرية في احسن احوالها، او ان واجباتها تكون زيادة الخسائر للعدو ومضاعفتها وايقاع اكبر قدر ممكن من الخسائر، لاسيما البشرية منها الامر الذي سيعود سلبا على القوة المهاجمة التي سيضطرها للانسحاب وبالتالي تصل الى الهدف الذي وضعت من اجله، وان لهذه الكمائن والاشراك تأثيرات مستقبلية فان العدو الذي يقع في مثل هذه الفخاخ سيفكر مليا قبل العودة مرة اخرى لمثل المغامرة التي خسر فيها الكثير.

وتمثلت هذه الوسيلة فيما انتهجتها مملكة بني مناد في عهد زعيمها باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦– ١٠٧٢م) للوقوف بوجه من اراد النيل من سلطان مدينة غرناطة الاسلامية، فعندما هاجم المدينة زهير العامري (٤١٩– ٤٢٩هـ/ ١٠٢٨– ١٠٣٧م) صاحب مدينة المرية وبعد عدة وسائل سياسية وعسكرية قام بها باديس بن حبوس في ردع هذا الخطر المحدق بالمدينة، فإصدر الاوامر لرجاله لتهديم قنطرة على احد الانهر التي عبر منها جيش زهير العامري التي تكون في مؤخرة الجيش قطعا لخط رجوعه ورتب من ورائها الكمائن المستترة زيادة في فرص لإيقاع اكبر الخسائر الممكنة في جيش زهير العامري، وفعلا اسهمت هذه

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٨٤–٢٨٥ .

الوسيلة في ما وضعت من اجله واسهمت في افشال هذه الحملة وانقاذ مدينة غرناطة من هذا الخطر الجسيم[1].

ومن الاحداث التي سجلتها المصادر الاسلامية التي كان لابد من الوقوف عليها هو ما ابداه الوزير البارع ابن عمار وزير بني عباد من ضروب الدهاء العسكري فعندما قرر بنو عباد التوسع نحو مرسية التي كانت تحت حكم ابي عبد الرحمن محمد بن الطاهر (٤٥٥- ٤٧١ هـ/ ١٠٦٣- ١٠٧٨م) (وكان ذلك بناء على طلب اهالي المدينة)، فاوكل بنو عباد هذه المهمة الى الوزير ابن عمار وارسله الى برشلونه فاتخذ من طريق مرسية ممرا له للوصول الى برشلونة وكانت الغاية من ذلك الوقوف على الوسائل الدفاعية للمدينة حتى يتمكن جيشه من السيطرة عليها لتشكيل كتلة اسلامية من الممكن ان تقف صامدة امام المد النصراني الشمالي القادم بقوة وكان قد تحقق له ما أراد[2].

ومن الوسائل العسكرية التي اتخذها المسلمون في الدفاع عن مدنهم التي نلتمس فيها من الدهاء العسكري ما قام به الموحدون عندما سيطروا على قصر ابي دانس عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م فبعد ان حاصروها حصارا شديدا وضربوها بالمنجنيقات فاضطر سكانها ان يستسلموا للمسلمين فقام الخليفة المنصور بنقلهم الى مدينة اشبيلية حتى يكونون عونا له في حملاته العسكرية الدفاعية عن المدن الاسلامية الاندلسية[3].

ولما كانت الحملة الصليبية التي انطلقت من اغلب المدن الاوربية باتجاه المدن الاسلامية الاندلسية اتخذت من طليطلة قاعدة لها باتجاه قلعة رباح فعمل

---

[1] عبد الله بن بلكين، التبيان، ص٥١-٥٢؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩٨.

[2] عنان، دولة الاسلام، الطوائف، ج٤، ص١٨٠ .

[3] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢١٩.

واليها ابو الحجاج يوسف بن قادس[1] بعض الوسائل الدفاعية التي تمثلت في عدد من الكمائن فعند عبور الجيوش النصرانية نهر الوادي القريب من قلعة رباح عمل على ضفته اشراكا، حيث نثر على جانبيه الصنانير والخوازيق الحديدية التي اسهمت في تأخير عبور الجيش، وعلى الرغم من الاعداد الجيد لهذه الوسيلة الا ان الحملة كانت كبيرة جدا فتمكنت من السيطرة على القلعة فيما بعد[2].

الحادي عشر: السيطرة على الحصون والقلاع الحدودية

ان من بين اهم الوسائل الدفاعية العسكرية هي احكام السيطرة على الثغور التي كانت في اغلبها عبارة عن حصون وقلاع تعد في حد ذاتها الخط الدفاعي العسكري الاول للمدن الاسلامية الاندلسية وكان دائما ما يكون الطرف الاقوى هو الذي يفرض سيطرته على تلك الاراضي وبالتالي تعكس افضليته في تدبير وسائله العسكرية الكفيلة ليجعل دولته اكثر استقرارا واكثر امنا و الحفاظ على كيان المدينة الاسلامية.

وعند تسليط الضوء على الوسائل الدفاعية العسكرية الخاصة بمناطق الثغور والسيطرة عليها نلاحظ التحركات العسكرية في الثغور بين مدينة المرية ومدينة غرناطة التي تنافس عليها كل من بني صمادح التجيبيين زعماء المرية وعبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م) زعيم غرناطة ووقعت بين الطرفين معارك حامية الوطيس وانتهى الامر بينهم بان ارغم عبد الله بن بلقين على هدم تلك

([1]) هو احد قواد الاندلس وفرسانها المشهورين كان عاملا للموحدين على قلعة رباح من قبل المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩.

([2]) المراكشي، المعجب، ص١٨٣؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٧ .

الحصون الامر الذي جعل محمد بن يحيى بن صمادح (٤٤٣ - ٤٨٤هـ/ ١٠٥١- ١٠٩١م) بمثابة المنتصر في هذا التنافس والمسيطر على تلك الثغور التي كانت تعد الخط الدفاعي الاول لطائفة المرية[١].

وكان لهذه الوسيلة مكانا في الخطط الدفاعية لكل من زعيم الجزائر الشرقية علي بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) و صاحب سرقسطة احمد بن سليمان بن هود المقتدر(٤٣٨- ٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م) فعلى الرغم من علاقات المودة التي عاشها الطرفان في اول الامر بسبب علاقة المصاهرة بينهما الا ان هذه العلاقة لم تبق على حبل المودة بل دخل بينهما ما يعكر صفوها بسبب الصراع على القلاع والحصون بين الطرفين لأنها مثلت خط الدفاع الاول للممالك الاسلامية وان من يسيطر عليها يستطيع ان يجعلها منطلقا لضرب مصالح العدو او المنافس ولهذا السبب نشب الخلاف بين الطرفين على تلك الثغور المحصنة وبسبب القوة الكبيرة التي كان يملكها المقتدر بن هود (٤٣٨- ٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م) وجد علي بن مجاهد نفسه مضطرا لتسليم تلك المناطق لمنافسه الا انه حاول ان يحرض قادة هذه الحصون والقلاع للتحصن والمقاومة برسائل سرية ضبطها المقتدر كانت سببا مباشرا في نشوب الحرب بين الطرفين وسيطرت المقتدر على دانية عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م[٢] .

وفي عهد السيطرة المرابطية على الاندلس تنبه السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الى هذه الوسيلة الدفاعية لاسيما في جهوده المتواصلة ضد مدينة طليطلة التي اصبحت المنطلق الرئيس لشن الحملات العسكرية ضد المدن الاسلامية الاندلسية، فعندما هاجم المرابطون مدينة طليطلة عام

---

[١] ابن بلقين، التبيان، ص١١٣-١١٤.

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١١.

٥٠٣هـ/ ١١٠٩م استطاعوا ان يفتحوا من حصون طليطلة سبعة وعشرين حصنا ثم امتدت هجماتهم العسكرية لتصل مدينة مجريط[١] حيث سيطروا عليها واصبحت تلك المدينة والحصون المحررة بعد ان حصنها بحاميات عسكرية بمثابة الدرع الواقي الكفيل بدرء هجمات الممالك الاسبانية على المدن الاسلامية[٢].

واتكل الموحدون على هذه الوسيلة الدفاعية العسكرية من اجل ابعاد الاخطار العسكرية عن المدن الاسلامية الاندلسية فعندما توسعت القوات القشتالية على حساب المدن الاسلامية الاندلسية في اول عهد الموحدين على اثر الانسحابات والخسائر المتتالية التي منيت بها القوات المرابطية، وقد اتخذت القوات القشتالية عددا من الحصون في ثغور المدن الاسلامية الرئيسة كنقاط انطلاق ومرابطة للاعتداء على المدن الاسلامية ومن اهمها مدينة قرطبة لذلك عمد واليها الموحدي عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م بمهاجمة هذه الحصون واستطاع السيطرة عليها وهي (حصن البطروج وحصن منتور وحصن المدور)[٣] ونجحت هذه الوسيلة في تامين المدينة لفترة من الزمن[٤].

وبعد النجاح في تأمين مدينة قرطبة من قبل واليها ابن يكيت[٥] عمد والي مدينة اشبيلية عبد الله بن ابي حفص الى نفس تلك الوسيلة وذلك بالهجوم على

---

[١] وهي مدينة بالأندلس ، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، ومنها إلى قنطرة ما قدة، وهو آخر حيز الإسلام، إحدى وثلاثون ميلاً. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٧٩.

[٢] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦١.

[٣] وهي مجموعة من الحصون في جنوب مدينة قرطبة. https://ar.wikipedia.org/wiki.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٣٣ .

[٥] هو ابو زيد بن يكيت من اهم الولاة الموحدين الذي ولاه الخليفة عبد المؤمن الموحدي مدينة قرطبة واعمالها. ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٩٥.

اطرانكش[١] الذي كان يمثل مصدر ازعاج عسكري بالنسبة للمدينة وبعد اعداد الحملة العسكرية والمسير الى هذا الحصن احتشد النصارى لإيقاف المسلمين وثنيهم عن ما يبغون اليه فاصطدموا بالمسلمين الذين انتصروا انتصارا حاسما وبذلك نجحت هذه الوسيلة في تأمين مدينة اشبيلية التي لا تقل اهمية عن وسيلة مدينة قرطبة[٢].

وكان لوالي مدينة غرناطة ابو عبد الله بن ابراهيم نصيبا من هذه الوسيلة عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م بعد ان كانت المدينة تواجه خطر مرتزقة ابن مردنيش النصارى الذين كانوا متمركزين في اطراف المدينة واتخذوا من حصن لبسة مركزا لعملياتهم العسكرية المهددة لأمن المدينة لذلك اعد هذا الوالي حملة عسكرية تمكنت من استعادة هذا الحصن فضلا عن بسط سيطرته على اطراف المدينة[٣]

وفي الحادي عشر من شوال عام ٥٦٧هـ/١٢٦٨م كان للخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) دور رئيس في هذه الوسيلة حيث قاد بنفسه من مدينة اشبيلية حملة عسكرية تستهدف الحصون والقلاع الحدودية القريبة من قرطبة وتمكن من السيطرة على حصن بلج[٤] ، كذلك سيطر على حصن الكرس[٥] ولاتمام السيطرة على هذين الحصنين وضع فيهما

---

[١] وهو حصن صغير بالقرب من مدينة بطليوس. ينظر: ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٠٠.

[٢] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٠٠ .

[٣] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٢٢٠

[٤] هو حصن كبير يقع بالقرب من مدينة جيان . ينظر. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٣ .

[٥] وهو من الحصون والثغور المهمة الموجودة بالقرب من مدينة وبذة الاندلسية. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٩٧ .

حامية عسكرية حتى تكون درعا يسهم في ترسيخ الوسائل الدفاعية الاخرى لهذه المدن[١].

وفي خضم الصراع العسكري بين مملكة قشتالة والدولة الموحدية في الاندلس خرج الفونسو الثامن الذي تسميه المصادر الاسلامية (اذفنش الصغير) فعسكر في ظاهر قرطبة وارسل سراياه الى مالقة ورندة[٢] وغرناطة، وان ابرز ما حققته هذه الحملة هو السيطرة على حصن شنتفيلة[٣] الواقع بين قرطبة واشبيلية عام ٥٧٨هـ/ ١٢٨٢م، وعندها اصبحت اشبيلية بخطر محدق لما يمثله هذا الحصن من قاعدة انطلاق متقدة للعمليات العسكرية القشتالية باتجاه اشبيلية الامر الذي جعل الموحدين يعملون جاهدين لاسترداده فكمنوا لقوة خرجت منه فابادوها ثم حاصروا الحصن في ربيع الاخر عام ٥٧٨هـ/١٢٨٢م لمدة ستة واربعين يوما حتى ماتت اكثر حاميته فقرر الفونسو سحب القوات من الحصن واخلائه للمسلمين وعندئذ تخلصت المدن الاسلامية من خطر عسكري جديد[٤].

وكان للخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) دور في هذه الوسيلة العسكرية لأنه ادرك اهمية هذه الحصون والقلاع في توسعه العسكري الدفاعي على وجهين الاول انها ستكون نقاط للدفاع عن المدن باعتبارها حصنا واقيا لها فستكون مهمتها استنزاف اية قوة مهاجمة من المحتمل ان

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص٤٠٠.

[٢] معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنّا بين إشبيلية ومالقة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٧٣/٣ .

[٣] وهو من حصون وادي اشبيلية الذي يعد خط الدفاع الاول للمدينة يقع بينها وبين مدينة قرطبة. عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٩٤ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٩.

تشكل خطرا على الكيان الاسلامي في الاندلس، والثاني تمثل في ان السيطرة عليها من شأنه إبعاد خطر القوات النصرانية التي تبغي جاهدة السيطرة عليها لتكون منطلقا لها باتجاه المدن الاسلامية، وبذلك نستطيع تفسير ما قام به المنصور بتلك الحصون حيث امر بتدعيم بعضها بينما هدم البعض الاخر، ويتضح ذلك من خلال بعض الحوادث والشواهد التاريخية، حيث اوعز للجيش الموحدي في اشبيلية الى فتح حصن ابي دانس القريب من مدينة اشبونة عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م واستقر المسلمون فيه[١]، ، ثم امر جيشه بالتوجه الى حصن القلمالة[٢] الذي كان يعد من امنع الحصون فعند حصار المسلمون له استسلمت حاميته وبعد السيطرة عليه امر المنصور بهدمه وتدمير اثاره لاخراجه من الحسابات العسكرية القشتالية ، وامر جيشه بالاستمرار بخططه العسكرية والزحف الى حصن المعدن[٣] فسيطر عليه فامر بهدمه حتى اصبح اثر بعد عين[٤].

وقد كان لبني الاحمر في غرناطة وسائل دفاعية و السيطرة على القلاع الحدودية ففي عهد السلطان (ابو الحسن علي بن سعد الغالب بالله) وبالتحديد في فترة حكمه الاولى (٨٦٩- ٨٨٧هـ/ ١٤٦٤-١٤٨٢م) اعلن الملكان القشتاليان فرنادو وايسابيلا الحرب على غرناطة بعد ان رفض ابو الحسن اعطاءهم الجزية عام

---

[١] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢٦٩ .

[٢] وهو من القلاع السامية الارتفاع الغريبة الارتفاق والانتفاع، لا يتمكن لمنازلته جيش ولا يحسن بغيره، بمجاورته عيش. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨١ .

[٣] وهو حصن حصين مجاورا لمدينة اشبونة على ساحل بحر الضلمات وسمي بالمعدن لأن البحر يقذف في تلك المنطقة عند هيجانه بالذهب التبر ، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فياخذون ذلك المعدن. الحميري، الروض المعطار، ص٦١؛ الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، ص٣٥٠.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨١-٢٨٢ .

٨٨٣هـ/١٤٧٨م فهاجموا حصن بللنقة[1]وردا على هذا الهجوم اعلن ابو الحسن الحرب على قشتالة وزحف على بلدة الصخرة واستولى عليها عنوة وقتل حاميتها لابعاد الخطر عن مدينة غرناطة ودفع الجيش القشتالي بعيدا عن ثغور المملكة[2].

الثاني عشر: التوسع العسكري الدفاعي

في كثير من الاحيان مارست الزعامة السياسة للمدينة الاسلامية في الاندلس وسائل دفاعية كانت في النظرة الاولى لها على انها توسع عسكري ولكن بعد التحري من جدوى تلك التوسعات العسكري والحملات البرية والبحرية ماهي الا بمثابة الضربة الاولى للعدو المحتمل وكثيرا ما كانت هذه الحملات ذات تأثير ايجابي اسهم اسهاما فاعلا في دفع الاخطار عن الكثير من مناطق المدن الاسلامية الاندلسية وبذلك يمكن عدها وسيلة من الوسائل الدفاعية العسكرية.

وفي ضوء ما تقدم توا يعد المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩ -١٠٩١م) رائدا باستعمال هذه الوسيلة الدفاعية لأنه اراد من توسعة رقعة ما هو كائن تحت سيطرته لتكون درءا له من الممالك النصرانية فضلا عن ان منافسيه من الطوائف الاسلامية الذين شكلوا خطرا هدد وجود مملكته ومن هذا المنطلق قاد حملات عسكرية باتجاه بعض الطوائف القريبة منه فخاض معارك عديدة مكنته من ان يبسط نفوذه على مساحات واسعة ويبعد دائرة الخطر التي تحيط به بالحرب مرة وبالسلم مرة اخرى، وكان اول هذه

---

[1] وهو من الحصون والقلاع المهمة الواقع بالقرب من مدينة رندة . السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص١٠٦.

[2] مجهول، نبذة العصر ، ص٣ ؛ السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص١٠٦ .

الوسائل التي قام بها توجهه نحو مدينة مرسية التي قاد حملتها وزيره ابن عمار وعلى الرغم من اخفاقها في السيطرة على مرسية الا انها اصبحت اساسا لتوجيه حملة ثانية عهد بقيادتها الى قائد عسكري هو ابن رشيق[١] الذي حاصرها وسيطر على مصادر تموينها فانهارت الوسائل الدفاعية للمدينة الامر الذي ساعد ابن رشيق بالسيطرة عليها عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٩م[٢].

وتمثل التوسع العسكري الدفاعي في الثغر الاعلى (طائفة سرقسطة الاسلامية) في عهد بني هود، وتحديدا في امارة احمد بن سليمان الملقب بالمقتدر (٤٣٨- ٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م)، الذي ايقن بضرورة التوسع العسكري على حساب جيرانه مستهدفا تكوين كيانا عسكريا كبيرا من اجل مواجهة التحديات التي تواجهه، لاسيما الممالك الاسبانية النصرانية، لذلك توسع عسكريا حتى على حساب اخوته وتم توحيد المملكة على يديه حتى اصبحت في عهده من اقوى ممالك الطوائف في الاندلس[٣].

وعلى الرغم من ان الكثير من الممالك الاسلامية في الاندلس قد اتخذت من هذه الوسيلة مسلكا من اجل دفع العدو عن حدود مملكتها وثغورها الا ان رائد هذه الوسيلة بدون منازع هو الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١-

---

(١) هو عبد الرحمن بن رشيق احد قادة جيش للمعتمد بن عباد والذي خرج عن طاعته من خلال سيطرته على مرسية وصراعه مع الوزير ابن عمار واستمر كذلك حتى سقط على يد المرابطين عام ٤٧٩هـ. عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص١٨٤.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٩٢ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٣ .

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٣٥؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص٣١٩؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٣٦.

١١٠٦م) الذي ادرك ان نقطة ضعف الممالك الاسلامية الاندلسية تكمن في التشرذم والفتن التي اصاب جسد المسلمين في الاندلس والواجب هو القضاء على وجود تلك الممالك وتوحيدها بتوسع عسكري يؤمن المدن الاسلامية الاندلسية ويجعلها كتلة متراصة في مواجهة اخطار الممالك الاسبانية النصرانية وبدأ في خطته هذه عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وتم له ذلك بعد توسع عسكري دفاعي تمكن من توحيد جبهة المسلمين[١].

وجاء من بعده ولوجا في هذه الوسيلة العسكرية حفيده السلطان تاشفين بن يوسف بن تاشفين الذي اختلف عن اخيه عليا بتعامله مع الهجمات النصرانية سواء القشتالية منها او الارجونية، فنتيجة للهجمات القشتالية على المدن الاسلامية الاندلسية عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٩م على احواز مدينة قرطبة[٢]، وبادر لنجدتها فقرر ان يبعد هذه الاخطار عن مدن المسلمين الاندلسية فنهج طريق التوسع العسكري باتجاه الحصون والقلاع النصرانية التي كانت تمثل مراكز انطلاق الجيوش النصرانية اتجاه المدن الاسلامية الاندلسية فهاجم حصن السكة[٣] وحاصره لفترة من الزمن بعد ان تسترت الحامية النصرانية وراء اسواره الا ان هذه الوسيلة لم تثن المسلمين عن فتحه فقد دخلوه عنوة وقتل من كان فيه من الجنود واسر قائده[٤].

---

[١] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٩؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٠؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج٣، ص١٠٢.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٠ .

[٣] هو حصن فيه قلعة حصينة من اعمال مدينة طليطلة. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٥٠.

[٤] ابن القطان، نظم الجمان، ص١١٥-١١٦ .

وترسيخا لهذه الوسيلة واثباتا لنتائجها الايجابية هاجم السلطان تاشفين بن علي (٥٣٧ - ٥٣٩هـ /١١٤٣ - ١١٤٥م) حصن بارجاس[١] وهاجم عدة مناطق وحصون في تلك المنطقة، وبعد الانتهاء من هذه المهمة التي اسهمت كثيرا في ابعاد الاخطار النصرانية عن المدن الاسلامية الاندلسية عاد الى مدينة غرناطة[٢]، ويلمس الباحث ان المغزى الدفاعي الذي كان طاغيا على تلك الهجمات العسكرية التي كان يقودها الامير تاشفين، اظهرت انه كان قائدا عسكريا محنكا.

وكان للموحدين دور كبير في الوقوف على هذه الوسيلة الدفاعية العسكرية لان توسعهم العسكري كان في اغلب الاحيان ينحى المنحى الدفاعي لذلك نرى ان ما قامت به جيوشهم من طرد القوات القشتالية من قرطبة وجيان وبياسة عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م وبسط سيطرتهم العسكرية عليها ما هو الا توسع عسكري كان الهدف الاساس منه هو تخليص المدن الاسلامية الاندلسية من العدو النصراني المتربص على حدودها[٣].

ومن توسعات الموحدين العسكرية التي كانت ذات مغزى دفاعي هو سيطرتهم على طبيرة[٤] التي كانت مصدرا للقلاقل حيث اخذ حاكمها يقطع الطرق عن المسلمين برا وبحرا بعد ان التف حوله الاشرار وقطاع الطرق فاعد الموحدون حملة

---

[١] من الحصون المهمة في ضواحي مدينة طليطلة. عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص١٣٤ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٦-٧٨.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٨-١١٩ .

[٤] وهي من المدن الصغيرة في غرب الاندلس قريبة على مدينة شلب. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٢ .

للقضاء على هذا الخطر فسيطروا بها على حصن قسطلة[1] القريب من المدينة وحاصروها برا وبحرا ثم تمكنوا من السيطرة على المدينة واخمدوا هذا الخطر الذي كان يهددهم[2].

وبعد ان لمس الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) النتائج الايجابية لهذه الوسيلة قرر قيادة حملة بنفسه للتوسع العسكري باتجاه اراضي مملكة قشتالة ردا على الحملة الكبيرة التي توغل بها الجيش القشتالي في الاراضي الاسلامي وكانت سببا مباشرا في عبوره الى الاندلس، وخرج من اشبيلية في شوال عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م وسيطر على عدة حصون ثم امر الجيش بالتوجه نحو قشتالة فوصل الى مدينة وبذة[3] وحاصرها الا ان سوء الاوضاع الجوية حالت دون فتحها واستمر بهذه الحملة وعندئذ خشيت قشتالة من الجيش الاسلامي الموحدي وقررت الانسحاب من الاراضي الاسلامية حتى زال الخطر عن المدن الاسلامية الاندلسية[4].

ونتيجة للهجمات القشتالية المتكررة على اراضي مدينة اشبيلية قرر واليها الموحدي ابو عبد الله بن وانودين[5] القيام بحملة عسكرية بعد ان جمع عددا غفيرا

---

[1] وهو من الحصون المهمة في الغرب الاندلسي قريب على مدينة طبيرة يقع على نهر يانة وبينه وبين جزيرة شلطيش ثمانية عشر ميلا. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٢ .

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص٢٨٣- ٢٨٤.

[3] مدينة من أعمال شنت برية بالأندلس، وهي حصن على وادٍ بقرب أقليش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٩؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٤ .

[4] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٨ .

[5] هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن وانودين عميد اسرة بنو وانودين كان لهم دورا كبيرا في نشوء الدولة الموحدية لاسيما في عهد الخليفة عبد المؤمن. نصر الله، علي صدام، بنو

من المقاتلين باتجاه الاراضي القشتالية وتحركت هذه الحملة في الثامن من جمادي الاخرة عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م وهاجم طلبيرة وسيطرة على ربوة في تلك المنطقة الامر الذي جعل ناقوس الخطر يدق في داخل مملكة قشتالة حيث اعلنوا التعبئة العسكرية للتحرك باتجاه القوات الاسلامية الا ان جميع تلك التحركات فشلت بانتصار المسلمين في معركة فاصلة بين الطرفين استطاع من خلالها القائد الموحدي من ابعاد الخطر القشتالي عن المدن الاسلامية الاندلسية لفترة من الزمن[١].

اما في عهد بني الاحمر فعلى الرغم من الضغط النصراني المستمر على المملكة الا ان بعض ملوكها سجلوا بعض التوسعات العسكرية التي كانت الغاية منها دفاعية بالدرجة الاولى ومن ذلك ما قام به محمد الثاني الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) الذي شن في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م حملة عسكرية على اراضي قشتالة فدخل مدينة جيان واقتحم مدينة قيجاطة[٢] واستولى على عدة حصون وقلاع تابعة لها[٣]، وكرر هذه الوسيلة مرة اخرى عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م فغزا حصن القبذاق[٤] ودخلها وجعل فيها قوة من المسلمين لتصبح خط الدفاع الاول لمملكة غرناطة[٥].

وانودين ودورهم في دولة الموحدين، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٢٤؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٥٣ .

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٢١-٢٢٣ .

[٢] وهي مدينة في الاندلس من اعمال مدينة جيان. الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٨.

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٢٩.

[٤] هو حصن كبير عامر وهو في سفح جبل شرق مدينة باغة وبالقرن من مدينة جيان. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧١.

[٥] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٣٢٩ .

ومـن الملاحـظ والجلـي ان مملكـة غرناطـة ابتعـدت كثيـرا فـي وسـائلها الدفاعيـة العسـكرية عـن التوسـع العسـكري بسـبب الضـغط الكبيـر الـذي كانـت تولـده الجيـوش الاسـبانية علـى تلـك المملكـة الصـغيرة وعلـى الـرغم مـن ذلـك وترجيحـا لمبـدأ الهجـوم اول وسـيلة مـن وسـائل الـدفاع قـام السلطان ابـو الحجـاج يوســف (٧٣٢- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٢- ١٣٥٤م) عــام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م بغــزو اراضـي قشـتالة شـرقا حتـى لورقـة ومرسـية، ولـم يقـف عنـد هـذا الحد بـل غـزا فـي العام التالي مدينة باغة[١] واستولى عليها[٢].

وقد استخدم السلطان محمد الغني بالله هذه الوسيلة للدفاع عن مملكة غرناطة لاسيما اثنـاء الضـغط القشـتالي علـى المـدن الاسـلامية الاندلسـية ففـي شـعبان سـنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م هاجم المسلمون برغة الواقعة بين مدينتي مالقة ورندة وفتحوها بعد قتـال عنيـف[٣]، وتكـرر الحـال سـنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م عنـدما زحـف السـلطان محمـد الغنـي بـالله فـي فتـرة حكمـه الثانيـة (٧٦٤- ٧٩٤هـ ١٣٦٢-١٣٩١م) علـى احـواز اشبيلية وافتتح اطريرة[٤] وحصن اشتر (اشر)[٥]، وسار في حملة عسكرية كبيرة الى جيان وافتتحها الا انـه انسحب منها عام ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، وربما يكون السبب في ذلك علمـه بعدم مقدرتـه الحفاظ علـى مكتسبات هذا الانتصـار العسكري، لذلك اعد

---

[١] وهي من مدن الاندلس المهمة والتي تقع ضمن كورة البيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٦ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٢٩١.

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٤٣ .

[٤] عبارة عن مدينة صغيرة بالقرب من اشبيلية. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: ٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية (الرباط، ١٤١٧هـ)، ج٤، ص٣٠٧.

[٥] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٤٥ .

عدته فعاود الهجوم على المدينة عام ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م واقتحم قرمونة[١]، ثم زحف على ابدة وسيطر عليها وخرب صروحها واسوارها[٢].

وكانت من اهم التحركات العسكرية الدفاعية لسلطان غرناطة محمد الغني بالله[٣] (٧٦٤- ٧٩٤هـ/ ١٣٦٢-١٣٩١م) هو مسيره الى الجزيرة الخضراء حيث حاصر القشتاليين فيها وارغمهم على الانسحاب وبذلك عاد هذا الثغر المهم الى المسلمين[٤].

الثالث عشر: وسائل رعب وتشريد العدو

تتمثل هذه الوسيلة في عدة اعمال قام بها المسلمون في الاندلس تميزت بالغلظة والشدة على جيش العدو وفي كثير من التحرك الدفاعي للجانب الاسلامي استخدمت هذه الوسائل وكان الهدف منها هو التأثير على معنويات العدو وجيشه وترسيخ الخوف والرعب في نفوسهم من اجل ابعادهم عن الاراضي الاسلامية والتفكير جيدا قبل الاقدام على هذه المغامرة العسكرية مرة اخرى.

ففي هذا الصدد ورد في المصادر التاريخية الخاصة بالتاريخ الاندلسي في حقبة دراستنا هذه ان عددا من تلك الوسائل ومن بينها ما قام به الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) عند انتصاره في معركة الزلاقة ترسيخا

---

[١] كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية وبينهما سبعة فاسخ، وبينها وبين قرطبة اثنان وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٥٠ .

[٣] هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ٥٧٢/٤.

[٤] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٥٢ .

لمبدأ الخوف في نفوس اعدائه فقام بجمع قتلى العدو في المعركة وامر جنوده بان يقطعوا رؤوسهم و يجمعوها حتى اصبحت تلا كبير، كانت الغاية منها هو ارهاب العدو المهاجم ومن خلفه الممالك الاسبانية الاخرى بجيوشها وقياداتها ، ولم يكتف بذلك بل وزع رؤوس القتلى على القواعد الاسلامية لرفع معنوياتهم لمحاربة اعدائهم وتسهيلا لمهمة الدفاع عن المدن الاسلامية في نفوسهم[١].

وكان لمثل ما تقدم نصيب في سياسة والي مدينة غرناطة الموحدي ابي عبد الله الذي واجه خطرا كبيرا تمثل في بقايا جيش ابن مردنيش الذي كان عبارة عن مرتزقة من النصارى الذين احاطوا بالمدينة واصبحوا يشكلون خطرا كبيرا عليها وعلى طرق النقل المؤدية اليها فاعد حملة تمكن فيها من اسر اعداد كبيرة منهم و عزم ان ينكل بهم من اجل ابعاد من تسول اليه نفسه بالتقرب من المدينة او من احوازها ولكي يبعد الخطر الرئيس عن التواجد الاسلامي في الاندلس ، امر بضرب اعناق اسراهم مستهدفا ردع كل من يروم مهاجمة غرناطة[٢].

واستخدم المسلمون هذه الوسيلة مرة اخرى في رد عادية مملكة ليون عندما هاجم ملكهم فرناندو الثاني مدينة اشبيلية حتى وصل الى احواز مدينتي اركش وشريش لذلك خرج لهم المسلمون وتصدوا لحملة ليون واسروا منها ثمانين اسيرا واخذوهم الى داخل مدينة اشبيلية وضربت اعناقهم امام اعيان المدينة رفعا لمعنويات المقاتلين المسلمين وكان لهذه الوسيلة تأثير في رد عادية الجيش الليوني وجعلها ترهيبا لهم[٣].

---

[١] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠٧-٣٠٨؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٢١-١٢٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٧٣-٣٧٧.

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٧٤-٢٧٥.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١١ .

وكان لهذه الوسيلة مكانا في التاريخ العسكري لمملكة غرناطة في عصر زعيمهم محمد الثاني الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) حيث اتبع الانتصار الذي تم على يد السلطان ابو يوسف يعقوب المريني (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٨٦م) في حملة انجاده للمدن الاندلسية وسيلة قاسية من وسائل تشريد العدو والتنكيل بقتلاه فان قتلى القشتاليين بلغوا ثمانية عشر الف على ذمة ما اورده ابن ابي زرع الفاسي وقام ابو يوسف بجمع رؤوس القتلى حتى يكونوا عبرة لغيرهم[١].

وعلى الرغم من قلة استعمال هذه الوسيلة في التاريخ العسكري للمسلمين في الاندلس الا انها تكررت في مملكة بني الاحمر لان الضغط الكبير الموجه عليهم كان شديدا لاسيما من جهة مملكة قشتالة، ولكسب جميع المكاسب العسكرية للانتصارات الاسلامية قام المسلمون في غرناطة بعد الانتصار على الجيش القشتالي في موقعة البيرة عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وقتلهم للوصيان الدون بيدرو والدون خوان قائدي الحملة، وتخليدا لهذا الانتصار الكبير واعلاما للعدو مغبة الاقدام على خطوة كهذه ، وضعوا جثة الدون بيدرو بتابوت من ذهب ووضعوها على اسوار غرناطة ليكون دليلا على هذا الانتصار وتحذيرا للعدو فيما اذا اقدم على مخاطرة جديدة[٢].

---

[١] ابن ابي رع الفاسي، الذخيرة السنية، ص١٥٠ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٠٨ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٣٠-٣٣١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٤٩٤.

Henry Edward Watts, Spain, being a summary of Spanish history from the Moorish conquest to the fall of Granada, U.S.A, 1892, (p. 179).

الرابع عشر: الوسائل والخطط العسكرية في المعارك الدفاعية

على الرغم من تنوع وكثرة الوسائل الدفاعية عن المدن التي اتخذها المسلمون في الاندلس الا ان جل الخطط العسكرية الدفاعية في المعارك لم تجعل المسلمين لديهم الخيارات والمبادرات العسكرية الكثيرة في صراعهم العسكري مع الممالك الاسبانية لانهم كانوا يمثلون الجهة الاضعف في ذلك الصراع العسكري وبذلك تكون احيانا وسائلهم العسكرية بعيدا عن الوسائل التي فيها التأثير الكبير في هذا الصراع، و قلما نجد الوسائل العسكرية المتمثلة بالخطط العسكرية في المعارك الدفاعية الا في الوقت الذي كان فيه المسلمون اقوياء، وبالتحديد عند العبور الاول للأمير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) لنصرة المدن الاسلامية في الاندلس ونجدتها بجيوشه الكبيرة الامر الذي جعل المسلمين يتحذون عدة اجراءات دفاعية جديدة لاسيما في معركة الزلاقة التي تخللتها خطط عسكرية مثلت وسائل دفاعية كان لها التأثير المباشر في انتصار المسلمين في تلك المعركة، ومن بين تلك الوسائل التي تنم عن القيادة العسكرية الفذة التي على راسها الامير المرابطي يوسف بن تاشفين انه حفر خندقا حول الخيام التي يسكنها الجيش الاسلامي لجعلها ساترا بينه وبين محيطه الغير آمن الامر الذي جعل لجيشه قاعدة انطلاق آمنة على حد قول ابن ابي زرع[١].

اما الخطة الاخرى التي لم تكن نتائجها تقل عن التي سبقتها في تسجيل الانتصار الكبير على الممالك الاسبانية هي معركة الزلاقة التي استخدمت فيها الطبول التي جعلت مسير الجيش الاسلامي فيه الكثير من الضجيج الذي زاد من الرعب الذي وقع فيه الجيش النصراني مما اسهم بشكل مباشر في انسحاب العديد

---

[١] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٤٦ .

من عناصر ذلك الجيش وتشتيتها[1] ، فقد كان الجيش المرابطي الذي وضعه قادة المرابطون في الاندلس الذي لا يخفى المغزى الدفاعي لوجوده كان من سبعة عشر الف فارس موزعون على المدن الاسلامية فحاميتهم في اشبيلية مكونة من سبعة الاف فارس بينما قرطبة وغرناطة فكل واحدة منها الف فارس، واربعة الاف بكل من شرق الاندلس وغربها، وكانت مسؤولية هذه القوات هي حماية المدن الاسلامية، بينما عهد للمسلمين من أهل الاندلس بالدفاع عن الحدود المتاخمة للنصارى لما لهم من خبرات متراكمة في مقاتلة النصارى ومدافعته عن المدن الاسلامية الاندلسية[2]

ومن الخطط العسكرية التي اسهمت في نجاح اهم وسيلة دفاعية مرت في التاريخ الاندلس – معركة الزلاقة – هو ما عمد اليه المرابطون في طريقة قتالهم الفريدة و الغريبة عن الطرق المتبعة في جيوش الاندلس فقد تبين انها اكثر تنظيما وافضل اعدادا حيث قاتلت الجيوش المرابطية في صفوف متراصة ومتناسقة ثابتة الامر جعل من الصعوبة على جيوش العدو اختراق مثل هكذا تحصين[3].

وفضلا عن ذلك كان للجيش المرابطي خطط عسكرية دفاعية اخرى اسهمت في كثير من الاحيان بإبعاد الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية الاندلسية وهذا مما يدل على الحنكة العسكرية للقادة العسكريين الذين تسلموا قيادة الحاميات المرابطية المسؤولة عن حماية المدن باتجاه الاخطار الصليبية، ويتضح ذلك فيما تقدم من الخطة العسكرية الدفاعية التي اتخذتها الجيوش المرابطية بوجه غزوة الفونسو الكبرى

---

(1) ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٥٠؛ القاضي، علي، أضواء على شخصيات إسلامية متميزة، دار المنهل (الامارات، ٢٠١٧م)، ص٦٦ .

(2) ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٤٦ ؛ كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب (بلا.ت، بلا. مكان)، ص٣٦٢ .

(3) عنان، دولة الاسلام، ص٣٢٥.

اتجاه مدينة غرناطة حيث تجمعت الجيوش المتقدمة من بعض المدن الاسلامية الاندلسية في غرناطة بأمر الامير ابو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين وكونت طوق دفاعي احاط بالمدينة الامر الذي اسهم بإبعاد الجيوش الارجونية وخطرها عن المدينة الاسلامية[١].

وبعد الخسارة التي منيت بها الجيوش الاسلامية من قبل الفونسو الارجوني الذي تطلق عليه المصادر الاسلامية (ابن رذمير) في عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م[٢]، الامر الذي اسهم في زيادة اطماع الجيوش الصليبية المتحالفة بالهجوم على المدن الاسلامية وعلى الرغم من اخفاق هذه الوسيلة الدفاعية الا ان المسلمين الاندلسيين لم يثنوا عن دفع عدوهم لذلك لجأت قيادتتهم التي على راسها ابي تميم الطاهر بن يوسف بن تاشفين الى خطة عسكرية دفاعية اسهمت في تشتيت القوة المهاجمة واستنزافها عسكريا حيث بقيت الحاميات الاسلامية في كافة المدن الاسلامية تواجه الجيوش النصرانية كلا على انفراد ومتتبعة لخطواته الامر الذي الحق بهذه القوة ارهاقاً شديداً واهلكته المناوشات والمعارك مع المسلمين فضلا عما اصاب هذه القوة من اوبئة وامراض الامر الذي جعل ابن رذمير – الفونسو – يضطر الى الانسحاب لإنقاذ جيوشه من المستنقع الذي اوقعه فيه بسبب الخطط العسكرية الدفاعية الناجعة للمسلمين[٣].

وتطورت الخطط العسكرية الدفاعية في العصر الموحدي كثيرا واصبح للموحدين خططا تعرف باسمهم وهي (خطة المربع الموحدي) وتميزت الخطط

---

[١] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٦٠ .

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٦–١٥٧ .

[٣] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٧–١٥٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٣.

الدفاعية الموحدية في الاراضي المكشوفة بكونها: ((ان تضع دائرة مربعة في البسيط يجعل فيها من جهاتها الاربع صف من الرجال في ايديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة، ومن ورائهم اصحاب الدروق والحراب صفا ثانيا، ومن ورائهم اصحاب المخالب فيها الحجارة صفا ثالثا، ومن وراء هؤلاء الرماة صفا رابعا، وفي وسط المربعة، ترابط اقوى الفرسان))[١] وفي وصف ما تؤول اليه هذه الخطة في المعارك والحروب قال ابن اليسع: ((فكانت خيل المرابطين اذا دفعت اليهم، الى الموحدين لا تجد الا الرماح الطوال الشارعة والحراب والحجارة والسهام ياسرة، فحين ماتوا من الدفع وتدبر، واخرج خيل الموحدين من طرق تركوها، وخرج اعدوها فتصيب من اصابت، فاذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا))[٢] .

وعندما تمكن الموحدون من إبعاد الخطر النصراني عن مدينة المرية بقيادة السيد ابو سعيد بن الخليفة عبد المؤمن الذي سار بحملة بحرية لانجاد المدينة استعان بخطة عسكرية كان لها ابرز الاثر في انجاد المدينة وتخليصها من الخطر النصراني، حيث قام بعد ان نزلت قواته على جبل قريب من المدينة ببناء سور ازاء المدينة يمتد الى البحر وحفر خندقا عميقا امامه لكي يعزز المنحى الدفاعي لهذا السور ولكي يقوم بوظيفته على اكمل وجه وهو قطع اي امداد عسكري من الممكن ان يصل الى القوات النصرانية هناك. الامر الذي سهل كثيرا دخول القوات الموحدية الى مدينة المرية وانجادها من قبضة القوات النصرانية[٣].

---

[١] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية ، ص٢٠٢ .

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية ، ص٢٠٢

[٣] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٤٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٣٤؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص١٢٩.

و كانت الخطط العسكرية الدفاعية ملازمة لتاريخ الموحدين العسكري فعند جواز الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥هـ/ ١١٨٤– ١١٩٩م) عام ٥٩١هـ/ ١١٩٤ توجه الى حصن الارك الذي ترابط فيه القوات النصرانية[١]، وكانت الاوضاع شبيه بما حدث للخليفة ابي يعقوب يوسف سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م الذي جرح وقتل في احدى حملات الانجاد الداخلية السلبية لذلك اخذ الخليفة بمشورة احد قواده وهو ابن صناديد، الذي رأى بان تخوض المعركة في بداية الامر جيوش الاندلس وقبائل العرب والبربر والمتطوعين، ويبقى جيش الخليفة ومن معه العبيد في مؤخرة الجيش لحماية ظهورهم فان انجلت المعركة على انتصار المسلمين فبها الخير، وان انجلت المعركة على انتصار الصليبيين يشارك جيش الخليفة ويكون بذلك قد انهك العدو بالجولة الاولى فيكون الانتصار من حليفهم، فوافق الخليفة على الخطة، وكان من نتائج هذه الخطة ان انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا ساحقا[٢].

وكان الخليفة المنصور قد اخذ بهذا الراي خشية ان يكون مصيره مصير الخليفة الموحدي الذي سبقه في حملة الانجاد التي انتهت بمقتله وفشل الحملة.

وكان لمملكة غرناطة الاسلامية خططا عسكرية للتصدي لهجمات الممالك الاسبانية الا ان خططهم كانت محصورة في الهجوم على اتجاه غير اتجاه الهجوم من اجل تشتيت حملة العدو ومن ذلك ما قام به السلطان محمد بن يوسف (محمد السادس) (٧٦٢– ٧٦٤هـ /١٣٦٠–١٣٦٢م) عند تصديه لحملة قشتالة التي كانت من جهة الغرب وسيطروا على حصن الصخرة وباغة فبادر السلطان محمد بن

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨٩ .

[٢] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢٣٤ .

يوسف بغزو اراضي قشتالة من جهة الشرق فعاث في ولاية جيان مما جعل قائد الجيش القشتالي مضطرا للمسير نحو الشرق لانجاد مدنه وسلمت مملكة غرناطة من هجوم كان يهدد مدنها وحصونها الغربية(١).

الخامس عشر: الدعم والامداد بالفرق العسكرية

اعتمد المسلمون في الاندلس لصد بعض الاخطار عن المدن الاسلامية الاندلسية على امداد هذه المدن بقوات عسكرية تكون درعا لها لكي تتمكن من صد تلك الهجمات وانقاذ المدينة والمدن التي تليها فمن الواضح والجلي ان المدينة التي تسقط ستكون مرتكزا عسكريا وقاعدة انطلاق متقدمة للجيوش النصرانية وربما سيتبع سقوط هذه المدينة سقوط مدن اخرى لان مثل هذا الامر سيشد من عضد الاعداء ويرغبهم في الاستمرار بالسيطرة على المدن وعندئذ سيكون ما حصل ذو تأثير سلبي على معنويات الحاميات العسكرية في المدن التي تليها

وعلى الرغم من اهمية هذه الوسيلة الا اننا نجد انها تكاد تكون نادرة في عهد ملوك الطوائف بسبب عدم وجود وحدة سياسية وبالتالي الافتقار لوسائل عسكرية واضحة بينما نلمس مثل هذه الوسائل في العهد المرابطي، لاسيما في مواجهة الخطر الارجوني المتمثل بالحملة العسكرية التي قادها الفونسو بمباركة البابا اوربان الثاني على طركونة التي تمكن من السيطرة عليها بسبب ضعف وسائلها الدفاعية وتخلي المستعين بن هود صاحب سرقسطة (٤٧٨ – ٥٠٣هـ/ ١٠٨٥– ١١٠٩م) عن انجادها، فترك الفونسو

---

(١)لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٦٠.

التوجه نحو لاردة وافراغة بسبب قوة الحامية المرابطية المسؤولة عن حمايتها، وتوجه نحو بلنسية[1].

ونتيجة هذه الاخطار الطارئة اصبح الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) مضطرا لكي يقوم بحملات امداد عسكري تصل الى تلك الجهات حتى تتمكن من صد تلك الحملة الصليبية، لذلك امر الامير علي بتجهيز وتحشيد فرق عسكرية تكون من السود[2] والافارقة لحماية المدن الاسلامية الاندلسية وهي المسؤولة عن نفقاتها وارسل الى مرسية وواليها محمد بن يدر بن ورقا امدادا وتعزيزا للحاميات المرابطية الموجودة في شرق الاندلس[3].

وعندما هاجم الفونسو المدن الاسلامية الاندلسية في غزوته التي اسفرت عن حصار مدينة افراغة عام ٥٢٧هـ/ ١١٣١م التي اوقف المسلمون في الاندلس حينها الخطر الحقيقي لتلك الغزوة فقرروا تقديم الدعم والامداد بالعسكر من اجل ايقاف هذا التقدم النصراني لذلك هرع الزبير بن عمرو اللمتوني[4] من قرطبة في الفي فارس

---

[1] السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٩٤؛ عنان، دولة الاسلام، عصر المرابطين، ص١١٧ .

[2] وهم من فئات الجيش المرابطي الذين شكلوا قوة ضاربة في يد القادة المرابطين وهم من السودان وتميزوا بشجاعتهم وقوتهم وخبرتهم في القتال. محاسيس، نجاة سليم، معجم المعارك التاريخية، دار زهران (عمان، ١٤٣٢هـ)، ص٢٧١ ؛ غومة سالم ابو القاسم محمد، تاريخ المغرب وحضارته دراسة للجيش والاسطول والمنشأت في الدولة المرينية ٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٥م، دار الفكر العربي (القاهرة، ٢٠١٤م)، ص٨٠-٨١.

[3] عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص١١٧ .

[4] وهو من قواد دولة المرابطين في عهد السلطان علي بن يوسف بن تاشفين والذي كان رفيقه في عبوره الى الاندلس ثم تسلم منصب ولاية قرطبة عام ٥٢٦هـ. ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص٥٣٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥١.

ومعه الكثير من المؤن، واتخذ سبيله ايضا الامير ابو زكريا يحيى بن غانية[١] من مدينة بلنسية في خمسمائة فارس واتبع خطواتهم والي لاردة بحشد من جيشه بالاضافة الى قوات مرابطية الامر الذي ادى الى نجاح هذه الوسيلة والانتصار على الفونسو وابعاد خطره عن مدينة افراغة الاسلامية[٢].

وفي عهد السيطرة الموحدية لمدن المسلمين في الاندلس فقد اعتمدوا في كثير من الاحيان على الدعم والامداد العسكري ومن ذلك ما قام به الامير ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م حيث جهز قوات للدعم والمساندة بلغت اربعة الاف فارس اتجهت الى اشبيلية وارسل منها خمسمائة فارس الى مدينة بطليوس لتعزيز وسائلها الدفاعية وزيادة اعداد حاميتها العسكرية، وعندما وقف النصارى على خطورة هذا الدعم العسكري قرروا توجيه حملة تستهدفه الا ان هذا التحرك النصراني قد فشل فشلا ذريعا بعد الانتصار عليه من قبل قوات الدعم[٣].

وكان لمدينة قرطبة الاسلامية نصيبا من قوات الدعم والاسناد المرسلة من قبل الامير (ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) حيث ارسل ببقية الجيش المستقر في اشبيلية نحو مدينة قرطبة لتعزيز وسائلها الدفاعية ضد تحركات ابن مردنيش التي اصبحت مثارا للقلق والتوتر، وان هذه الوسيلة حققت النتائج الايجابية التي

---

[١] هو أبو زكريا يحيى بن علي ابن غانية، من رجالات دولة المرابطين الذين استند عليهم علي بن يوسف بن تاشفين، وتسلم عدة مناصب في ادارة الدولة من اهمها ولاية بلنسية وجيان وقرطبة ايضا. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٧٣ .

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٩ .

[٣] ابن صاحب الصلاة، المن بالمامة، ص١٩٥-١٩٦ .

وضعت من اجلها وذلك بانتصار الجيش القرطبي على حملة ابن مردنيش التي كانت تبغي السيطرة على المدينة[١].

وعندما هاجم البرتغاليون مدينة بطليوس وحاصروها دق ناقوس الخطر لذلك لجأ الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م) الى وسيلة دفاعية عسكرية هي الدعم والامداد للمدن القريبة والمرشحة للهجوم من قبل البرتغاليين لاسيما مدينة اشبيلية فجهز جيشا وارسله الى المدينة عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م لدفع العدو فضلا عن طمأنة الناس الوجلين من التقدم الصليبي الى المدن الاسلامية[٢]؛ وبعد اتمام المهمة العسكرية على افضل وجه انتقل الجيش لدعم مدينة قرطبة ومعاونة واليها ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين على تقوية وسائلها الدفاعية تجنبا للاخطار المحدقة بها والمتمثلة في ابن مردنيش ومرتزقته من الشرق والقوات القشتالية من الشمال[٣].

وعندما هاجم القائد البرتغالي جيرالدو سمبافور الذي تسميه المصادر الاسلامية (جراندة الجليقي) مدينة بطليوس في رجب عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م وضيق على اهلها بادر السيد ابو سعيد بارسال عسكر كبير الى المدينة لتقوية جبهتها الدفاعية وكان الجيش من الموحدين والعرب ومعه من زعماء الاندلس ومن ابرزهم سيد راي بن وزير وابو العلاء بن عزرون[٤].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٦٨-١٦٩ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٩٥.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٣ ؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٠٢ .

[٤] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣١٤ .

وكـان لهـذه الوسـيلة العسـكرية مكانـا فـي الوسـائل العسـكرية لمملكـة غرناطـة وبعـد عـدة اسـتغاثات عسـكرية ارسـل بنـو مـرين دعمـا عسـكريا للـدفاع عـن المـدن الاسـلامية الاندلسـية وارسـل السـلطان ابـو يعقـوب يوسـف بـن يعقـوب بـن عبـد الحـق الناصـر (٦٨٥- ٧٠٦هـ /١٢٨٦-١٣٠٦م) فرقـة عسـكرية بقيـادة وزيـره عمـر بـن عبـد الله دعمـا لابـن الاحمـر فـي حربـه ضـد مملكـة قشتالة[١].

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥٣٧.

المبحث الثاني: الوسائل العسكرية السلبية

لم تكن النتائج المترتبة على الوسائل الدفاعية العسكرية ناجحة دائما فقد شهد تاريخ الصراع الاسلامي مع الممالك الاسبانية النصرانية عددا كبيرا من الوسائل الدفاعية العسكرية السلبية التي جاءت بالفائدة الى المعسكر المعادي للمسلمين في الاندلس وقد قسمت هذه الوسائل الى:

اولا: الاستعانة العسكرية بالممالك الاسبانية

شهدت حقبة دويلات الطوائف بعض الوسائل الدفاعية العسكرية السلبية التي من اخطرها نتيجة على مستقبل التواجد الاسلامي في الاندلس هو الاستعانة العسكرية بالممالك الاسبانية النصرانية لاسيما اذا كانت هذه الوسيلة موجهة اتجاه المسلمين في الصراعات الداخلية التي نشبت بين حكام المدن الاسلامية في الاندلس وكمثال على ذلك في ما اعتمد عليه المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) زعيم مملكة طليطلة في صراعه المستعر مع بني هود حيث صمم على الانتقام منهم بعد انتصاراتهم المتكررة عليه لذلك لجأ عسكريا الى فرناندو الاول ملك قشتالة وطلب منه العون العسكري مما جعل من فرناندو ان يفرض عليه شروطا قاسية مقابل هذا الدعم. هو ان يكون تابعا وخاضعا لسيادته وان يدفع الاتاوة السنوية وبعد موافقته على هذه الشروط المذلة قرر ملك قشتالة ان يبعث سراياه ودعمه العسكري للمأمون[١].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧٨ ؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٧٧ .

وعندما رأى ابن هود الفائدة الانية لهذه للوسيلة الدفاعية العسكرية التي اعتمد عليها المأمون يحيى بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) وجهلا منه بالمساوئ المستقبلية المترتبة على الاستعانة بالعدو الحقيقي للوجود الاسلامي في الاندلس قرر الاستعانة بالممالك الاسبانية النصرانية على ابناء جلدته المسلمين ولم تكن تنازلاته لهم اقل من تنازلات غريمه ابن ذنون ونتيجة لذلك هاجم القشتاليون مدينة طليطلة لاسيما اراضيها الشمالية واكتسحوا الكثير منها وكانت فيها قلاع وحصون بمثابة الدرع والحصن الواقي والمتقدم للثغر الاوسط وبذلك كانت خسارة هذا الحاجز ضربة كبيرة لمدينة طليطلة دلت على سوء التخطيط السياسي والعسكري لكلا المملكتين التي كان حري بهما ان يقوما بتحصين تلك الاراضي بدلا عن اعطائها بدون مقابل لمملكة قشتالة[١].

ونتيجة للانتصارات العسكرية القاسية التي سجلها التحالف المشترك بين بني هود ومملكة قشتالة على مملكة طليطلة قرر ابن ذنون ان يلتمس محالفة مملكة نافار وكانت تنازلاته لاتقل ثقلا على كاهل المسلمين من الاتفاقات المعيبة التي سبقتها في هذا الصراع البغيض، حيث بعث اليهم بالأموال والتحف وكانت نتيجة هذا التحالف العسكري ان قامت مملكة نافار بحملة عسكرية على اراضي بني هود وسجلت انتصارات مميزة حيث سيطروا فيها على قلعة قلهرة[٢] عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م وهكذا برزت السلبيات الكبيرة التي حملتها تلك الوسائل الدفاعية حيث استباحت

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠-٢٨٣ .

[٢] قلهرة او قلبرة وهي قلعة من اعمال طليطلة في شرق الاندلس. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١١١٩.

القوات النصرانية اراضي المملكتين الاسلاميتين وانهارت نتيجة ذلك الخطوط الدفاعية الاولى لكلا المملكتين الاسلاميتين[١].

وقد نبه ابن عذاري في تدوينه لاخبار ملوك الطوائف للسلبيات الكبيرة التي رافقت هذه الوسائل الدفاعية لاسيما التي حدثت بين هذين الاميرين وقال فيما يخص انتهاء هذه الفتنة وذبولها: ((ودامت الفتنة بين هذين الاميرين ابن هود وابن ذي النون على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين واربعمائة الى اخر سنة ثمان وثلاثين واربعمائة وانقطعت بموت سليمان بن هود))[٢].

ولأغراض شخصية بعيدا عن الحجج الواهية التي كان يقدمها ملوك الطوائف في استعاناتهم بقشتالة او غيرها من الممالك الاسبانية انتقم من المأمون يحيى بن ذنون (٤٣٥ -٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) صهره عبد الملك بن عبد العزيز بن ابي العامر زعيم بلنسية الذي اساء معاملة ابنته واهانها فقرر المأمون الانتقام من غريمه ولم يجد بدا من الاستعانه بمملكة قشتالة النصرانية العدو اللدود للمسلمين في الاندلس، التي وجدت في ذلك فرصة سانحة لمشاريعها التوسعية على حساب المدن الاندلسية الاسلامية فهاجمت بلنسية التي كانت لم تكن على وعي كافي بالخطر المحيط بها فداهمها القشتاليون وقتلوا اهلها واسر عبد الملك وتدخلت زوجته ابنة المأمون لإنقاذ حياته وكان ذلك عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٣].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨١ .

[٢] البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٢ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٨٨-١٨٩.

واعتمد صاحب حصن شقورة[1] سراج الدولة بن علي إقبال الدولة[2] على هذه الوسيلة في محاولاته لصد هجمات المقتدر احمد بن سليمان بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦- ١٠٨١م) صاحب سرقسطة، فاتصل سراج الدولة بملك برشلونة الكونت برنجير الذي استجاب له بعد ان فرض عليه شروطاً مهينة وامده ببعض القوات التي ساندته بالسيطرة على بعض الحصون التي سيطر عليها ابن هود فيما بعد، لكن المقتدر استطاع ان يقضي عليه بعد ان دس له السم ومات على اثره عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م[3].

وولجت مملكة بلنسية في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور في سلبيات هذه الوسيلة عندما استعان عدة مرات بسرايا من ملوك اسبانيا النصرانية في مواجهة التحديات والاخطار الخارجية لاسيما ملك قشتالة فرناندو الاول الذي ارسل اليه مرتزقة من النصارى لنجدته مرات عدة فاسهمت هذه الوسيلة في استقرار الامور لصالحه في صراعات خاضها مع جيرانه المسلمين[4].

وابان مواجهة التقدم العسكري المرابطي الهادف الى تغيير الواقع الاليم في الاندلس واجهه زعماء الممالك الاسلامية الاندلسية بالاستعانة بالممالك الاسبانية النصرانية ومن ذلك ما اقدم عليه عبد الله بن بلقين (٤٦٥ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٠م) اثناء التقدم المرابطي باتجاه غرناطة فأعاد علاقته بالفونسو السادس من

---

[1] من الحصون المهمة في الأندلس شمالي مرسية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٥.

[2] هو سراج الدولة بن علي إقبال الدولة بن مجاهد العامري. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٤٩.

[3] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١١ .

[4] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٨٨.

خلال معاهدة قدم فيها من التنازلات الكثير من اجل ان يجد من يسانده ضد التقدم المرابطي[1].

ولم يختلف موقف المأمون بن المعتمد زعيم مملكة قرطبة كثيرا عن موقف عبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢– ١٠٩٠م) في مواجهة التقدم المرابطي فقد ارسل زوجته واولاده وامواله الى حصن المدور جنوب قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير لكي يستطيعوا ان يلوذوا بملك قشتالة في حال الضرورة الا ان علاقته لم تنفعه حيث سيطر المرابطون على المدينة عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م[2].

وعشية الحصار المرابطي لأشبيليه استنجد حاكمها بالفونسو السادس ملك قشتالة الذي ارسل اليه جيشا من اجل دفع المرابطين عن المدينة الا ان هذه الوسيلة قد فشلت لان المرابطين استطاعوا هزيمة الجيش النصراني والسيطرة على المدينة[3].

ثانيا: محاولات الانجاد العسكرية الفاشلة

قد تعد وسيلة الانجاد العسكري بالاجنبي ايجابية، في القراءة الاولية لها لأنها وسيلة عسكرية الهدف منها هو ابعاد الخطر القائم على المدن الاسلامية الاندلسية الا ان البحث والتقصي في نتائج هذه الحملات كان سلبيا وخطأ في اغلب المقاييس. اذ ان مثل هذه المحاولات لم تنجح في الوصول الى مبتغاها الذي وضعت لأجله وهو الحماية والانجاد. فكانت نتيجتها على العكس وهو الفشل وبالتالي سقوط المدينة او الحصن المعرض للخطر الداهم وكان فشل هذه الحملة اما بسبب الفشل في قيادتها او في اعدادها او يكون السبب متعلقا في القوة المهاجمة للمدينة فيكون كبر

---

[1] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٥٣؛ ابن بلقين، التبيان، ص١٣٥ .

[2] ابن ابي الزرع، الانيس المطرف، ص١٥٤

[3] عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص٣٥١.

حجم القوة المهاجمة او حسن قيادتها كفيلا في انتصارها وبالتالي فشل الوسيلة الدفاعية العسكرية التي اقدمت عليها القيادة المسؤولة عن حماية هذه المدينة. ولم نجد مثلا لهذه الوسائل العسكرية في زمن ملوك الطوائف لان التشتت والتشضي السياسي كان كفيلا في احباط اي محاولة للأنجاد العسكري وهي بمهدها، ولان هذه الوسيلة كانت تحتاج الى وحدة سياسية تدافع عن المدن وهذا الامر الذي كانت تفتقده مدن الاندلس الاسلامية في عهد ملوك الطوائف الا اننا لمسناه جليا في عهد السيطرة المرابطية على المدن الاسلامية الاندلسية الامر الذي وجدنا فيه كثرة حملات الانجاد العسكري التي كان من الطبيعي جدا وجود سلبيات في بعض منها.

ومن هذه الوسائل السلبية الحملة التي وجهها المرابطون لنجدة مدينة سرقسطة المحاصرة من قبل الحملة الصليبية التي هاجمت المدينة عام ٥١٢هـ/١١١٨م[١]، ونتيجة الصرخات التي وجهها اهلها الى زعماء المرابطين فتحركت حملة الانجاد التي جهزها ابو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين واتجهت نحو سرقسطة حتى بلغت حصونها الدفاعية الا ان هذه الحملة احجمت عن القتال لذلك سلمت المدينة وربما كان هذا الاحجام بسبب وقوف قيادة هذه الحملة على الحجم الكبير للجيوش الصليبية وعدم جدوى حملة الانجاد لذلك فشلت هذه الحملة بما ارسلت من اجلها[٢].

وبعد سقوط مدينة سرقسطة على يد الحملة النصرانية بقيادة ملك ارغون تشجع الصليبيون فهاجموا المدن القريبة حتى سقط عدد منها بأيديهم ونتيجة هذه الاخطار ودفاعا عن مدن الاندلس الاسلامية امر السلطان

---

[١] السامرائي، أسامة عبد الحميد حسين، دولة الموحدين (تأسيسها – ثورتها – تنظيماتها – عقيدتها)، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)، ص٢٦ .

[٢] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦٣ .

المرابطي علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) اخاه ابا اسحاق ابراهيم بن يوسف والي اشبيلية باعلان التعبئة العسكرية في مدن الاندلس الاسلامية و اوعز لولاة المدن ان يهبوا تحت قيادة اخيه لدفع العدو الصائل وقتال ابن رذمير ملك اراغون ونتيجة هذه التعبئة وافت الجيش قوات من قرطبة وغرناطة ومرسية ومتطوعة من اغلب المدن الاسلامية في الاندلس وتواجه الطرفان في كتندة[١] عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م ورغم بلاء المسلمون بلاء حسنا الا ان نتيجة المعركة كانت لصالح القوات النصرانية التي تمكنت من السيطرة على مناطق اسلامية جديدة وقتل الكثير من الجيش المسلم لاسيما من الفقهاء والعلماء الامر الذي يبين مدى السلبيات التي ترتبت على هذه الوسيلة الدفاعية العسكرية[٢].

ومن الوسائل العسكرية التي واجه بها المسلمون غزوة الفونسو ملك اراغون تجاه المدن الاسلامية الاندلسية هي حملة عسكرية لاحقت فيها الجيوش الاسلامية جيش اراغون المنسحب من حصار غرناطة في ٢٦ ذي الحجة عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ونشبت معركة بينهما هُزم فيها المسلمون هزيمة منكرة واصبحت الغلبة من

---

[١] مدينة بالقرب من سرقسطة تبعد عنها مسير ثلاثة ايام. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٦ .

[٢] ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص١٤٤؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٤٠٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٧١؛ ابو بامخرمة، الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت: ٩٤٧هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح: بو جمعة مكري، دار المنهاج (جدة، ١٤٢٨هـ)، ج٤، ص٣٦ .

جديد لصالح اراغون حيث استمر ملكها الفونسو بهجماته على المدن الاسلامية الاندلسية[١] .

وفي عام ٥٢٣هـ/١١٢٨م تكرر الاخفاق في مثل هذه الوسائل الدفاعية ففي عهد السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الذي اوعز للمسلمين بصد الحملة الارجونية المستهدفة المدن الاسلامية الاندلسية وكانت من نتيجتها ان سقطت مدينة طركونة فهب لذلك المسلمون وانخرطوا بجيش من المتطوعة المغاربة ومن الاندلسيين محاولين وقف الزحف الارجوني بقيادة ابن رذمير (الفونسو) والتقى الطرفان في مكان يعرف بالقليعة[٢] الا ان هذه الوسيلة العسكرية اخفقت نتيجة لخسارة المسلمين فيها[٣].

وعلى الرغم من كثرة جنود المسلمين في هذه المعركة بالإضافة الى الدافع الذي ينقص اعدائهم باعتبارهم طلاب جهاد الا انهم خسروا هذه المعركة، وخسارتهم فيها كانت قاسية، لعدم وجود الوحدة والتجانس المطلوب في الحروب للانتصار بالمعركة فقد كان في الجيش الاسلامي الكثير من الافارقة السود الذين ارسلهم السلطان علي بن يوسف (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الا ان هذا الجيش كان ينقصه الكثير من التوحد والتجانس حتى يتمكن من الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية لذلك كان فشل هذه الوسيلة فشلا ذريعا الامر الذي يفسر قيام السلطان

---

[١] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٦-١٦٠.

[٢] القليعة وهو حصن يقع بين مدينتي قرطبة واشبيلية. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦١.

[٣] ابن القطان، نظم الجمان، ص١٥٣-١٥٤ .

علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) ارسال رسالة لوم وعتاب الى قادة الاندلس وزعمائها محملهم سبب فشل هذه الوسيلة الدفاعية[١].

وفي كثير من الاحيان ما تتكرر عمليات الانجاد الفاشلة على الرغم من حنكة وخبرة القادة العسكريين المرابطين التي يبدو ان الظروف السياسية والعسكرية والتهيئة لعمليات الانجاد لم تكن بالمستوى المطلوب على الرغم من ان بعض هذه الحملات تولى قيادتها قادة اكفاء مثل يحيى بن غانية الذي اشتهر بوسائله الدفاعية الناجحة في الكثير من الحملات النصرانية عموما والحملات القشتالية خصوصا الا ان كثرت الهجمات على المدن الاسلامية الاندلسية في ذلك الوقت جعلت الاخطاء تزداد وهذا امر طبيعي اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار المعارك المستمرة بين المعسكرين الاسلامي والنصراني، ويتضح ما ذهبنا اليه انفا عندما هاجم القشتاليون حصون شرق طليطلة فحاصروها حصارا شديدا وهرع يحيى بن غانية وبدعم من مدن قرطبة ومرسية واشبيلية الا ان هذه الحملة لم تنجح بصد الهجوم او فك الحصار بل عادت الى ادراجها الامر الذي اضطر الحصن الى التسليم للقشتاليين[٢].

اما في العهد السيطرة الموحدية على مقاليد الامور في الاندلس فقد تكررت مثل تلك الوسائل التي فشلت فيما وضعت لاجله، حين ارسل الخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) حملة انجاد عسكرية الى مدينة غرناطة بقيادة ابنه (ابو سعيد) التي هاجمها ابن همشك[٣] عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م[١] حيث شكل هجومه خطرا محدقا بالمدينة

---

(١) عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص١١٩ .

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص٨٢ .

(٣) هو ابو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن هَمُشْك كان حليفا لابن مردنيش في صراعه مع الموحدين. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص ١٥١-١٥٤ .

وعند وصول الحملة استطاع ابن همشك من تسجيل انتصارا كبيرا على الموحدين الامر الذي كاد ان يكون ضربة قاضية للمدينة لاسيما بعد ان دفع الانتصار ابن همشك الى المضي قدما وبخطوات ثابتة للسيطرة على المدينة لولا الوسائل الدفاعية التي قام بها الخليفة عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) والتي استطاعت من دحر قوات ابن همشك وابعاد خطره عن المدينة[٢].

وعلى الرغم مما تقدم من توضيح السلبيات والاخفاقات التي حدثت اثناء حملات الانجاد العسكرية الا ان اكثرها سلبية واخفاق الجواز الذي قام به الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) في عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م فعلى الرغم من الكثرة العددية لجيشه حيث بلغ مائة و اربعين الف مقاتل وتوجه الى المدن الاندلسية الاسلامية الرئيسة لتقوية وسائلها الدفاعية اداريا وعسكريا، الا ان الوجهة الاساسية كانت تهدف الى صد الخطر البرتغالي الذي استفحل برا وبحرا واصبح يشكل خطرا كبيرا على وجود المدن الاسلامية الاندلسية في تلك البقاع، لذلك توجه نحو مدينة شنترين وبعد حصار محكم للمدينة اصدر الخليفة الموحدي امرا مفاجئا بالانسحاب من اطراف المدينة ورفع الحصار واثناء الانسحاب حدث هرج وعدم تنسيق الامر الذي جعل الخليفة في خطر مما جعل البرتغاليين يستطيعون الوصول اليه وجرحه فمات على اثر ذلك في الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م[٣].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٥٢ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٥٤ ؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٢٣.

[٣] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢١٥؛ المراكشي، المعجب، ص١٩١؛ وفيات الاعيان، ج٧، ص١٣٦؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٣٠٧-٣٠٨ .

ويكمن السبب في فشل حملة الانجاد التي قادها الخليفة الموحدي بنفسه هو عدم التجانس بين القوات لأنها مكونة من خليط من الاجناس منها المغربية والاندلسية ومنها العربية ومنها الموحدية الامر الذي جعل صعوبة التنسيق بين كل هذه الاطراف، الا اننا نستطيع ان نجعل للخيانة دورا رئيسيا في جعل الخليفة الموحدي بهذا المأزق الذي يندر ان نراه بهذا الشكل في تاريخ السياسي والعسكري للمسلمين في الاندلس.

وفي عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م تكررت مثل هذه الوسيلة في التاريخ العسكري للموحدين وعلى يد الخليفة الموحدي الناصر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) عندما قاد حملة انجاد لرد عادية الحملة الصليبية الاوربية التي قادها ملك قشتالة الفونسو الثامن فتقابل الطرفان عند حصن العقاب الذي سيطرت عليه القوات النصرانية في يوم الاثنين الخامس عشر من صفر وكان الهجوم النصراني شديد على الجيش الموحدي ومع ذلك كانت بوادر النصر في بادئ الامر للموحدين الا ان تدخل القوات الاحتياطية لملك قشتالة كان لها اثرٌ حاسمٌ في انهاء المعركة حين وصلت طلائع قواته الى خيمة الناصر وخسر الموحدون المعركة وكانت خسارتهم كبيرة جدا[١].

ونستطيع القول ان خسارة حصن العقاب تعد بداية النهاية بالنسبة الى التواجد الموحدي في الاندلس فضلا عن انه يعد بداية خروج الكثير من المدن الاسلامية الاندلسية من السيطرة الاسلامية لاسيما عند سيطرت القوات البرتغالية على ثغر قصر ابي دانس وهو عن امنع القواعد الذي كان يقف حائلا دون سيول الحملات البرتغالية الى المدن الاسلامية الاندلسية في الجنوب الامر الذي جعل الخليفة

---

[١] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢٤٠-٢٤١؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص٢٤٤؛ ابن الابار، التكملة، ج٣، ص٢٤٠ .

الموحدي المستنصر يوعز الى ولاة قرطبة واشبيلية وجيان وولاة غرب الاندلس لانجاد الثغر المحاصر و السفن الموحدية الا ان جميع هذه الجهود ذهبت سدا بعد الخسارة التي منيت بها على يد القوات البرتغالية التي سيطرت على القصر[١].

وفي عشية انحلال السيطرة الموحدية وضعفها في المدن الاسلامية الاندلسية لاسيما في فترة حكم الخليفة الموحدي ابي العلى المأمون إدريس بن المنصور (٥٨١- ٦٣٠هـ/ ١١٨٥- ١٢٣٢م) الامر الذي جعل ملك ليون الفونسو التاسع يستغل ضعف الوسائل الدفاعية عن المدن الاسلامية فهاجم غرب الاندلس عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م و تقدم لمحاصرة مدينة ماردة، فلم تجد المدينة انجادا من السلطة الموحدية بسبب الضعف والهوان الذي اصابها، الا ان ابن هود الجذامي توجه بقواته لنجدة المدينة ونشبت بين الطرفين معركة عند حصن الحنش[٢]، انتهت بانتصار ليون و فشل كبير لحملة الانجاد التي جاءت بالنتائج العكسية حيث احتل الفونسو التاسع مدينة ماردة وبطليوس في عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[٣] .

وكان لغياب الوحدة السياسية في الاندلس الاسلامية اثرها في تكرر الوسائل العسكرية السلبية لاسيما الانجاد منها ففي عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م هاجم القشتاليون احواز قرطبة واشبيلية حتى هددوا المدينتين بتحركاته العسكرية لذلك اقدم ابن هود الجذامي على ارسال حملة عسكرية التقت بالقشتاليين بالقرب من مدينة شريش الا انه خسر المعركة على الرغم من تغلبه عليهم بالعدد، وكان للخسارات العسكرية المتتالية اثر كبير في عدم اقدام ابن هود لتقديم الدعم العسكري لمدينة قرطبة التي

---

[١] الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٥ .

[٢] هو حصن بالقرب من مدينة بطليوس. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٦ .

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٦٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٩ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٥-٤٦٦ .

كانت محاصرة من القشتاليين واكتفى بالمسير الى المدينة الا انه تركها بعد ان احجم عن نجدتها وتركها لمصيرها المحتوم، ولم تسجل المصادر التاريخية اي وسيلة دفاعية قامت بها الجبهة الاسلامية سوى الشعبية منها[١].

وقد رافق التاريخ العسكري لمملكة غرناطة العديد من الوسائل الدفاعية التي كانت ذات تأثير سلبي لاسيما حملات الانجاد المغربية ففي عهد السلطان ابو الحجاج يوسف الاول (٧٣٣- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٢- ١٣٥٤م) كثرت الغزوات الاسبانية على مدن المسلمين بالاندلس فكان الفونسو الحادي عشر له اطماع كبيرة نحو مملكة غرناطة الامر الذي جعل ابا الحجاج يطلب الاستعانة من سلطان بني مرين ابي الحسن علي بن عثمان (٧٣٢- ٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨ م) الذي ارسل ولده الاكبر ابا مالك (امير الثغور) بجيش كبير فعبر البحر وهاجم سهل بجاية وحدثت معركة بين الطرفين عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م كانت نتيجتها ان خسر المسلمون خسارة كبيرة وقتل منهم عدد كبير وكان من بين القتلى ابي مالك نفسه[٢].

ولم يقف الامر عند هذا الحد المتردي فقد عزم السلطان ابو الحسن المريني العبور بنفسه الى الاندلس ليثأر للخسارة الكبيرة التي منيت بها جيوشه وقتل ولده (ابو مالك) فعبر في اوائل محرم عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م ولحق به سلطان بني نصر ابو الحجاج يوسف الاول (٧٣٣- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٣- ١٣٥٤م) بقوات الاندلس، وتواجهوا مع القوات النصرانية في جمادي الاولى عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة انتهت بخسارة المسلمين خسارة كبيرة وكان من بين القتلى حريم سلطان بني

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٠٧؛ ابن خلدون، ج٤، ص١١٧؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٧٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٨.

[٢] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٧٧٢ .

مـرين وحشـمه وكـان لتلـك الخسـارة وقـع عظـيم فـي الانـدلس والمغـرب وتنبـه لـذلك ابـن خلـدون بقولـه ((وكـان يـوم ابـتلاء وتمحـيص))[١]، وتكـررت هـذه الوسـيلة السـلبية مـرة اخـرى عـام ٧٤٢هـ/١٣٤١م عنـدما عبـر سـلطان بنـي مـرين لنجـدة قلعـة بنـي سـعيد[٢] التـي هاجمهـا القشـتاليون عـام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م فسـارت الحملـة المرينيـة الـى سبته ونشبت معركـة بحريـة بـين الطـرفين هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة ومزق اسطولهم عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م[٣].

وقد وقـع بنـو الاحمر زعمـاء مملكـة غرناطـة في مستنقع الحمـلات العسكرية السلبية بسبب الاوضـاع الاجتماعيـة السيئة التي كانت تعيشـها المملكـة المتمثلـة فـي الحـروب الاهليـة التـي نشبت بين طوائف الشـعب الغرنـاطي في النصف الثـاني من القرن التاسـع الهجري وتحديدا في عهد السلطان ابي الحسن الغالب بـالله فقد هاجم القشتاليون منطقة الحامة[٤] بعد علمهم بضعف الوسائل المدينة الدفاعية واستطاعوا دخول المدينـة في محرم عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين فيهـا، فجهز ابـو الحسـن حملـة عسكرية لأنجـاد المدينـة فحاصرها حصـارا شـديدا الا انـه اضـطر الـى مغادرتهـا بعـد ان علـم ان ملـك قشـتالة سـائرا لـدعم قواتـه التـي دخلـت الحامة[٥] .

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٢٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص١٣٨.

[٢] قلعة بني سعيد او قلعة يحصب تقع بالقرب من مدينـة غرناطـة. ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٥٥ .

[٣] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٤٧ .

[٤] الحامة او الحمة وتقع غربي غرناطـة إلى الجنوب من مدينـة لوشـة. ينظر: طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص٦٠ .

[٥] مجهول، نبذة العصر، ص٩؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص٦٠ .

ثالثا: الخطط العسكرية الفاشلة

في كثير من الاحيان كان للقيادات الاسلامية التي كانت مسؤولياتها الاولى هي الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية من خلال الوسائل الدفاعية العسكرية وكان للكثير منها نتائج ايجابية الا ان في المقابل كانت منها ما تكون ذات تأثير سلبي بل ان بعضها تكون ذات تأثير كارثي، اي بسببها حدثت اخطار جسيمة ومدمرة كأن تكون الهزيمة بالمعركة الدفاعية وبخسائر كبيرة جدا او بخطة عسكرية غير محكمة كان من المفروض ان تكون لصالح المسلمين في رد العدو الصائل الا ان سوء التخطيط وعدم تقدير الحالة ادى الى فشل هذه الوسيلة العسكرية.

ومن تلك الوسائل التي تقدم الاشارة اليها ما حدث في عام ٥٢٦هـ/١١٣١م عندما خرجت قوات قشتالية الى احواز اشبيلية وقتلت عددا كبيرا من المسلمين فضلا عن تخريب المناطق الامر الذي جعل والي اشبيلية عمر بن الحاج اللمتوني يعمد الى وسيلة عسكرية دفاعية هي الخروج بقوات من داخل المدينة للقاء القوات القشتالية وبعد حدوث بعض المناوشات العسكرية بين الطرفين تمكن والي المدينة من اسر عدد من الجنود القشتاليين على ضفة احد الانهر المحيط بالمدينة فجاء بهم امام اعين اصحابهم في الضفة الاخرى من النهر فضرب اعناقهم، الامر الذي تسبب بنشوب نار الانتقام في صدور القشتاليين فعبروا النهر للانتقام من المسلمين وحدثت معركة كبيرة بين الطرفين خسر فيها المسلمون خسارة كبيرة كان من بين القتلى الوالي عمر بن الحاج نفسه[١].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٧١؛ سالم، سحر السيد عبد العزيز، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، بلا.ت)، ج٢، ص٤٢ .

الامر الذي يجعلنا نلتمس بوضوح السلبيات الكثيرة التي حملتها تلك الوسيلة الدفاعية التي كان الوالي يبتغي منها تشريد العدو والغلظة بالتعامل معه الا ان ما حصل عكس ما اراد بل جعل الصليبيين يحملون عليهم وينتقمون لقتلاهم بسوء تقدير القوة الكامنة في نفوسهم بل ربما كانت المفاوضة في مصير الاسرى اولى من قتلهم الذي تسبب بقتل الكثير من المسلمين وقادتهم[١].

وكان للموحدين بعض الوسائل العسكرية الدفاعية السلبية لاسيما البحرية منها حيث هاجم البرتغاليون جزيرة شلطيش واسروا عددا من سكانها المسلمين فبقوا في الاسر حتى اقدم الخليفة ابو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) بفدائهم وانقاذهم من ايدي النصارى و اوعز الى اسطوله في شهر محرم عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م بقيادة غانم بن مردنيش[٢] بقيادة الاسطول الى مياه البرتغال ونزلت ونزلت الحملة في مدن العمق البرتغالي الى ان البرتغاليين اعلنوا الاستنفار فاوقعوا الحملة الاسلامية بعدة كمائن حتى وقع غانم واخوه هلال بالاسر فافتداهم الخليفة ابو يعقوب الامر الذي يبين فشل هذه الحملة العسكرية على الرغم من جرأتها[٣].

اما في عهد مملكة غرناطة فقد خالج تاريخها العسكري الكثير من الوسائل الدفاعية السلبية او العمليات العسكرية الفاشلة، والتي كانت ذات تأثير مباشر في خسارة المسلمين للكثير من الاراضي وبالتالي خسارة غرناطة نفسها، حيث حاصر القشتاليون ثغر الجزيرة الخضراء بهدف قطع مسلمي غرناطة عن مصدر قوتهم عدوة المغرب، الامر الذي جعل سلطان بني الاحمر يجهز حملة عسكرية لانجاد هذا

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٧١ .

(٢) هو غانم بن محمد بن سعد بن مردنيش قائد الاسطول البحري الموحدي ومقره سبتة. ينظر: عبيدات، الموحدون في الأندلس، ص٨٦ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٧/٤ .

الثغر الاستراتيجي وجهز جيشه بالتجهيزات المناسبة لكنه لم يستطيع دفع القشتاليين عنه الامر الذي اضطره للتسليم وبذلك خسر المسلمون اهم الثغور الجنوبية المشرفان على المضيق وهما طريف والجزيرة الخضراء[١]

---

[١] لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٤٩-١٥٠ .

الفصل الثالث

الوسائل الدفاعية الادارية

المبحث الاول: الوسائل الادارية الايجابية

اولا: التوجيهات الادارية في زيادة التحصينات الدفاعية

ثانيا: تعمير المدن المخربة وتمصيرها

ثالثا: الوسائل الدفاعية عند بناء المدن الاندلسية واستحداثاتها

رابعا: التوجيه بتدمير مدن العدو وحصونه

خامسا: التقسيم السكاني في الثغور الاندلسية ومدنها

سادسا: منح الاقطاعات العسكرية

سابعا: تحصين الثغور والقلاع الحدودية

ثامنا: الخطط و الاجراءات الادارية الدفاعية

تاسعا: التولية والتنصيب

عاشرا: قرارات العزل والابعاد

الحادي عشر: نقل مقر الحكم ومركز الادارة

الثاني عشر: اثابة الحاميات والجيوش المدافعة

الثالث عشر: اعداد القادة ورجال الدولة

الرابع عشر: استنهاض الهمم وتحذير الولاة

الخامس عشر: التموين والدعم لجيوش العدوة المغربية

السادس عشر: التوجيه بطلب الاسناد والدعم

السابع عشر: الوصايا الدفاعية

الثامن عشر: الوسائل الادارية الاستراتيجية

المبحث الثاني: الوسائل الادارية السلبية

اولا: تولية الغير كفوء

ثانيا: تصفية رجال الدولة

المبحث الاول: الوسائل الادارية الايجابية

اسهمت الوسائل الدفاعية الادارية بإبعاد الكثير من الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية الاندلسية لاسيما تلك التي كانت تشكلها الممالك الاسبانية النصرانية ولطالما هي في صميم قرارات لقيادات سياسية متنوعة الامر الذي زاد من اشكالها وصورها حسب الزمان والمكان فكانت كما يأتي:

اولا: التوجيهات الادارية في زيادة التحصينات الدفاعية

تعد التحصينات الدفاعية من اهم الوسائل التي من الممكن ان يعتمد عليها المدافعون عن المدن المواجهة لأخطار محتدمة لاسيما في العصور الوسطى اذ عدت الاسوار والقلاع والحصون من اهم مقومات وجود المدن وسلامتها في تلك العصور بل قد تكون في بعض الاحيان من اهم ما يشار اليه في تثمين مقدار القوة والضعف لهذه المدينة او تلك، فالتحصينات الدفاعية كفيلة بان تجعل العدو يفكر مليا قبل الاقدام على الهجوم على المدينة، فاذا كانت تحصيناتها متقنة ومتينة تصبح عندئذ من شأنها ان تجعل العدو مضطرا ان يثني نفسه عن التقدم نحوها، اما اذا لمس الضعف والبساطة في التحصينات سهلت مهمته وبادر من اجل السيطرة عليها، وقد انتبه المسلمون في وقت مبكر الى اهمية الدفاع عن مدنهم في الاندلس فتصدوا للتحديات التي واجهتهم هناك، لذلك عدت هذه الوسيلة من الوسائل الادارية الاولى لأنها عادة تسبق توجه العدو نحو المدن الاسلامية وتحبط مطامعه العدوانية.

ويتضح هذا الافتراض جليا في اول الاخطار والهجمات التي تصدى لها المسلمون في مدينة يابرة[1] بداية القرن الرابع الهجري وتحديدا عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م عندما هاجمتها مملكة ليون النصرانية بقيادة اردونيو الثاني

([1]) مدينة تقع غرب الاندلس وبالقرب من شنترين. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٩٧

فدخلها وعاث فيها فسادا واصبحت بطليوس في خطر داهم[1]. الامر الذي جعل المدن الاسلامية وقواعدها اكثر نشاطا في تعزيز الوسائل الدفاعية التي على رأسها التحصينات فعمل القائمون على تلك المدن بإصلاح اسوارهم، وقام اهل بطليوس بجهود كبيرة وحصنوا اسوارهم وزادوا في عرضها وارتفاعها بقيادة عاملهم عبد الله بن محمد الجليقي[2]. وبقيت مدينة يابرة بعد الغزو لمدة عام حتى اعاد بناءها المسلمون وحصنوها من جديد ورمموا اسوار مدينتهم فعمرت وعادت لتأخذ نصيبها من مجرى تاريخ الاحداث للتواجد الاسلامي في الاندلس[3].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) كان لمدينة قلهرة[4] نصيبا من هذه الوسيلة لاسيما عندما واجهت خطر الممالك الاسبانية فارسل اليها احد رجاله الذي قام بتعميرها وتحصينها وشحنها بالرجال[5].

وكان لمدينة المرية نصيبا مشهودا من الوسائل الدفاعية التي تبناها الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) . ففي عام ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م قصدها مع

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص١٢٢-١٢٣؛ السامرائي، عبد الحميد حسين احمد، الثغر الادنى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٧م، ص١٦٦-١٦٧ .

[2] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص٩٦ .

[3] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص٩٦ ؛ الصوفي، فائزة حمزة عباس عثمان، التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمارة ١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٥ - ٩٢٨ م، دار زهران (الامارات، ٢٠١٤م)، ص١٠٢-١٠٣ .

[4] مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٣ .

[5] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨٦؛ العامري ، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي، ص١٢٣.

قادته ليشرف بنفسه على اعمال التحصين الجارية فيها وليتخذ كافة الوسائل الادارية والامنية التي تحبط مطامع العدو وتصده عن هذه المدينة التي تعد من اهم الثغور البحرية للمسلمين في الاندلس[١].

وشهدت مدينة قرطبة في عهد الحاجب المنصور(٣٧١- ٣٩٢هـ/ ٩٨١- ١٠٠٢م) توسعة كبيرة حتى بلغت مبلغا عظيما وبلغت ارباضها ٢١ ربضا[٢] ، كل ربض فيها يعد اكبر مدينة من مدائن الاندلس ((وكانت يمشى فيها بضوء السرج المتصلة عشرة اميال))[٣] الامر الذي اضطر المنصور الى زيادة تحصيناتها الدفاعية ، الامر الذي يبين مدى التطور الكبير الذي دخل على التحصينات الدفاعية للمدن الاندلسية في عهد الحاجب المنصور[٤].

وقد شهدت مدينة قرطبة زيادة في تحصيناتها الدفاعية في عهد الخليفة محمد بن هشام المهدي (٣٩٩- ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٨- ١٠٠٩م) وقد تضمنت هذه التحصينات توسعة وتعميق في الخندق المحيط بها فضلا عن انه اقام وراءه سورا احاط بالمدينة. والملفت للنظر ان هذه التحصينات لم تقتصر على التصدي للعدو النصراني الحقيقي المتربص بالمسلمين ومدنهم

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦؛ الاحاطة، ج١، ص٤٨٦؛ طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم ، ص١٣

[٢] النعسان، محمد هشام ، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٧م)، ص١٤٠ .

[٣] الشقندي، اسماعيل بن محمد ابو الوليد (ت: ٦٢٩هـ)، رسالة فضل الاندلس واهلها، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد (بيروت، ١٩٦٨م)، ص٥٥.

[٤] البدري، ياسر محمد ياسين، أقمار في سماء الأندلس – ابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)، ص٣٢؛ سامعي، إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الاكاديمي (الاردن، ٢٠١٨م)، ص٢٢٨.

فحسب بل كانت ضد مطامع البربر ايضا ايام الفتنة التي حدثت بينهم وبين العرب[1].

وكانت حقبة ملوك الطوائف فقد شهدت في زمن بني الافطس وبخاصة في عهد محمد بن عبد الله بن الافطس المظفر (٤٣٧- ٤٦١هـ/ ١٠٤٥- ١٠٦٨م) بعض التوجيهات الادارية التي تهدف الى زيادة التحصينات الدفاعية للمدن التابعة لسلطته لاسيما عندما علم بنية النصارى التوجه للسيطرة على مدينة شنترين وعلى وجه السرعة اوعز ابن الافطس الى قواته لتحصين المدينة وسد الثغرات التي من الممكن ان تستفاد منها القوات المهاجمة، وعندما وقف النصارى على نجاعة تلك الوسيلة الادارية وتيقنهم بعدم مقدرتهم السيطرة عليها وجدوا انفسهم مضطرين الى حل هذا الصراع سياسيا وبذلك سلمت المدينة من خطر كان يتهدد الوجود الاسلامي في مدينة شنترين[2].

وكان لهذه الوسيلة الدفاعية مكانا في سياسة محمد بن خزرون (القائم) (٤٤٦-٤٦٠هـ/ ١٠٥٤- ١٠٦٧م) اول زعماء دولة بني خزرون التي نشأت في مدينة اركش، فعندما احس بالخطر الداهم الذي بدأ يلوح بالأفق من قبل المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) لجأ الى تحصين مدينة اركش وفعلا استطاعت هذه المدينة ان تقاوم لفترة من الزمن التحديات الخارجية لها[3].

---

[1] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، ص٤٥؛ بوباية، البربر في الأندلس، ص٤١٥ .

[2] التميمي، بنو الافطس في بطليوس، ص٥٧.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧١-٢٧٣ .

وفـي الجهـات الشـرقية مـن الانـدلس التـي تزعمهـا الفتيـان الصـقالبة كانـت مدينــة المريــة تحـت حكـم خيـران الصـقلبي (٤٠٢-٤١٩هـ/ ١٠١١-١٠٢٨م) الـذي اجتهـد فـي وسـائلها الدفاعيـة الاداريـة حيـث ضـبطها ونظمهـا تنظيمـا دقيقـا وقـام بتحصـينها واصـلح قصـبتها واضـاف اليهـا حتـى غـدت فـي عهـده افضـل القصـبات الاسـلامية الأندلسـية واحصـنها، واهـتم كثيـرا بتحصـين كافـة المرافـق الملحقـة بهـا لاسـيما قبلـة جـامع المريـة وقـام ببنـاء سـور المدينـة الهـابط مـن الجبـل الـى البحـر وجعـل لـه اربعـة ابـواب وبـذلك تمـت حمايـة المدينـة مـن هـذه الجهـة التي كانـت تعـد مـن اضـعف الجهـات التي مـن الممكـن ان ينفـذ منهـا العـدو وتكـون سـببا فـي ضـياع المدينـة لاسـيما اثنـاء مواجهتهـا للتحديات الخارجية[١].

وكـان لمدينـة المريـة وسـائل دفاعيـة اداريـة اخرى متمثلـة بتحصـينات دفاعيـة محكمة في عهد بني صمادح التجيبيين الذين حكموا المدينة لاسيما في عهد اميرهم ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح (٤٤٣ - ٤٨٤هـ/ ١٠٥١- ١٠٩١م) حيث زاد من بنائها ووسع قصبتها وجعل قصره فيها ممتدا حتى الجبل باحصن اقسام المدينة وجعل قسما منه مطلا على المدينة يرى منه احياء المدينة وبحرها وعندئذ يستطيع مراقبة السفن المقبلة على مرساها وخروجها منها، وانشأ خارج المدينة قصورا

---

[١] مجهول، تاريخ الاندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م)، ص١٣٨؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٦٩م)، ص٦٠-٦١؛ طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم ، ص١٣٤ .

وبساتين، ولا يمكن ابعاد المغزى الدفاعي من انشاء مثل تلك الصروح الكبيرة خارج اسوار المدينة[١].

وكان لعلي بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/ ١٠٤٤- ١٠٧٥م) امير الجزائر الشرقية للأندلس الذي كان له دور بارز في مثل هذه الوسيلة الادارية فقد عمل في بداية تسنمه منصب الحكم والادارة في تلك الجزائر خلفا لوالده على تحصين مدنه لاسيما التي احس انها كانت هدفا منشودا للهجمات النصرانية المتلاحقة على مملكته فقد حصن ميورقة وبذل جهدا كبيرا في اعداد وسائل الدفاع فيها[٢].

ولم تكن مملكة بلنسية بعيدة عن هذه الوسيلة الدفاعية الادارية ففي عهد العبدين مظفر ومبارك اللذان سيطرا على المدينة بعد طرد مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) منها قاما بتحصين المدينة وصيانتها، وبنيا سورها وصمما لها ابوابا حصينة ونتيجة لهذه التحصينات زال عنها طمع الطامعين وشهدت استقرارا ملحوظا[٣].

وقد شهدت مدينة غرناطة بعض من هذه التحصينات بقصد جعلها وسائل دفاعية ضد الجيوش المرابطية التي اجتازت البحر بقيادة يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) الى الاندلس وتحت الشعور بالخطر من تلك القوات قام زعيم المدينة عبد الله بن بلقين (٤٦٥ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م)

---

[١] ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت: ٤٧٨هـ)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني منشورات معهد الدراسات الاسلامية (مدريد، ١٩٦٥م)، ص٨٥-٨٦، سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٧٧ .

[٢] عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص٢١١.

[٣] ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص١٦ .

بتوجيه طاقات الدولة نحو هذه الوسيلة حيث رمم حصونها واعلا ابراجها ونصب الرعادات[١].

بادر المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) حاكم اشبيلية بالدفاع عن مملكته ضد التوسع العسكري ليوسف بن تاشفين(٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) باتجاه المدن الاندلسية وكان جهده منصبا في التأهب واقامت التحصينات الدفاعية الادارية فضلا فأحكم اسوار المدينة التي تعد الخط الدفاعي الاهم والكفيل برد عادية العدو لاسيما في حالة اطالة امد الحصار الذي من الممكن ان يقوم به العدو ضد المدينة المستهدفة[٢]

وبلغت التحصينات الدفاعية الادارية للمدن الاسلامية الاندلسية في العهد المرابطي اوجها، لما كان لزعمائها من دور بارز في هذا المجال وعلى رأسهم الامير علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الذي بذل جهودا مضنية بعمليات تحصين المدن فيما اصبح يطلق عليه مصطلح (تسوير المدن) حيث اخذ فتوى العلماء للمسير بهذا المشروع الكبير الذين افتوه وساندوه بهذا الرأي[٣]، فارسل كتبه الى كافة مدن وامصار الاندلس التي تحت سلطانه بوجوب انشاء الاسوار حول المدن او ترميم الأسوار القديم وتصليحها، ومن اولى المدن التي طبقت هذا التوجيه الاداري

---

[١] عبد الله بن بلقين، التبيان، ص١٥٠-١٥١ . الرعادات: الات رمي النار. ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص٣٣٩ .

[٢] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٤؛ عبد الله بن بلقين، التبيان، ص١٦٩ .

[٣] اعراب، سعيد، مع القاضي ابي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٨٦.

غرناطة اذ عمل واليها ابن ينالة اللمتوني[١] على فرض ضريبة التعتيب[٢] على اهل المدينة واشتد عليهم في جمعها، وخصصت تلك الاموال حصرا في هذه الوسيلة الدفاعية فقد اصلحت اسوار المدينة في فترة وجيزة[٣]، واخذ اهل قرطبة على عاتقهم مسؤولية تسويرها والعمل بتوجيهات الامير علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) فتمكنوا من اصلاح اسوارها حتى اعادوها الى سابق عهدها من الحصانة والمتانة وعملوا ذلك دون تعتيب او ضغط على اهلها[٤].

وفي هذه الحقبة اخذ اهل مدينة اشبيلية على عاتقهم مسؤولية احكام الوسيلة الدفاعية وتمكنوا من اصلاح اسوار مدينتهم بيسر ودون ارهاق اهلها[٥]، في حين تولى احد وجهاء مدينة المرية مسؤولية اصلاح اسوار المدينة واستخدم سياسة الحزم تارة والرفق تارة اخرى مع اهل المدينة الا ان اهلها كانت لهم وقفات في جمع ما فرض عليهم على ما قرره الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠- ٥٣٧هـ /١١٠٦-١١٤٣م)[٦].

---

(١) هو ابو عمر بن ينالة اللمتوني احد قواد المرابطين في الاندلس، الذي تسنم عدة مناصب عسكرية وسياسية والتي عزل من اخرها وهي ولاية غرناطة بسبب ظلمه لأهلها عام ٥٢٢هـ. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٥ .

(٢) وهي من الضرائب المحدثة التي فرضها المرابطون على اهل المدن الاندلسية وكان الغاية منها هو اصلاح المدن وزيادة وسائلها الدفاعية. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤، ص٥٢٠ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤-٦٥ .

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٥ .

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤.

وفي العصر الموحدي كانت لوسيلة التحصين دور في مواجهة التحديات الخارجية للمدن الاندلسية فعندما تعاظم خطر ابن مردنيش على اشبيلية وقرر عبد المؤمن الموحدي (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) العبور الى الاندلس وجه بتأمين مدينة جبل طارق عن طريق تحصينها لتكون مستقرا ومنطلقا لحملاته العسكرية الدفاعية عن المدن الاندلسية[١].

يبدو من خلال دراستنا للوسيلة الدفاعية الادارية ان من اكثر المدن التي نالت نصيبا كبيرا من الاهتمام في هذه الوسيلة هي مدينة غرناطة وفضلا عما سبق نلمس ان الخليفة الموحدي ابا يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) وقائده يوسف بن سليمان[٢] نظرا في شؤون غرناطة وقاما بإصلاح قصبتها وتحصين اسوارها وزيادتها وكانت هذه الوسائل الدفاعية الادارية موجهة نحو ابن مردنيش واتباعه الذين حاصروا المدينة وساموا اهلها القتل والتشريد[٣].

وبعد ان اختار الخليفة عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) لواليه في الاندلس ابا يعقوب يوسف مدينة قرطبة ان تكون مقرا لحكمه وتوجه نحوها وباشر بإجراءات تحصينها استعدادا للتهديدات الكبيرة التي احاطت بها فقام بتنظيم امور المدينة وتعمير مرافقها العامة لاسيما قصورها ودورها المهدمة فضلا عن تحصين اسوارها وحصونها ونتيجة لذلك استطاعت المدينة العودة الى موقعها الدفاعي الطبيعي اسوة ببقية المدن الاسلامية الاندلسية[٤]، وفضلا عن ذلك قرر

---

(١) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٤٠.

(٢) وهو يوسف بن سليمان من اهل تينمل من القادة البارزين الذين اعتمدوا عليهم الخليفة ابو يعقوب الموحدي. المراكشي، المعجب، ص٢٣٨ .

(٣) عبيدات، الموحدون في الأندلس، ص٧٨ .

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٤٠ .

الخليفة ان ينظم شؤون المدن الشرقية من الاندلس، فامر بإصلاح وتحصين مدينة مرسية باعتبارها من اهم المدن الشرقية[١].

وفي العصر الموحدي كان لأبي يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م) دور في هذه الوسيلة الادارية فعند انطلاقه من مدينة اشبيلية بحملة انجاد امر عامله عليها يلول بن جلداسن[٢] ان يقوم بإنشاء سور كبير وحصين على قصبة اشبيلية يمر من مبدأ بنيانه امام رحبة ابن خلدون داخل المدينة، وامره ببناء صومعة[٣] للجامع في موقع اتصال السور بالجامع المذكور، وكان ذلك احكاما لوسائلها الدفاعية حتى يطمئن الخليفة الموحدي على مركز انطلاق جيوشه ومركزها الاداري والعسكري[٤]، وفضلا عن ذلك امره ببناء دار صناعة للسفن تتصل بسور القصبة الذي على الوادي بباب القطائع الى الرحبة السفلى وتعد هذه الاجراءات من ضمن المغزى الدفاعي الذي نال نصيبا من الاهتمام[٥].

وفي زمن الانحلال والضعف الموحدي الذي كان يسوده الصراع الداخلي لاسيما الصراع بين ابن الاحمر وابن هود حول مدينة قرطبة بلغت التحصينات الدفاعية اوجها في تلك المدينة حيث كانت تنقسم الى خمس مناطق واحياء بين كل واحدة واخرى سور فاصل فاصبحت المدينة عصية على الاعداء فاجتياحها يحتاج

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص٤٢٤- ٤٢٥ .

[٢] هو ابو داود يلول بن جلداسن التازي وزير الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٠٨؛ السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص٤٦٤ .

[٣] الصومعة هي المئذنة وموضع الاذان او المنارة. رضا، احمد، معجم متن اللغة، دار الحياة (بيروت، ١٩٥٨م)، ج١، ص١٥٧ .

[٤] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٦٥-١٦٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٩٦. وهو غير ابن خلدون المؤرخ.

[٥] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٦٦ .

قوة كبيرة وجيش ذو دعم متواصل من اجل السيطرة على جميع المناطق التي تكون اسوارها بمثابة الحصن الذي تحتمي وراءه الحامية المرابطة والتي ستستنزف اي قوة مهاجمة[١].

وكان لهذه الوسيلة الدفاعية الادارية مكانا في سياسة بني الاحمر ملوك مملكة غرناطة لاسيما في عهد زعيمهم السلطان ابو الوليد اسماعيل (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٣- ١٣٢٤م) الذي توجه بهذه الوسيلة الى الجزيرة الخضراء التي احتلت اهمية كبرى في سياسة بني الاحمر لأنها عدت حلقة الوصل والتواصل مع العمق الاسلامي في الشمال الافريقي المتمثل ببني مرين لذلك وجه طاقات دولته وامكاناتها لتحصين هذه المدينة وزيادة وسائلها الدفاعية[٢]

وكان لمدينة غرناطة نصيب الاسد من الوسائل الدفاعية الادارية لاسيما التحصينات الدفاعية منها فقد شهد عهد السلطان ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد اسماعيل (٧٣٢- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٢- ١٣٥٤م) اكثر هذه التحصينات حيث امر ببناء سور كبير للأغراض الدفاعية حول ربض البيازين[٣]، وانشأ عددا كبيرا من الابراج الدفاعية واصلح الكثير من الحصون المحيطة بالمدينة وكانت هذه التحصينات الدفاعية خوفا من ردة فعل العدو القشتالي ازاء الحملات التي شنها السلطان ابو الحجاج عام ٧٣٢هـ /١٣٣١م و ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م الذي سيطر فيها على عدد من المدن والحصون منها مدن باغة، ووصل في تقدمه العسكري حتى مدينتي لورقة

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦ .

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩١؛ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص٤١.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩١؛ السامرائي، تاريخ الوزارة، ص٤٤٤ . ربض البيازين: هو احد احياء مدينة غرناطة الشمالية. طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص٢٥ .

ومرسية[1]، و شهد جبل طارق حملة التحصين نفسها عقب استرداده من مملكة قشتالة حيث جددت اسواره وحصونه وبذلك بلغ قمة الاهتمام بوسائله الدفاعية[2]، وبهذه الطاقة للوسائل التحصينية عمل السلطان يوسف بن اسماعيل اذ كان محبا للاعمال الانشائية حيث اقام الابنية وتحصين القواعد والثغور التابعة لمملكته[3].

ثانيا: تعمير المدن المخربة وتمصيرها

اهتم المسلمون منذ بدايات تكوين الكيان السياسي الخاص بهم بتمصير المدن وتطويرها حتى اصبح ذلك الامر احد ابرز خصائص تواجدهم في الاراضي المفتوحة التي من اهمها المدن التي مصروها وسكنوها فكانت بمثابة قواعد انطلاق للفتوح او نقاط استراحة للجيش الاسلامي، اذ كان المغزى الدفاعي لتمصير المدن باعتبارها نقاطا عسكرية متقدمة تسهم في الدفاع عن التواجد الاسلامي في الاندلس، ولم يقتصر هذا التوجه الى المدن التي أنشأها المسلمون بل شمل المدن التي دمرها العدو فبادر المسلمون بجهود مضنية الى تعميرها واعادة الحياة الى ربوعها.

ويتضح هذا التوجه ما حصل في مدينة يابرة في الثغر الادنى التي غزاها ودمرها اردونيو الثاني في ١٣ محرم عام ٣٠١هـ/٩١٣م مستغلا ضعف وسائلها الدفاعية وبقيت عاما كاملا

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩١.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٩١؛ السلمي، ابراهيم عطية الله، العدوة الاندلسية منذ عصر ملوك الطوائف الى سقوطها في ايدي الاسبان (٤٢٢- ٨٦٧هـ/ ١٠٣٠-١٤٦٢م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ص٢١٤.

[3] خطاب، قادة فتح الأندلس، ج٢، ص١٩٥ .

مـــدمرة خرابـــا[1]، حتـــى بعـــث والـــي مدينـــة بطليـــوس عبـــد الله بـــن محمـــد الجليقـــي[2] صـــديقه مســـعود بالســـرنباقي[3] الـــذي قـــام بـــأهم الخطـــوات الاداريـــة مـــن اجـــل اعـــادة بنـــاء المدينـــة المـــدمرة حيـــث نزلهـــا باهلـــه ومـــن معـــه مـــن شـــتات المدينـــة الـــذين لجـــؤا الـــى المـــدن الاســـلامية المحيطـــة بهـــم كمدينـــة باجـــة واكشـــونبة[4] وبعـــد ذلـــك بنـــى اســـوارها وتحصـــيناتها وامـــدهم بالأطعمـــة والـــدواب فاســـتقرت المدينـــة بعـــد مـــا رامهـــا مـــن الخـــراب فقصـــــدها المســـــلمون فاســـــتوطنوها مـــــن جديـــــد وعمـــــرت بســـــكانها مـــــن جديد[5].

وكـان لمدينـة سـالم نصـيب مـن هـذه الوسـيلة الاداريـة فقـد حضـي موقعهـا الجغرافـي اهتمامـا بالغـا مـن لـدن الخليفـة الناصـر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) لوقوعها في اقصى مدن الاندلس الشمالية فضلا عن قربها من حدود مملكة ليون الاسبانية ولكونها خربت جراء غزوات العدو المتكررة المستهدفة لها لذلك وجه عبد

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص٩٣-٩٥؛ الصوفي، التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمارة ، ص١٠٢

[2] هو عبد الله بن محمد بن مروان بن يونس الجليقي صاحب مدينة بطليوس ايام الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذي حكم المدينة بعد ابيه الثائر عام ٢٥٤هـ. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٣٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٧ .

[3] هو مسعود بن سعدون بن فتح السرنباقي احد زعماء الغرب الاندلسي كان ابوه احد المساندين لثورة محمد بن مروان الجليقي عام ٢٤٥هـ. السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٢٧ .

[4] وهي كورة من كور الاندلس قاعدتها مدينة شلب. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٠٦.

[5] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص٩٦، ١٠٤ .

الرحمن الناصر عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م طاقات الدولة لتقوم بتجديد المدينة وتحصينها وشحنها بالرجال من اجل ارجاعها لنشاطها الدفاعي الطبيعي[١] .

وفي عهد الحاجب المنصور (٣٧١- ٣٩٢هـ/ ٩٨١- ١٠٠٢م) شهدت المدن الاسلامية الاندلسية المخربة نتيجة الحملات النصرانية جهودا كبيرة من اجل اعادت تعميرها لانها مدن الثغور المهمة ومن ابرز تلك المدن هي مدينتي مليقة وباز الواقعتين في الشمال باعتبارهما حصن الدفاع الاول بوجه التقدم البرتغالي فضلا عن الجهود المضنية التي بذلها المنصور في حركاته العسكرية الدفاعية باتجاه البرتغال ومدنه القريبة والبعيدة[٢]

وفيما يخص عهد ملوك الطوائف المشحون بالتنافس العسكري الكبير بين تلك الدويلات اذ قلما شهدت تمصيرا او تعميرا لمدن مخربة الا القليل، ففي دولة بني مناد في عهد باديس بن حبوس بن ماكسن (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) الذي استطاع في احدى نشاطاته العسكرية ان يمتد بنفوذه الى مدينة مالقة التي كانت من املاك بني حمود فسيطر عليها باديس عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م[٣]، وما ان انتهت عملياته العسكرية في تلك المدينة حتى شرع في اعادة تعميرها حيث عني بتحصينها وشيد قصبتها على افضل وجه دفاعي ممكن حماية لها من التنافس

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٤؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٢١٦؛ الحارث، الرهائن السياسيون في الأندلس، ص ٥٧-٥٨.

[٢] دولة الاسلام، ص٨٥-٨٦

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٤١؛ النباهي، المرقبة العليا ص٩١-٩٣؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص١٢٦؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٥١ .

العسكري لملوك الطوائف لاسيما بني عباد الذين توجهوا بكل طاقاتهم لضم المدن القريبة من ممتلكاتهم[١].

وفي عهد المرابطين كان للوسائل الدفاعية الادارية مكانا كبيرا في سياستهم الدفاعية عن المدن الاسلامية الاندلسية لاسيما التي واجهت اخطار الحملات الصليبية بشكل مباشر منها طلبيرة التي امر بتعميرها الامير علي بن يوسف (٥٠٠- ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[٢]، كذلك مدينة ميورقة التي كانت قاب قوسين او ادنى من السقوط عام ٥٠٩هـ / ١١١٥م اذ انه استطاع فك الحصار عنها وامر بتعميرها وتحصينها فأعاد اهلها الفارين منها[٣].

وكان للموحدين دور واضح في هذه الوسيلة الدفاعية لا سيما في عهد الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الذي قام في عاصمته الجديدة اشبيلية بحملة تعميرية شملت اغلب مرافق المدينة مما جعلها اكثر تحصينا، وقد وضع المختصين في هذا المجال لإدارة هذا المشروع واول ما قاموا به هو انشاء قنطرة عظيمة على نهر الوادي الكبير تصل ما بين اشبيلية وطريق طريانة[٤] ضاحيتها الغربية لتيسير سبل المواصلات من جهة الغرب الامر الذي عزز من الوسائل الدفاعية المتجهة من العاصمة الجديدة الى مدينة بطليوس مركز الصراع الاسلامي البرتغالي، وحشد لهذا المشروع الكثير من العرفاء والصناع

---

[١] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٣، ص٤٩ .

[٢] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٣٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٥؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٤٥ .

[٣] ابن كردبوس، ابو مروان عبد الملك بن محمد التوزري (ت: ٥٨٠هـ)، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تح: صالح عبد الله الغامدي، الجامعة الاسلامية السعودية (الرياض، ١٤٢٩هـ)، ج٣، ص١٣١٣ .

[٤] هي من كور مدينة اشبيلية وحواضرها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤ .

وتم انشاء هذه القنطرة عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[١]، ومن مرافق المدينة التي شملتها حملة التعمير القصور اذ انشأ قصورا جديدة سماها بالبحرة، واقام حولها من جميع الجهات اسوار محكمة الغاية منها التحصين وقد استخدم في هذا التحصين الجيار[٢] والرمل والحصى[٣]، وترسيخا لمبدأ التحصين الذي وضعت من اجله امر الخليفة ابو يعقوب (القاضي ابا القاسم الحوفي)[٤] وابا بكر محمد ابن يحيى الجد[٥] ان يقوما بإنشاء بستان عظيم حول هذه القصور وجلبت اليها الاف الغراس والاشجار زيادة في الوسائل الدفاعية حول هذه المراكز الادارية في المدينة[٦].

وفي عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م نقل ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) مشروعه لتعمير المدن المخربة الى مدينة باجة بعد ان طلب اهلها منه ذلك ليعودوا اليها وتم له ذلك حيث سكنوها مع الموحدين واصلحوا ما تيسر لهم اصلاحه وارسل اليهم الخليفة عمر بن تيمصلت[٧] ومعه نحو خمسمائة

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٧٠

(٢) الجيار هو الجص المخلوط بالنورة ، وقيل ان الجيار هو النورة وحدها. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٣٢٤.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٧٦ .

(٤) هو احمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز القلعي من اهل اشبيلية يكنى ابا القاسم ويعرف بالحوفي ولي قضاء اشبيلية مرتين وكان حسن السيرة في احكامه امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر بصيرا بالوثائق وعني بالفرائض والف فيها كتابا وتوفي في شعبان عام ٥٨٨هـ . ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٢٨.

(٥) هو محمد بن يحيى بن محمد بن متوكل التميمي من أهل إشبيلية واصله من قرطبة ويعرف بابن الحذاء وهو من بيت ابو عمر القاضي يكنى ابا بكر وتوفي سنة ٦٠١هـ. ابن الابار، التكملة، ج٢، ص٨٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٢، ص٤٨٠.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٧٤.

(٧) هو ابو علي عمر بن تيمصلت احد رجالات الدولة الموحدية في الاندلس وواليها على مدينة بطليوس. عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٦.

رجل من البنائين حيث اتموا بناء اسوارها وتحصيناتها الدفاعية فضلا عن اصلاح مرافق المدينة العامة لاسيما الرباع[1] والحدائق حتى عادت المدينة الى سابق عمرانها ومكانتها الدفاعية[2].

ثالثا: الوسائل الدفاعية عند بناء المدن الاندلسية واستحداثاتها

تتضح الوسائل الدفاعية الادارية جليا عشية بناء المدن الجديدة والاضافات الانشائية التي اضيفت اليها فعلى الرغم من ان الهدف الاول هو بناء حاضرات وانشاءات تسطر قصصها وتسمياتها في تاريخ من يقوم بتأسيسها الا اننا لا نستطيع تجاهل المغزى الدفاعي في تأسيس الكثير من تلك الصروح البنائية فضلا عن الوسائل الدفاعية التي وضعت لحمايتها، وعلى الرغم من اهمية تلك الوسيلة الادارية الا اننا نجد قلة استعمال هذه الوسيلة في حقبة الدراسة بل انها انحصرت بأسماء عدد قليل من الزعامات السياسية الاسلامية الاندلسية وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على ارتباط هذه الوسيلة بقوة وحنكة القيادات التي مرت على التاريخ السياسي الاندلسي، وسنتطرق لتلك المدن والصروح التي بنيت في حقبة الدراسة وهي:

١- مدينة الزهراء : تعد مدينة الزهراء احد اهم الصروح العمرانية التي قام بأنشائها الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م[3] ، وقد روعيت كافة الوسائل الدفاعية في بناء هذه المدينة لتكون مركزا

---

[1] الربع هو الدار، والجميع هي الرباع ؛ ويقال: انما سمي المنزل ربعا لانهم يربعون فيه، أي: يطمئنون. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، تح: =عبد الله الجبوري، مطبعة العاني (بغداد، ١٣٩٧م)، ج٢، ص٤٧٤؛ كراع النمل، علي بن الحسن الهُنائي (ت: ٣٠٩هـ)، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص٢١١.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٠٥-٢٠٧ .

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦١ .

للخلافة و للادارة والحكم، فاختير الموقع بالقرب من مدينة قرطبة و تبلغ المسافة بينهما خمسة اميال[١]، وكان الهدف من بنائها لتكون امتدادا طبيعيا لتلك المدينة العريقة وما يترتب على ذلك من سرعة المدد والانجاد في الحالات الضرورية، و بنيت فوق جبل يسمى جبل العروس[٢] وبناء هذه المدينة كان على شكل طبقات ، بلغ عددها ثلاث واحاط كل واحدة منها بسور احكاما وتحصينا لها[٣] ، فالطبقة العليا فوق سفح الجبل وبها قصر الخليفة، حيث لا يخفى المغزى الدفاعي من وضع هذا الجزء المهم من المدينة على سفح الجبل، اما الطبقة الوسطى فحوت على قصور الامراء ورجال حرس الخليفة، وفي الطبقة السفلى وجد المسجد الجامع والجنائن وبيوت الجند والحرس وعامة الناس[٤]، ويفصلها عن الطبقة الثالثة بساتين عظيمة لتكون درعا طبيعيا للطبقتين العاليتين[٥]. ويلاحظ من خلال هذا التقسيم ان الطبقتين الوسطى والسفلى وجدتا لحماية الطبقة العليا التي هي مقرا له ولحاشيته وخاصته المقربين.

٢- مدينة الزاهرة او المدينة العامرية : وهي من اهم المدن الاسلامية الاندلسية التي اختطها وبناها الحاجب المنصور (٣٧١- ٣٩٢هـ/ ٩٨١- ١٠٠٢م) التي انتقل اليها

---

[١] الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٥

[٢] هو جبل يطل على مدينة قرطبة. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٥٣.

[٣] الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٨٠؛ شبارو، عصام محمد، الاندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (٩١-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩٠م)، دار النهضة العربية (بيروت، ٢٠٠٢م)، ص١٧٥.

[٤] الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٨٠.

[٥] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٩٥.

وسكنها عام ٣٧٠هـ / ٩٨٠م[١] ، فوضع نصب عينيه استحكاماتها الدفاعية في بنائها، و راعى في بنائها قربها من مدينة قرطبة فضلا عن وقوعها على نهر الوادي الكبير الذي مثل احد اهم وسائلها الدفاعية الطبيعية وقام المنصور بعدة اجراءات دفاعية لزيادة استحكاماتها حيث((بالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها، وأوثق أبوابها وأتقن مضايقها))[٢]، الامر الذي جعلها من افضل الوسائل الدفاعية في ذلك الوقت.

٣- اختط مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) مدينة في جزيرة سردانية بعد فتحه لها عام ٤٠٦هـ[٣] وعلى الرغم من الصدى الواسع الذي احدثه الانتصار الكبير لمجاهد في سردانية الا انه اتخذ عدة وسائل لهذه المدينة لتستطيع مقاومة عمليات الضد من التواجد الاسلامي فيها، وكان اول هذه الوسائل هو بنائه المدينة في جزيرة تحيطها المياه من كل جانب وتعد بذلك ذات وسائل طبيعية يسهل الدفاع عنها من اي خطر، وقد قام بنقل اهله وخاصته الى هذه المدينة ليشجع المسلمين من سكنها والكثرة في تلك الجزيرة الذي سيكونون المسؤولون على حمايتها من اي خطر من الممكن ان تشكله الممالك الاسبانية او ايطاليا على مدينته الناشئة[٤].

---

[١] الصوفي، ابراهيم فتحي ابراهيم، العدل عند حكام الأندلس ف عهدي الإمارة والخلافة (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية بغزة، كلية الاداب، ٢٠١٤م، ص١٦٨ .

[٢] الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٣ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب، اعلام الاعلام، ج٢، ص٢٠٤؛ الحارث، الرهائن السياسيون في الأندلس، ص٤٠٦ .

[٤] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٠٤ ؛ سيسالم، جزر الاندلس المنسية ، ص١٨.

٤- قصر الجعفرية: هو من اهم الصروح التي بنيت في مملكة سرقسطة الاسلامية، الذي بناه احمد بن سليمان بن هود المقتدر (٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) واطلق عليه دار السرور وبناه المقتدر على ضفة نهر ايبرو مما سيعطيه النهر روعة في الانشاء الا اننا لا نستطيع ان نغفل عن المغزى الدفاعي لذلك الموقع فهو بذلك اكثر امنا وتحصينا من احد جوانب القصر[١].

٥- مدينة جبل طارق: وتقع في اقصى جنوب الاندلس، وتعد من المدن الاسلامية التي كان انشاؤها ذو مغزى دفاعي كبير فقد اوعز عبد المؤمن الموحدي(٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) بتحكيم منطقة جبل طارق بعد ان لمس اصرار الممالك الاسبانية بالسيطرة عليه فوجه بانشاء مدينة كبيرة هناك عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٢]، لتكون هذه المنطقة المهمة ذات قوة ذاتية تستطيع الدفاع عن نفسها فضلا عن ان اتباعه في هذه المدينة ستكون عليهم مهمة تدعيم وسائلها الدفاعية وما يترتب على ذلك من وسائل واستحكامات

٦- حصن الفرج: امر بنائه المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وجعل موقعه خارج مدينة اشبيلية على نهر الوادي الكبير كوسيلة دفاع كفيلة لان تحمي هذا الحصن من الجهة المطلة عليها[٣] ، وكانت الغاية

---

(١) العامري، محمد بشير، الأنوار الحضارية من القطوف الأندلسية اليانعة، دار منهل (عمان، ٢٠١٦م)، ص١٢٢ ؛ النعسان، قصور وحدائق الأندلس ، ص٣٤٢-٣٤٣ ؛ جاه، شريف عبد الرحمن، لغز الماء في الاندلس، مجلة الفيصل، العدد: ٢٧٦ (السعودية، ١٩٩٩م)، ص١٢٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٧٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص٣٧٢ ؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٢٧٢؛ الخالدي، عبد السلام العمراني، الرسالة المحمدية الشاملة خلال أربعة عشر قرنا كاملة، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص١٠٢.

(٣) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٢١٢؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٩؛ سالم، تاريخ بطليوس ، ج٢، ص٩ .

من بنائه ان يكون منزلا للمجاهدين الذين هم بدورهم عصب الوسائل الدفاعية الموحدية في الاندلس، وبذلك نلحظ المغزى الدفاعي الذي انشأ من اجله هذ الحصن اذ انه عد بمثابة قاعدة انطلاق امينة للمجاهدين يسهل عليهم الدفاع عنها فضلا عن انه سيصبح وسيلة دفاعية مهمة لمدينة اشبيلية كونه قاعدة للجيش ومنطلقا له فيما اذا داهم المدن الاسلامية الاندلسية اي طارئ يحتم التحرك العسكري السريع وتتضح هذه الغاية في المعارك الدفاعية التي خاضها المنصور للدفاع عن مدينة اشبيلية[١].

رابعا: التوجيه بتدمير مدن العدو وحصونه

يعد هدم المدن والحصون المعادية احد اهم الوسائل الدفاعية الادارية تنهي مقاومة العدو . فانتبهت اليها الزعامة السياسية الاندلسية قرارا اداريا لاضعاف مقاومة الحصون والقلاع والثغور الواقعة في المناطق الحدودية بين الطرفين التي تمثل مواقع لانطلاق الجيوش النصرانية نحو المدن الاسلامية لذلك اصبح من الضروري تخريب وهدم تلك الحصون ليتم ابعاد اية محاولة للعدو المتربص بالمدن الاسلامية الاندلسية.

وطبقت هذه الوسيلة منذ اوائل القرن الرابع الهجري عندما واجه الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) شن حملة عسكرية استطاع من خلالها ابعاد الاخطار عن مدنه فقرر اتخاذ امرا اداريا عام ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م متضمنا هدم حصون العدو وتخريبها لإخراجها من المحاولات الهجومية التي كانت تعتمد عليها الممالك الاسبانية النصرانية في حملاتها على المدن الاسلامية[٢]

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٩٩ .

(٢) عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي للنشر (القاهرة، بلا.ت)، ص١٢٤ .

واستعملت هذه الوسيلة الدفاعية من قبل مملكة غرناطة، في عهد زعيمها السلطان محمد الغني بالله (٧٥٥ - ٧٩٣ هـ/ ١٣٥٤- ١٣٩٠م) فبعد افتتاحه لمدينتي باغة وابدة دمر صروحهما وتحصيناتهما الدفاعية بما في ذلك اسوارهما وتركهما خرابا بلقعا[١].

خامسا: التقسيم السكاني في الثغور الاندلسية ومدنها

لم تقتصر الوسائل الدفاعية الادارية على الشؤون ذات العلاقة بالوسائل العسكرية او الوسائل السياسية بل ايضا كانت هناك جهودا مضنية في توثيق الواقع الدفاعي للمدن الاسلامية الاندلسية التي من اهمها السكان المسلمون للمدن المستهدفة لاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان سكان تلك المدن هم عماد اي وسيلة دفاعية من الممكن قيامها بوسائل عسكرية او سياسية او شعبية فأخذت الوسائل الدفاعية الادارية الخاصة بالسكان وجوه عدة من اهمها اسكان مدن الثغور سكانا مسلمين منفردين كانوا او بقبائلهم، اذ ان القبائل العربية كانت عماد الجهاد والدفاع عن تلك المدن، ولم تقتصر تلك الوسيلة على الثغور فقط بل امتدت الى المدن الداخلية التي اريد تحصينها او اعادة الحياة لها بعد ان واجهت هجمات نصرانية متكررة .

وتتضح هذه الوسيلة الادارية في بداية القرن الرابع الهجري وتحديدا في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) حيث اعيدت الحياة لمدينة يابرة التي خربتها الممالك النصرانية بهجماتها المتكررة وهجرها اهلها الا انها عادت الى الجسد الاسلامي بعد خطوات عدة من قبل السكان انفسهم ، حيث سكنها مسعود بن سعدون السرنباقي مع اهله

---

[١] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٤٦ .

وبعد ان استقرت الامور عاد الى المدينة سكانها الذين نزحوا منها في وقت سابق[1].

وقد كان لمدن الثغور دور في هذه الوسيلة الادارية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) الذي تنبه لأهميتها الامر الذي اسكن تلك المناطق الكثير من القبائل العربية لاسيما مناطق الثغر الاعلى باعتبارهم عماد حركة الجهاد والدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية وثغورها فإعطائهم الاولوية في تلك المناطق اسهم بدون ادنى شك باحكام الوسائل الدفاعية في تلك المناطق التي كانت تشهد بين وقت واخر هجمات الممالك النصرانية[2].

وعلى الرغم من ان العهدين المرابطي والموحدي قد تنوعت فيهما الوسائل الدفاعية الا اننا لم نقف على اقدامهم على وسيلة اسكان المناطق التي يحتاج فيها زيادة الوسائل الدفاعية التي عمودها الفقري هم السكان الذين انتبه اليهم فيما بعد محمد الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/ ١٢٧٢- ١٣٠١م) زعيم مملكة غرناطة حيث اسكن بعض الاسر في المناطق المفتوحة التي تحيط ببعض حدود مملكة غرناطة ، ومن الواضح ان هذا الاجراء كان وسيلة احترازية من خلال استغلال الاراضي المفتوحة في التقدم نحو المدن الاسلامية الاندلسية وتمثل هذا في غزوة الفونسو الكبرى عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م الذي وصل الى غرناطة عن طريق المناطق المفتوحة[3]، فكان اسكان مثل تلك المناطق احد الوسائل الدفاعية المهمة لاحكام النظم

---

[1] ابن حيان، المقتبس، نشر: تح: شالميتا، ص٤٤ ؛ السامرائي، الثغر الادنى، ص١٦٦- ١٦٧.

[2] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا ، ص٤٤؛ عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٤٢١.

[3] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٥٦؛ البهيجي، تاريخ الأندلس، ص٤٣٣.

الدفاعيـة لمملكتـه الناشـئة، ولـم تكـن هـذه الوسـيلة مقتصـرة علـى المنـاطق المفتوحـة فقـط بـل شـملت بعـض الحصـون المفتوحـة التـي جعلهـا بمثابـة خـط الـدفاع الاول ضـد هجمـات الممالـك الاسـبانية علـى مدينـة غرناطـة ومـن اهـم تلـك الحصـون هـو حصـن القبـذاق الـذي اسـكن بـه المسـلمين بعـد فتحـه عـام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م[1].

سادسا: منح الاقطاعات العسكرية

اعتمـد المسـلمون فـي الانـدلس فـي كثيـر مـن الاحيـان علـى وسـائل اداريـة اسـهمت مسـاهمة مباشـرة فـي دفـع الاخطـار المتمثلـة بهجمـات الممالـك النصـرانية علـى المـدن الاسـلامية الاندلسـية ومـن اهـم تلـك الوسـائل هـي الاقطاعـات العسـكرية التـي دلـت علـى حسـن التـدبير الاداري والقيـادة الحكيمـة التـي تواجـه الاخطـار فـي تطـوير الوسـائل الاداريـة، حيـث قـام المسـلمون فـي الـدفاع عـن مـدنهم بتقسـيم مـدن الثغـور بـين القبائـل والبطـون السـاكنة فيهـا وجعل لهم الحق بإدارة تلك المناطق فضلا عن القيام بالدفاع عنها عسكريا .

وقـد كـان للخليفـة عبـد الـرحمن الناصـر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) دور فـي هـذه الوسـيلة فبعـد ان وقـف علـى الضـعف الاداري الـذي اصـاب منـاطق الثغـور نتيجـة الغـزوات النصـرانية المتكـررة علـى تلـك المنـاطق اراد معالجـة هـذا الواقـع فقـرر توزيـع تلـك المنـاطق بـين البطـون والقبائـل التـي تقطـن فيهـا كإقطاعـات عسـكرية بيـنهم فضـلا عـن ان تـوليتهم تتضـمن حـق

---

[1] لسـان الـدين بـن الخطيـب، الاحاطـة، ج١، ص٣٢٩؛ خطـاب، قـادة فـتح الانـدلس، ج٢، ص١٥١ .

الادارة في تلك المناطق ومن وتلك القبائل ال تجيب[١] وال ذي النون[٢] وال زروال[٣] و ال غزران وال الطويل وال رزين[٤] ومما يدل على صواب هذه الوسيلة الادارية ما سجلته من حسن ادارة فضلا عن التطوير الاداري لاسيما ما يخص الجانب الدفاعي والعسكري[٥].

وقد تنبه الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) الى هذه الوسيلة الإدارية المهمة، فعندما هاجم غرسيه اراضي المسلمين عام ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م واراد بذلك السيطرة على حصن دسة[٦] الذي يتوسط اراضي بني عمريل بن تيملت الثغري ، الذين ابلوا بلاءا حسنا في التصدي لتلك الحملة النصرانية وعندما وقف القائد الاعلى للحكم وهو غالب بن عبد الرحمن على قوتهم وشهد حزمهم وحسن طاعتهم، اوصى بتقليدهم مهام دفاعية وادارية في تلك المناطق منهم ابن

---

[١] وهم بطن من بطون قبيلة كندة دخلوا الى الاندلس اثناء الفتوحات الاسلامية وتفرع منها عدة فروع منها بنو صمادح وبنو الافطس. ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبنانين، ط٢ (بيروت، ١٤٠٠هـ)، ص١٨٥.

[٢] وهي اسرة من بطون قبائل هوارة البربرية سموا بهذا الاسم نسبة الى جدهم ذنون والذي عاش في حقبة الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط . السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٦٩-٣٧٠

[٣] وهم من بطون قبائل صنهاجة البربرية. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٥ .

[٤] وهي اسرة امازيغية ترجع في اصولها الى قبيلة هوارة البربرية ودخلت الى الاندلس مع حركة الفتوحات الاسلامية وحكموا شنتمرية عام ٤٠١هـ. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٨.

[٥] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٣٧؛ بوباية، البربر في الأندلس، ص١٤٥؛ محمد، هبه محمد عبد الموجود، الثغور الاندلسية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)، ص١٥٢.

[٦] وهو من الحصون الثغرية يقع شمال شرق مدينة سالم. عنان، دولة الاسلام، ج١، ص٤٩٩.

عمريل ومن بعده ابناءه الخمسة فقسمت بينهم الاراضي والحصون فكافأهم الخليفة المستنصر بالله(٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) بالخلع والصلات[١]

سابعا: تحصين الثغور والقلاع الحدودية

تعد مناطق الثغور وبكافة تفاصيلها اول وسيلة دفاعية لأي كيان سياسي فان قوة تلك المناطق وتحصينها يمثل قوة وتحصين تلك الدولة وفي حالة ضعف تلك المناطق تحصينا يعد سببا كافيا لتجرؤ العدو الخارجي بل والولوج الى قلب الدول ومصدر قوتها ومن هذا المنطلق اصبح الاهتمام بمناطق الثغور واستحكاماتها الدفاعية احد اهم الوسائل الدفاعية التي من الممكن ان تكون السبب المباشر في ابعاد الخطر عن المدن الاسلامية.

واتضحت اهمية هذه الوسيلة في بداية القرن الرابع الهجري لاسيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) الذي اتخذ كافة الوسائل الدفاعية من اجل رد عادية مملكة ليون وقشتالة النصرانيتين التي ترمي من حملتها العدائية الهادفة الى السيطرة على المدن الاسلامية في لذلك كان من بين اهم الوسائل الدفاعية الادارية التي اتخذها الخليفة الاهتمام بالحصون والقلاع الموجودة في مناطق الثغور التي من بينها حصن بقيرة الذي يعد احد الحصون المشرفة على حدود المسلمين مع مملكة نافار وزودها بكل ما تحتاج لتنفيذ مهمتها الدفاعية[٢].

وكان لهذه الوسيلة الادارية دور كبير في عهد ملوك الطوائف بسبب كثرة الثغور المواجهة للأخطار الخارجية ولتغيير التكتلات السياسية في الاندلس فكانت

---

[١] ابن حيان، المقتبس، تح: الهواري، ص٥٢؛ بوباية، البربر في الأندلس ، ص٢٧٠ .

[٢] سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ج٢، ص٩ ؛ الصوفي، التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمارة ، ص١٠٧-١٠٨ .

الثغور تحمي اطراف البلاد المحاذية للممالك الاسبانية العدو اللدود والدائم للمسلمين وقد فطن ملوك الطوائف لهذه المخاطر فأصبحت كل مملكة من ممالك المسلمين لديها ثغور مع جيرانها المسلمين وغير المسلمين شعور متزايد بتحصين حدودها. وتمثل هذا الاهتمام عند بني عباد اصحاب اشبيلية لاسيما في عهد زعيمهم المعتضد بن عباد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) فقد كانت له وسائل دفاعية ادارية لاسيما فيما يخص الثغور والقلاع الحدودية فبنى حصنا لأغراض دفاعية على مقربة من مدينة اركش ولكي يأخذ هذا الحصن واجبه في زيادة التحصينات الدفاعية قام المعتضد (٤٣٣ -٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) بشحنه بالمقاتلة[١].

وللمعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١ م) اسهامات دفاعية اخرى فقد قام بجهود بارزة في تحصين مناطق الثغور لمملكته ففي عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م بنى حصونا على مقربة من مدينة غرناطة لحماية مملكته من كيد اعدائها[٢].

وكان لهذه الوسيلة الادارية دور في سياسة مملكة سرقسطة الاسلامية في فترة الصراع بين الاخوين يوسف المؤتمن واخيه المنذر بعد وفاة ابيهما المقتدر احمد بن هود عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م[٣] ، فعلى الرغم من ان الصراع بين المسلمين الا ان كلا الطرفين استعان بالممالك النصرانية الامر الذي شكل خطرا مباشرا على المدن الاسلامية الاندلسية لذلك قام المؤتمن (٤٧٤- ٤٧٨هـ/ ١٠٨١- ١٠٨٥م) بتحصين

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٢ ؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٤١٠ .

[٢] عبد الله بن بلقين، التبيان، ص٩١؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٤١٤ ؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٥٣

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٤٧ ؛ رستم، محمد زين العابدين، الحافظ الرحالة أبو علي الصدفي الأندلسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي وعلومه، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)، ص١١-١٢ .

القلاع والثغور الحدودية بين الطرفين بخاصة حصن المنار [١] وشحنها بالمقاتلة لكي تتمكن من اخذ موقعها الدفاعي وفعلا تم ما خطط له حيث خسر المنذر على حدودها المعركة وزال الخطر عن مدينة سرقسطة[٢].

وعلى الرغم من تركيز الامراء والقادة المرابطين كان منصباً على الجانب العسكري و على التحصينات الدفاعية الا انها كانت في اغلب الحالات تحصينا للمدن الداخلية (بما اطلق عليه مصطلح تسوير المدن) [٣]، الا ان عهد الامير تاشفين بن علي (٥٣٧ – ٥٣٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) شهد بعض التوجيهات الادارية لتحصين القلاع والثغور الحدودية لاسيما بعد الانتصار الذي سجله على قشتالة عام ٥٢٦هـ/١١٣١م فسار الى قلعة رباح التي تعد خط دفاعي متقدم للمدن الاسلامية الاندلسية فضلا عن انه وقف ضد محاولات قشتالة من اجل السيطرة عليها لتكون قاعدة انطلاق متقدمة للجيوش النصرانية فامر بإصلاح امورها وتحصين اسوارها فضلا عن انه ترك الاسرى الذين اسرهم في المعركة عند اهلها كوسيلة دفاعية باعتبارهم ورقة ضغط على قشتالة عارضاً امكانية افتداء اسراهم[٤].

وفيما يخص تحصين القلاع الحدودية في العهد الموحدي كان لابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) دور في هذه الوسيلة الدفاعية فقد امر في اصلاح وتحصين حصن القلعة[٥] ، اذ

---

(١) من الحصون المهمة على الحدود الشمالية الغربية للأندلس يقع بالقرب من مدينة شانت ياقب ومطلا على بحر الظلمات. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٥.

(٢) عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ص٧٠- ٧١ .

(٣) أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٨٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٧٤.

(٥) حصن القلعة او قلعة جابر يقع في جنوب شرق اشبيلية على النهر المتفرع من الوادي الكبير. عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٩١ .

اصاب هذا الحصن التخريب في فترات سبقت هذا العهد وبخاصة فترة الفتنة التي ضربت العديد من المدن الاسلامية في الاندلس، وبقي مخربا لفترات طويلة حتى امر الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) باصلاحه وبنائه ليعود الى سابق عهده في مهمته الدفاعية في مواجهة اطماع الممالك الاسبانية النصرانية وتم ذلك في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م[١].

وكان الخليفة الموحدي المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) توجيهات امنية ادارية لتحصين القلاع الحدودية لإعادتها الى واجبها الدفاعي فبعد ان سيطر على قصر ابي دانس امر في النظر في شؤون الحصن واحواله الادارية وامر بإصلاحه وشحنه بالمقاتلة من الموحدين ورتب لهم احوالهم من تموين ورواتب شهرية اسهمت في استقرار احوال الحصن الامر الذي جعله قاعدة انطلاق ودعم متقدمة لصالح الجيش الاسلامي[٢].

وقد استمر المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) في مساعيه الهادفة للاهتمام بتحصين الثغور والقواعد في المدن الاسلامية الاندلسية وكان ذلك الاهتمام واضحا بعد كل حملة انجاد يقودها بنفسه فبعد حملة رمضان عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م عاد الى اشبيلية واصدر توجيها اداريا بترتيب الحاميات العسكرية المكلفة بالدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية الخاضعة لسلطان الموحدين وامر القائمين عليها بزيادة تحصينها الدفاعية لاسيما اسوارها واصلاح المخربة منها

---

[١] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢١١؛ عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص١٩٩ .

[٢] عنان، دولة الاسلام، ص١٨٧.

استعدادا لأي تقدم من قبل جيوش الممالك الاسبانية التي من الممكن ان تقوم بحملة عسكرية[1].

ثامنا: الخطط و الاجراءات الادارية الدفاعية

أدت الخطط الادارية الدفاعية دورا مميزا في التصدي لكثير من الاخطار الخارجية المستهدفة للمدن الاسلامية الاندلسية وتتمثل الخطط الادارية في كثير من الاجراءات التي تقوم بها الزعامة السياسية المتسيدة للمدن كادخار الاطعمة او وغيرها من الاجراءات الاخرى التي يبغي منها تحكيم حصانة تلك المدن بوجه التحديات الخارجية.

وقد اشارت المصادر الخاصة بالتاريخ الاسلامي الاندلسي في حقبة الدراسة لأول اجراء من تلك الخطط وكان هذا من نصيب الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) ضمن وسائله واجراءاته الدفاعية بعد الهجمات الكبيرة التي تعرض لها جسد الدولة الاسلامية من قبل مملكة ليون وقشتالة ونافار في مستهل القرن الرابع الهجري وبعد ان تمكن من رد عاديتهم، سار الى حصن مسرة[2] وعمل على تعزيز وسائله الدفاعية فوجه القائمين عليه بضرورة ادخار الاطعمة وفرق عليهم الاموال تقوية لهم على الخطر المحدق بهم ، وبلا ريب فان هذه الاجراءات كانت تهدف تعزيز الخطط الدفاعية للمدن الاسلامية خوفا من ردة فعل الممالك الاسبانية بعد الانتصارات الساحقة التي سجلها جيش عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) على تلك الجيوش[3] .

---

[1] البيان المغرب، ص٢٠٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ٢٤٥ .

[2] وهو أول حصون المسلمين على حدود نبرّة. عنان، دولة الاسلام، ج١، ص٤٠٠ .

[3] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص٢٠ .

وكـان لهشـام المؤيـد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) دور فـي هـذه الوسـيلة الدفاعية لاسيما في حقبة خلافته الثانية وبالتحديد عند الصراع بين طرفي المسلمين في الاندلس العرب والبربر. فعندما هددت هذه الفتنة مدينة قرطبة بالحصار الذي قام بـه البربـر للمدينـة استعد المؤيد للدفاع عن مدينتـه بوسـائل اداريـة اتخذها ونجح في ذلك ومما اقدم عليـه من هذه الخطط الاداريـة انـه قام بإخراج سائر نفائس القصـر وتحفه وعرضـها للبيع ليقتني بثمنها ما يستطيع بـه ان يتقوى على اعدائـه من الخيل والسلاح الذي يعد من ابرز اعمدة الدفاع العسكري عن مدينته[١]

وفي عهد ملوك الطوائف كان لهم دور في مثل هذه الوسائل الادارية الدفاعية فعنـدما سـيطر بنـو حمـود علـى مدينـة قرطبـة، وفـي خضـم صـراعهم العسـكري مـع المرتضى الذي سار بقواته نحو المدينـة، عمل زعيمهم علي بن حمود الناصـر لدين الله (٤٠٧-٤٠٨هـ/ ١٠١٦-١٠١٧م) على تامين الجبهة الداخلية لمدينـة قرطبـة من خـلال اجـراءات اداريـة منهـا قيامـه بالضـغط علـى اهـالي المدينـة خشـية مـن غـدرهم واطلق يد البربر واعتقل كثيرا من اعيانهم وصـادر اموالهم، الامر الذي اسهم بعودة الهدوء والسكينة بعد ان التزم اهل المدينة الى الرضوخ الى طاعته[٢].

وكانـت وسـائل بنـي جهـور الـذين تزعمـوا مدينـة قرطبـة الدفاعيـة داخـل المدينـة معاكسة تماما لما كان عليه بنو حمود، فعندما تسلم حكم المدينة ابو الحزم جهور بن محمـد (٤٢٢- ٤٣٥هـ/ ١٠٣٠- ١٠٤٣م) كـان مضـطرا لان يصـانع اطـراف النـزاع

---

[١] لسان الدبن بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١١١؛ الكركجـي، الأزمـات الاقتصـاديـة فـي الأندلس، ص٩٦؛ بوباية، البربر في الأندلس، ص٣٣٧-٣٣٨.

[٢] المقري، نفـح الطيب، ج١، ص٤٨٢؛ الدواداري، كنـز الـدرر وجـامع الغـرر، ج٤، ص٤٩٩؛ مقديش، نزهة الأنظار، ج١، ص٤٢٤-٤٢٥؛ أبو الأنوار، عادل محمود، التاريخ كما يجب أن يكون، دار المنهل للنشر (ابو ظبي، ٢٠١٥م)، ج١، ص١٠٠؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٢٧.

داخل المدينة لاسيما العرب والبربر ليقينه بان قوة الوسائل الدفاعية تكمن في تأمين واستقرار الجبهة الداخلية للمدينة لذلك استمال زعماء البربر عبر مودتهم ومصانعتهم وجعل اهل الاسواق جندا وفرق السلاح فيهم حتى اذا دهم خطر على المدينة ليلا او نهارا استطاع اهل المدينة دفعه واحباط كافة المؤامرات التي تهدف للنيل من المدينة واهلها[١]

وكان لمجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) وسائل في مجال التنظيم الاداري ذات التأثير الدفاعي على مجريات الاحداث في مملكته الناشئة فقد عمل على تنظيم شؤون مملكته بعد تجاوز الاخطار الشديدة الداخلية منها والخارجية وعمل على النهوض بواقعه الاداري وافتدى زوجته وبناته من الاسر بعد ان اسروا بوقت سابق، والاهم من ذلك كله انه استطاع ان يفتدي ابنه علي من الاسر واطلاق سراحه ليتسلم زمام المبادرة في ادارة الدولة[٢]

وكان لعبد الله بن بلقين (٤٦٥ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م) باع طويلة بمثل هذه الوسائل الدفاعية فقد كانت له خططا ادارية في داخل مدينته غرناطة التي من الممكن ان تكون سببا في دفع الخطر المرابطي الذي اصبح يتوجس منه عبد الله خيفة بانه سيستهدف كيانه السياسي فبعد قيامه بوسائل الدفاع الرئيسة اوعز بالحاق الرماة والرجال، وملأ منازل المدينة بالسلاح، وامر بالجد بضرب السهام وقام بنقل المال والذخيرة الى

---

[١] الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص٢٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٢٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٩، ص٥٤٧؛ عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، ط٢ (بيروت، ١٩٦٧م)، ص١٨.

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٥؛ سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص١٨؛ الدرويش، جاسم ياسين، أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٧هـ)، ص٩٤.

امــاكن اكثــر امنــا مــن اجــل التقــوي بهــا فــي الظــروف الصــعبة وتحســبا للحصار[1].

وكــان للأميــر يوســف بــن تاشــفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) بعـض الوسـائل الدفاعيـة التـي مثلـت خططـا اداريـة هـدفت الـى بسـط سـيطرته علـى الـبلاد التـي سـيطرت عليهـا قواتـه علـى اسـاس انهـا وسـيلة دفاعيـة تهـف الــى سـحب البســاط مـن تحـت اعدائــه، فقـام بسياسـة الاحســان للرعيـة حيـث الغـى الضـرائب والمكـوس البعيـدة عـن الشـريعة الاسـلامية التـي كانـت عمـاد القـوة الماليـة لملـوك الطوائـف وابقـى فقـط مـا طـابق الكتـاب والسـنة وبـذلك هـدأت نفوس الكثير من المعادين له في الاندلس[2].

وكـان للموحدين خطـط اداريـة فـي الـدفاع عن مدنهم الاندلسية ويتضـح ذلك عندما هاجم ابن مردنيش اشبيلية عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م فتوجس اهلها شرا من العدو الداهم على مدينتهم فأبدى واليها السيد ابو يعقوب يوسف منتهى الحزم واليقظة في الـدفاع عن المدينـة واعطـى لأشياخ المدينـة واعيانها دورا اساسيا فـي مهمـة الـدفاع عنها مما جعلهم يستميتون فـي الدفاع عن موطنهم وتـاريخهم ويسهرون طوال الليل علـى اسوار المدينـة وتحصيناتها الدفاعيـة، فضـلا عن ذلك كـان للسيد ابي يعقوب اجراءات صـارمة ضد كل من اشتبه بـه حيث قتل عددا منهم واعتقل عددا اكبـر منهم، وكـان لهـذه الوسـيلة نتـائج كبيـرة حيـث انسـحب ابـن مـردنيش يجـر اذيـال الهزيمة[3].

---

[1] عبد الله بن بلقين، التبيان، ص١٥٠-١٥١ .

[2] ابـن خلـدون، العبـر، ج١، ص٣٤٦؛ المقـري، نفـح الطيـب، ج١، ص٤٣٩؛ السـلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٥٥.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٦٨-٧٠ .

وكان للأمير ابو يعقوب بعض الاجراءات والخطط الدفاعية لزيادة تامين مدينة غرناطة عن طريق عدد من الاجراءات الادارية حيث حول قصبتها مركزاً دفاعياً قوياً عن طريق شحنها بالعسكر ثم اوعز الى المغرب من اجل دعم المدينة فانطلقت من موانئها سفنا كبيرة مشحونة بالأقوات والسلاح دعما لمدينة غرناطة واضاف الى ذلك انه ندب لإدارة المدينة عسكريا فضلا عن الموحدين عددا من الزعماء الاندلسيين من اهل غرناطة الموثوق بولائهم لصالح الموحديين والاعلم باحوالها واصبحت غرناطة بعد هذه الاجراءات مركز الدفاع الرئيس في الجنوب الاندلسي[١].

ومن الاجراءات والخطط الادارية التي اتخذها الموحدون في عهد ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) كوسيلة دفاعية لحماية المدن الاسلامية الاندلسية من هجمات الممالك الاسبانية بعد الانتصار الكبير الذي سجله الجيش الموحدي في معركة فحص الجلاب عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م على ابن مردنيش والمتحالفين معه من الممالك النصرانية وخوفا من ردة الفعل الاسبانية للانتقام من الموحدين وما تشكله هذه الحركة من اخطار جسيمة على المدن الاسلامية هناك قام الاميران ابو حفص وابو سعيد بوضع حاميات موحدية في الاراضي المفتوحة التي تحيط بالمدن الاسلامية لتكون درعا يمنع الجيوش القشتالية من التوغل الى عمق التواجد الاسلامي في الاندلس، وعملا على تنظيم حكمهما فضلا عن ضبط الامور لصالح الموحدين[٢].

وكان لمدينة بطليوس نصيب من هذه الوسيلة الادارية فقد كان لابي يعقوب يوسف الموحدي (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) توجيها اداريا لوالي المدينة

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٣٧ .

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٠٥ .

ابي يحيى بن الشيخ ابي حفص ان يقوم بتحصين المدينة وتأمينها، وقام بحفر بئر كبير داخل قصبة بطليوس عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م منفذا بذلك امر الخليفة الموحدي بتحصين المدينة وبذلك ستكون اقوى بتوفير الماء داخلها تحوطا واستعدادا لأي طارئ من هجوم او حصار[١] ، وكان هذا الاجراء خير وسيلة ادارية اسهم في تامين القصبة وتحصينها عبر عنها ابن عذاري بقوله: ((وفي هذه السنة مدة اقامة ابي حفص بقرطبة توجه ابنه يحيى واليا على بطليوس واشتغل الخليفة بحفر بير داحل القصبة يسير اليها ماء الوادي استعدادا لما يخاف من المنازلات فسار اليها في هذه السنة جملة موفورة من الموحدين والاجناد الاندلسيين واستوطنوها وانس اهلها وسكنها وجد في حفر البئر المذكورة وجلب اليها الماء فتحصنت القصبة وقرت بها النفوس امنة))[٢].

وبعد عبور الخليفة الموحدي المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) قام بحملات انجاد للمدن الاسلامية الاندلسية واستقر في مدينة اشبيلية بعد ان استطاع انجاد مدينة شلب قام بإجراءات ادارية اسهمت في زيادة الوسائل الدفاعية عن مدينة اشبيلية التي استقر بها فترة ليست بقليلة اهتم بها بتنظيم الامور واختيار القادة الاكفاء لرئاسة الثغور ودعمهم بالجنود والتموين العسكري بصورة دائمة وتعين بعض اقاربه من الذين وجد فيهم الولاء والطاعة للموحدين لولايات المدن الشاغرة تأمينا لهذه المدن وزيادة في وسائلها الدفاعية واستقرارا لأوضاعها[٣].

---

[١] الكركجي، الازمات الاقتصادية في الاندلس، ص٢١٤؛ سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية، ص٤٢.

[٢]ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨٤ .

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٤.

وكانت للخطط الادارية دور بارز في وسائل الدفاع لمملكة غرناطة لاسيما في عهد زعيمها السلطان ابو الحسن الغالب بالله (٨٦٩- ٨٨٧هـ/ ١٤٦٤-١٤٨٢م) الذي ابدى اهتماما بالغا في تحصين مملكته وتنظيم شؤونها الادارية وبث فيها روحا جديدة تدفع شعب المملكة للمقاومة والجهاد في سبيل الدفاع عن ما تبقى من الارث الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية[١] ، بعد الهزائم المتلاحقة للمعسكر الاسلامي والتقدم الكبير الذي سجلته مملكة قشتالة وحلفائها على حساب مملكة غرناطة الاسلامية نتيجة الصراع الداخلي الذي نشب بين ورثة العرش الغرناطي من بني نصر ملوك غرناطة الاسلامية وما رافق ذلك من انتكاسات كبيرة على كافة المستويات الامر الذي اثر سلبا على روح المقاتلين والمدافعين عن التواجد الاسلامي في الاندلس[٢].

تاسعا: التولية والتنصيب

تعد التولية والتنصيب احد اهم الوسائل الادارية ذات التأثير المباشر على واقع المدن الاسلامية الاندلسية في كافة جوانبها لاسيما الدفاعية منها لأنها تجعل الاصلح هو القائد السياسي والاداري لتلك المدن فعند الشعور بالخطر يطوف حول مدينة معينة فيبادر بأولى الخطوات الادارية حيث الرجل المناسب بالمكان المناسب فوضع القادة العسكريين المحنكين مثلا احدى اهم الاسباب المباشرة في نجاح خطط الدفاع العسكرية ومن خلال ذلك تتضح سياسة القائمين على حكم الاندلس ووسائله الدفاعية الادارية.

وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) شرف السبق في هذه الوسيلة الادارية وتطويرها حيث لم يقتصر على تنصيب رجل لإدارة

---

(١) L. P. Harvey, Islamic Spain, 1250 to 1500, London, 2014. P.265

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١١٥ .

اطراف دولته التي شهدت حملات نصرانية من كافة الممالك الاسبانية بل عمل على تقليد شؤون الثغر الاعلى لاكابر ساكنيها وبذلك قسمها اداريا على القبائل والعوائل التي تقطنها وجعل بلادهم بينهم حصصا لهم ولأعقابهم من بعدهم ليكونوا اكثر عزيمة في الدفاع عن مدنهم، وبذلك تكون سياسته هذه قد آتت أُكُلُها لانهم فعلا نجحوا في رد عادية النصارى عن مدنهم(١).

وكان للخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) دور في تلك الوسيلة الادارية عندما ولى ابناء عمريل بن تيملت الثغري الخمسة بعد وفاة ابيهم وهم (عبد الرحمن وحكم ومضا وغالب وزروال) مسهما بينهم مناطق الثغور التي كانت تحت قيادة ابيهم فيما مضى فوافقوا على ذلك تحت مرأى ومسمع من رجال الدولة ووزرائها فاجزل لهم الخليفة اجزل بالصلات والخلع واحسنوا ادارة تلك المناطق عسكريا واداريا(٢).

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) ، وبالتحديد في فترة خلافته الثانية، ولمواجهة التحديات الكبيرة التي كانت تواجه وجود الدولة والمتمثلة بالفتنة بين العرب والبربر فضلا عن الهرج والمرج الذي دب في العاصمة قرطبة نتيجة لحصار البربر للمدينة، فلجأ المؤيد الى وسيلة دفاعية ادارية هي التولية والتنصيب حيث قام بتولية ابن وداعة(٣) شرطة المدينة الذي اشتهر بشجاعته وحنكته في المواجهة الذي قال عنه ابن بسام: ((أحد الفرسان الأبطال ونبهاء الدولة كان في ذلك

---

(١) الطاهري، احمد، عامة قرطبة في عصر الخلافة دراسة في التاريخ الاجتماعي الاندلسي، عكاظ للنشر (جدة، ١٩٨٩م)، ص٦١؛ بوباية، البربر في الاندلس، ص١٤٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تح: الهواري، ص٥٢ ؛ بوباية، البربر في الاندلس، ص٢٧٠ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن وداعة بن عبد الودود السلمي، وفضلا عن مكانته السياسية فكانت له مكانة ادبية فقد قال الشعر الجيد. الضبي، بغية الملتمس، ص٤٢٨ .

الأوان))[1]. وفي مثل تلك الاوضاع الامر الذي انعكس على استقرار الامور الداخلية للمدينة فقلت حوادث الشغب التي شلت المدينة وقيادتها السياسية فيما سبق[2].

وبالرغم من كثرة الكيانات السياسية التي تشكلت على ارض الاندلس الاسلامية في عهد ملوك الطوائف الا ان اغلب هذه الكيانات لم يكن لديها الكوادر الادارية الكفيلة بحفظ املاكهم ومدنهم بسبب الضعف والتناحر والتشتت السياسي بين تلك الاطراف الامر الذي فسر قلة استعمال هذه الوسيلة عند بعض الدويلات الاسلامية بالمقارنة مع دويلات اخرى.

ففي مملكة بني الافطس التي سيطرت على بطليوس وتوابعها وتحديدا في عهد المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) الذي افتتح عهده بوسيلة دفاعية ادارية هدف فيها الى استقرار الامور لصالحه فلجأ الى توليه اهل بيته لضمان اخلاصهم اليه وعدم خروجهم عن طاعته حيث ندب ابنه العباس حاكما على مدينة يابرة[3]، واعطى الوزارة الى من اشتهر بحنكته الادارية والسياسية هو ابو محمد عبد المجيد بن عبدون[4] ((عظيم ملكهم ...))[1] الامر الذي اسهم وبدور فاعل في استقرارا

---

[1] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ج٧، ص٥٣ .

[2] بوباية، البربر في الاندلس، ص٣٣٨-٣٣٩ .

[3] ابن بدرون، ابي القاسم عبد الملك بن عبد الله (ت: ٦٠٨هـ)، كمامة الزهر وصدفة الدرر، تح: التجاني سعيد محمود، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٦م)، ص٢٦؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٩٨؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٦٣؛ التميمي، بنو الأفطس في بطليوس، ص٦٣ .

[4] هو ابو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري، ففضلا عن شهرته كونه وزيرا الى انه كان اديبا وكاتبا مترسلا عالما بالخبر ومعاني الحديث. ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد

الامور لصالح بني الافطس في التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت طموحهم السياسي[٢].

وفي مملكة بني ذنون التي قامت في مدينة طليطلة كانت التولية والتنصيب احد اهم الوسائل الدفاعية الادارية لزعمائهم السياسيين لاسيما في التصدي للتحديات الداخلية والخارجية على حد سواء وكان لهم بصمة في استعمال تلك الوسيلة حيث قاموا بتقسيم ادارة الدولة بين عدة اشخاص، وتتضح هذه الوسيلة في عهد ثاني حاكم لهذه الدولة هو يحيى بن اسماعيل المأمون (٤٣٥- ٤٦٧هـ/ ١٠٤٣- ١٠٧٤م) الذي اعتمد لبسط حكمه ونفوذه بالمدينة على ابن الحديدي[٣] فضلا عن تنصيب ثلاثة وزراء ، وكانت هذه الوسيلة وصية من ابيه حيث اوصاه بتنصيبهم ويشركهم في رأيه واسهمت هذه الوسيلة في استقرار الوضع لصالحهم[٤]

وكان ليحيى بن ذي النون الملقب القادر (٤٦٧- ٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م) الاسلوب نفسه في هذه الوسيلة الادارية حيث قسم المسؤوليات بين وزيرين

الرحمن بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م)، ج٢، ص٣٨٨.

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٢٣ .

(٢) بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاندلسي، تر: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد، بلا.ت)، ص١١٨-١١٩ .

(٣) هو ابو بكر بن يحيى بن سعيد بن احمد بن يحيى بن الحديدي الطليطلي، وكان نبيلا فصيحا مقدما في الشورى، وكان ذا مكانة عند المأمون و دخل معه قرطبة فلما توفي المأمون =استثقله حفيده القادر بالله حتى قتل بقصره فِي عام ٤٦٨هـ. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص٢٧٢.

(٤) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٧، ص١٥١؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٧٨ .

الاول هو ابن الفرج[١] الذي كانت مسؤولياته ما يخص الجانب العسكري وبخاصة تدبير امور الاجناد فضلا عن الشؤون السلطانية وما يخص الاعمال الديوانية، اما الثاني فهو الفقيه ابو بكر بن الحديدي الذي كانت مسؤولياته تتركز في الجانب المالي من الدولة مع رعاية شؤون الرعية[٢].

وفيما يخص الدول البربرية التي نشأت في الجنوب الاندلسي ادخلت بعض التغييرات على هذه الوسيلة الادارية، ويتضح ذلك في دولة بني مناد التي نشأت في مدينة غرناطة فلم يكن اختيارهم لرجال الدولة على حسب الكفاءة او العلم كما لمسنا في الدويلات السابقة بل كانت القرابة هي الدافع الاساس في الاختيار فقد قسم (اول زعمائهم السياسيين) حبوس بن ماكسن (٤١٠ – ٤٢٨هـ/ ١٠٩١– ١٠٣١م) الاعمال على اقاربه. وربما كان ذلك بسبب انه ذو عهد جديد بالحكم فضلا عن الصراع الذي حدث بين العرب والبربر في الاندلس مما جعل من الصعوبة بمكان الاعتماد على غير رجال البربر فاعتمد على اقاربه اذ يرى أنهم لهم الحق والافضلية في ادارة البلاد وشؤون العباد[٣].

وفي العهد المرابطي تنبه رجال الدولة وقادتها الى اهمية الرجال الذين سيكون على عاتقهم مهمة ادارة الدولة والدفاع عن المدن الاسلامية في الاندلس فكانت توليته لرجال عرفوا بحنكتهم العسكرية والادارية فضلا عن اخلاصهم لقادة المرابطيين وقادتهم الذين من ابرزهم سير بن ابي بكر اللمتوني[٤] و محمد بن علي

---

[١] هو ابو عامر بن الفرج ذو الوزارتين كان من بيت رئاسة تصرف اباؤه وقومه مع بني ذي النون ملوك طليطلة. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧١ .

[٢] ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٧، ص١٥١ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٦٧– ٢٦٨؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص٢٣٦؛ السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص٣٤١ .

[٤] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٤٢ .

بن الحاج[١] و مزدلي بن بوبلنكان[٢] و يحيى بن غانية[٣]، وان من اولى الوسائل الدفاعية التي نفذها المرابطون بعد حملات الاستغاثة والانجاد الموجهة الى المدن الاسلامية الاندلسية الذي كانت استعادة مدينة طلبيرة وبعد استنقاذها قرر تحصينها دفاعيا ومن اهم الخطوات الادارية الاخرى التي اتخذها بهذا الشأن انه ندب اليها اميرا من قبله امعانا واعترافا بأهمية وسيلة التولية والتنصيب في استقرار الامور ودفع العدو الصائل[٤].

ولم يكن ولده الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦– ١١٤٣م) بعيدا عن سياسة ابيه الادارية فقد تنبه الى هذه الوسيلة الدفاعية الا انه زاد عليها حيث ولى المدن المهمة الى اقاربه لاسيما بعد تدهور الاحوال في بعض المدن بعد الخسائر التي مني بها المرابطون سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م وبعدها ما حدث من مشاكل في مدينة قرطبة التي قتل فيها والي المدينة محمد بن مزدلي[٥] ولاهمية

---

[١] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢٠٠ .

[٢] هو مزدلي بن بوبلنكان او سولنكان او ملنكن ابن عم امير المسلمين يوسف بن تاشفين. ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٥، ص٥٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٣، ص٢٠٧.

[٣] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٧٣ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٥ .

[٥] هو محمد بن مزدلي بن بوبلنكان . ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣ .

هذه المدينة الستراتيجية ندب لولاية المدينة ابن عمه الامير ابا بكر يحيى[1] الامر الذي زاد من قوة المدينة بعد الضعف الذي حل فيها[2].

وكان لمدينة سرقسطة نصيبا من وسائل الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) فبعد مقتل واليها محمد بن الحاج وقائده محمد بن عائشة عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م اثناء مهامهما بالدفاع عن المدينة قرر تولية صهره الامير ابا بكر بن ابراهيم بن تافلوت[3] على عدد من المدن هي مرسية وبلنسية وطرطوشة وسرقسطة وأوكل اليه مهمة الدفاع عن المدن الاسلامية ضد الحملات النصرانية المتكررة[4].

اما وسائل الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) اتجاه الجزائر الشرقية التي حملت طابع التولية والتنصيب وامعانا بما ذهب اليه بتولية اللمتونيين في ادارة امور البلاد والعباد فقد عين وانور بن ابي بكر[5] واليا

---

[1] هو ابو بكر بن يحيى بن تاشفين ابن عم الامير يوسف بن تاشفين الذي كان احد رجالات الدولة المرابطية في الاندلس. القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت: ٦٤٦ هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٢٩٩.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣ .

[3] هو ابو بكر بن ابراهيم بن تافلوت المسوفي وقيل المسوقي، تزوج من ابنة الامير يوسف بن تاشفين. السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٦٥؛ عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص٧٥ .

[4] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦١؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢؛ ص٦٥ .

[5] هو وانور بن ابي بكر اللمتوني من رجالات دولة المرابطين التي كان لها تأثير بالغ على الحياة السياسية في الاندلس. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٢٥ .

على الجزائر الشرقية كوسيلة لبسط سيطرتهم على اطراف البلاد وضبط وسائلها الدفاعية[1].

وبعد الانتكاسات العسكرية التي مني بها المرابطون بعد عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م تنبه الامير علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) الى ضرورة احداث تغييرات ادارية في الاندلس واعطائها اكثر قدرا من الاهتمام والدعم السياسي والعسكري والاداري لذلك عين ولي عهده تاشفين بن علي واليا على الاندلس كوسيلة دفاعية لدفع مدن الاندلس الاسلامية باتجاه استقرار اكثر كي يتفرغ لصد عمليات ابن رذمير العسكرية التي اصبحت تهدد جميع المدن الاسلامية في الاندلس[2].

وبعد انهيار الحكم المرابطي، وفي خضم التدهور الكبير، الذي اصاب المدن الاسلامية في الاندلس وعلى كافة الاصعدة مما ادى الى سقوط عدد من المدن بيد الممالك النصرانية ونشوب تمردات شعبية في اغلب المدن الاسلامية الاندلسية لجأ الخليفة الموحدي الاول عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) الى وسيلة التولية والتنصيب من اجل استقرار الوضع لصالحهم في جميع المدن التي تحت سيطرتهم. وبسبب الوضع المزري لجأ في تنفيذ هذه الوسيلة تعهد الى اولاده الذين ولاهم على المدن المهمة ليضمن ولاء تلك المدن وعدم خروجهم عليه اذ عهد الى ولده ابا عبد الله محمد لحكم بجاية، وارسل ولده ابا الحسين لولاية مدينة فاس،

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٢ ، ج٦، ص٣٢٥؛ سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص٣٠.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب ، ج٤، ص٦٨؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٤٨.

اما ولده الاخر ابو سعيد فقد ارسله لحكم مدينة سبته ومالقة والجزيرة الخضراء، وعهد ليوسف حكم اشبيلية، الامر الذي اسهم وبشكل واضح في استقرار الامور لصالح الموحدون والعودة من جديد للسير في طريق الدفاع عن الارث الاسلامي في الاندلس[1].

وتنبه ابو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الى الفائدة الجلية من هذه الوسيلة الدفاعية الادارية، وترسيخا لها قرر ان يولي الولايات المهمة في المغرب والاندلس الى اكابر رجال دولته فجعل المدن الاسلامية الاندلسية المهمة تحت حكم اخوته، ورجال دولته المخلصين من اصحاب المهدي العشرة، كذلك اكابر رجال دعوتهم لكي تكون هذه المدن اقدر على مواجهة التحديات الخارجية والداخلية[2]

وكان لمدينة بطليوس نصيب من هذه الوسيلة الادارية لاسيما بعد ان واجهت المدينة حملة برتغالية كبيرة كادت ان تكون المدينة فريسة سهلة لها لولا الوسائل التي اتخذها ابو يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) التي من اهمها تعيينه ابا يحي بن الشيخ ابي حفص واليا للمدينة مكان ابو علي عمر بن تيمصلت حيث كان للمكانة العلمية والادارية لابي يحيى دور في تسنمه لهذا المنصب اذ كان من انجب الحفاظ واوفرهم ضراما وعلما، وكان سيره اليها بحملة كبيرة من الموحديين والجند الاندلسيين[3].

---

[1] البيذق، ابي بكر بن محمد الصنهاجي (ت: ٥٦٠هـ)، اخبار مهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور (الرباط، ١٩٧١م)، ص٦٧-٦٩.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨٤؛ سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ج٢، ص٩.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٠٥-٣٠٦ .

واستعان اهل جزيرة شوقر[١] التي هددها ابن مردنيش ومن معه من النصارى، فاستعان اهلها بالخليفة الموحدي ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الذي رأى ضرورة تولية امور هذه الجزيرة ذات الموقع الجغرافي المهم شخصية محنكة لها القدرة على ادارة الازمة التي تمر بها هذه الجزيرة فوقع اختياره على ابن هلال الشرقي[٢] الذي نجح في مهمته نجاحا كبيرا واستطاع تخليص الجزيرة مما يعتريها من اخطار جسيمة حيث تمكن من ضبط امور المدينة وتحكيم وسائلها الدفاعية التي كانت سببا مباشرا في رفع الحصار عن الجزيرة[٣]، واما مدينة بلنسية فقد اقر على ولايتها ابا الحجاج يوسف بن مردنيش وابقى غيره من قادة الحصون والثغور الذين ثبت اخلاصهم وولاءهم للدولة الموحدية استقرارا لمدنهم وتعزيزا للوسائل الدفاعية الادارية الخاصة بتأمينها بوجه التحديات الداخلية والخارجية[٤].

وكان لمدينة باجة قسم من هذه الوسيلة الدفاعية فبعد الخراب الذي اصابها نتيجة حملات الممالك الاسبانية من جهة وحملات ابن مردنيش من جهة اخرى، الامر الذي جعل الخليفة ابا يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) ان يولي عمر بن تيمصلت الذي احسن الامر في المدينة ونظم شؤونها واعادها الى

---

[١] جزيرة شوقر او شقر وهي جزيرة على نهر شقر جنوب مدينة بلنسية بينهما ثمانية عشر ميلا. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٦ .

[٢] هو ابو ايوب محمد بن هلال الشرقي حاكم جزيرة شقر ومدينتها ساهم في رد الكثير من هجمات الممالك الاسبانية النصرانية على بلنسية. ينظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٧٩.

[٣] عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص٨٣؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٨ .

[٤] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج١، ص٢٤١، ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس، ص٥٩؛ عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص٨٦ .

سابق عهدها بعد ان عزز وسائلها الدفاعية وعلى كافة الاصعدة السياسية منها والعسكرية وكذلك الادارية[١]

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول ان الخليفة الموحدي ابا يعقوب (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) كان فعلا هو رائدا لهذه الوسيلة الدفاعية الادارية وكانت توجيهاته بهذا الخصوص سديدة وقراراته صائبة وقد حملت الايجابية لقراراته السياسية في ادارة اجزاء الدولة واطرافها سواء المغربية منها او الاندلسية، وكانت هذه الوسيلة مرافقة لحياته السياسية منذ تسنمه لمنصب الخلافة الموحدية وحتى نهايات عهده.

ويرى الباحث ان هذه النجاحات متاتية من اعتماده على اقربائه المخلصين واولاده في ادارة الدولة لاسيما الولايات المهمة في الاندلس ومن ذلك انه ولى ولده ابا اسحاق ولاية اشبيلية اما ولده ابو زكريا فولاه قرطبة وكذلك ابا زيد فقد ارسله لولاية غرناطة، وعهد لولده الاخر ابا عبد الله ولاية مرسية[٢].

ولم تكن الوسائل الدفاعية الادارية لأبي يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) التي تخص التولية والتنصيب محصورة على منصب الوالي فقد شملت وسائله المناصب الادارية الاخرى منها القضاء فقد ولى ابا المكارم ابن الحسين المصري[٣] لقضاء اشبيلية، وولى ابا الوليد بن رشد قضاء قرطبة[٤]، وابا

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٠٨ .

[٢] ولد سالم، حماه الله، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية (مقتطف من كتاب العبر) مع دراسة قبائل البافور الغامضة ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)، ج١، ص٢٢١.

[٣] هو هبة الله بن الحسين المصري المكنى بابي المكارم وكان من أهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث توفي عام ٥٨٦هـ. ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج٤، ص١٥٠.

[٤] هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن احمد بن رشد. المكنى بابو الوليد، العالم المسلم المشهور صاحب الفلسفة والفقه والعلوم المختلفة المتوفي عام ٥٩٥هـ. ابن الابار، التكملة

عبد الله بن الصقر قضاء غرناطة[1]، وقد اسهمت هذه الوسائل الادارية في استقرار الاوضاع لصالح الموحدين وبالتالي زيادة وسائلهم الدفاعية الادارية لاسيما التنظيمية منها.

وعندما اشتد العدوان البرتغالي على المدن الاسلامية الاندلسية لاسيما مدينة شلب واحوازها ووصلت غاراتهم على احواز اشبيلية الامر الذي جعل الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) ان يستعد لتدارك الوضع المأساوي والرد على العدوان البرتغالي، فاتخذ عدة وسائل ادارية دفاعية منها التولية والتنصيب للتصدي للاندفاع البرتغالي باتجاه المدن الاسلامية، فندب لولاية اشبيلية ابن عمه السيد ابا حفص يعقوب بن ابي حفص عمر الذي كان موضع ثقته كما كان ابوه من قبل موضع حب ابيه وايثاره الذي واجه التحديات الخارجية بعزيمة ثابته وهمة عالية، وندب ابن عمه السيد ابا الحسن ابن ابي حفص واليا لمدينة تلمسان[2] وعهد اليه بشؤون المخازن والمؤن والسهر على اعدادها وتوفيرها لحشود الدعم والانجاد التي ستنطلق لمواجهة الهجمات الاسبانية على المدن الاندلسية وانجادها[3].

و كان لهذه الوسيلة الدفاعية دور في استقرار الاوضاع في داخل الحصون الدفاعية والثغور التي تعد اول الخطوط الدفاعية للمدن الاسلامية في الاندلس ويتضح ذلك في العهد الموحدي في خلافة يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠-

---

لكتاب الصلة، ج٢، ص٧٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص١٠٣٩؛ ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث (القاهرة، بلا.ت)، ج٢، ص٢٥٧ .

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٢٨ .

[2] وهي من مدن المغرب التي اختطها المرابطون وتسمى بازفرت ايضا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٤ .

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٤١ .

٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) الذي بعد ان استعاد السيطرة على حصن ابي دانس ارسل الى ولايته ابا بكر محمد بن وزير[١] وهو ابن ابي محمد سيدراي بن وزير، الذي كان واليا على الحصن عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، الذي نصبه واليا على مدينة شلب فيما بعد، بعد ان اعاد المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) السيطرة عليها[٢].

وكانت مدينة اشبيلية ذات اهمية كبيرة واهتمام خاص من قبل المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) مما جعله يهتم بتولية الاصلح على عليها لصيانة وسائلها الدفاعية وتنظيم شؤونها الادارية، لذلك اسند ولايتها الى ولده ابا زيد، وعين ابا الربيع بن ابي حفص بن عبد المؤمن واليا على بطليوس، اما مناطق غرب الاندلس فعين عليها ابا عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن[٣].

ان المتصفح لتاريخ الموحدين يلاحظ تلازم هذه الوسيلة مع تاريخهم الاداري في شبه الجزيرة الاندلسية وقد التزم الموحدون بتولية اقاربهم من الدرجة الاولى في ولاية المدن المهمة سواء في فترة قوتهم وسيطرتهم او الفترة التي شهدت ضعف وتردي اوضاعهم السياسية والعسكرية والادارية، ويتضح ذلك فيما لجأ اليه العادل بن المنصور في احكام الله الموحدي(٦٢١-٦٢٤هـ/ ١٢٢٤- ١٢٢٦م) في تولية اخيه ابا العلي مدينتي قرطبة واشبيلية نتيجة اشتداد الخطر البياسي ومن معه من النصارى على المدينتين[٤].

---

[١] ابا بكر محمد سيدراي بن وزير من بيوت الاعيان في مدينة شلب وتبوء مناصب عديدة في الاندلس في عهد الدولة الموحدية. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٨٢ .

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢ .

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٠٠ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٤٢.

وكان لهذه الوسيلة الدفاعية الادارية دور في مملكة غرناطة التي كان على راسها بنو الاحمر فان الضغط العسكري للممالك الاسبانية دفعها للتواصل مع زعيم بني مرين السلطان ابو يوسف (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٨٦م) الذي وجد لزاما عليه ان ينتدب الى الاندلس من يمثله فضلا عن انه كان ينظر في شؤون الثغور الاندلسية ولم يجد افضل من ابنه الامير ابا زيان منديل لتولية هذه المهمة المهمة[١]، و نصب رجلا من خاصته لرياسة جند الاندلس واسماه (مشيخة الغزاة) على ان يكون رئيسها من بني علاء المرينيين ويسمى (شيخ الغزاة)[٢].

عاشرا: قرارات العزل والابعاد

تعد قرارات العزل عن المناصب الادارية المهمة في الظروف التي تواجه الكيانات السياسية الاخطار والتحديات الخارجية احدى اهم الوسائل الدفاعية وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان العناصر المعزولة عن الوظيفة التي انيطت بها قد فشلت في تثبيت النظام السياسي وترسيخه الامر الذي ولد زعزعة اسهمت بشكل مباشر او غير مباشر في انتكاسة الاوضاع في تلك المدينة، ذلك ان العزل هو القرار المنطقي والحكيم، ومما تقدم نستطيع ان نلتمس الوجه الدفاعي لتلك الوسيلة فضلا عن تسليط الضوء على مثل هذه الوسيلة المهمة.

---

(١) ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس، ص٨٤

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤٥٠؛ العامري، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، ص٢٢٠؛ السرجاني، قصة الاندلس، ٦٦٥؛ الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، ص٣٩؛ السامرائي، واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٩٧ ؛ فؤاد، هلال، خطة مشيخة الغزاة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ٢٠٠٩م، ص٥٣-٥٤.

وتتضح هذه الوسيلة الدفاعية في عصر دويلات الطوائف لاسيما دولة بني حمود وبالتحديد في عهد علي بن حمود الملقب بالناصر لدين الله (٤٠٧-٤٠٨هـ/ ١٠١٦-١٠١٧م) الذي شعر بميل سكان مدينة قرطبة الى عدوه اللدود المرتضى الذي بدوره سار بجيشه يبغي السيطرة على المدينة وعندما شعر ان وزيره ابو الحزم بن جهور[١] يقف مع اهالي قرطبة قرر ان يعزله ونفذ ذلك الامر وقام بمصادرة امواله لتجريده من قوته وامكانية التأثير على المجتمع القرطبي[٢]

وعلى الرغم من اننا بدأنا في هذه الوسيلة من بني حمود باعتبارات التسلسل التاريخي لاستعمال هذه الوسيلة الا اننا نستطيع القول ان المعتضد بن عباد (٤٣٣-٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) يعد بحق رائد هذه الوسيلة، وذلك لأنه طبق هذه الوسيلة على اقرب المقربين منه فعندما شعر ان الخطر على مدنه قادم من اسرته وتحديدا من ولده اسماعيل لم يكتف بعزله والقبض عليه بل قتله عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٣] بعد ان عزم على التمرد على ابيه وللقضاء على كافة الاطراف التي دفعت بذلك وعزل وزيره البزلياني[٤] بل قبض عليه وقتله حماية لدولته ومدنه من الاخطار المحدقة بها[١] .

---

(١) هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة، من أعيان أهل الأندلس، كان موصوفا بالفضل والدهاء والعقل. المراكشي، المعجب، ص٥٠.

(٢) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٤٦ .

(٣) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٧٤ ؛ العامري، مباهج الاندلس، ص٢٨١ .

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني، أصله من مالقة، وكان في خدمة حبوس بن ماكسن، ثم انتقل إلى بني عباد، وكان له دورا في ثورة إسماعيل بن المعتضد على أبيه حتى

وفيما يخص التاريخ السياسي لدولة مجاهد العامري (٤٠٠- ٤٣٦هـ/ ١٠٠٩- ١٠٤٤م) زعيم الممالك الشرقية سجل وسائل دفاعية ادارية لاسيما ما يخص قرارات العزل والاستبعاد فقد كان له من اساسات حكمه انه بايع المعيطي[٢] اميرا للمؤمنين الذي استبد بالحكم وكان قد محا اسم مجاهد ورسومه وظلم الرعية ظلما شديدا الامر الذي دفع مجاهدا لان يبادر للقضاء على هذا الخطر الداخلي فبادر بالقبض عليه وعزله عن كل سلطة في مملكته واتخذ كل ما من شأنه ان يزيد من تأنيبه وتعنيفه وبذلك سلمت مدنه الاسلامية من هذا الخطر[٣].

وقد حمل العهد المرابطي وسائل ادارية لاسيما قرارات عزل الولاة ورجال الدولة ذو التأثير المباشر على الواقع السياسي للدولة ومن ذلك ما شهدته مدينة غرناطة من مشاكل ادارية هددت استقرارها وكان السبب في ذلك واليها ينالة اللمتوني الذي ظلم اهلها وأضنك عليهم حالهم ولم يسلم حتى العلماء من تجاوزاته حيث اعتقل العديد منهم من مدينة جيان واودعوا السجن ولما علم الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) بذلك وجه اوامره بعزله واخرج العلماء من السجن، الامر

تم قتله. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٤٤؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج٢، ص٩٤٥.

[١]ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ج٥، ص١٤٧؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٥١ .

[٢] هو أبو عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي الذي يصل نسبه الى بني امية لذلك نصبه نصبه خليفة على المدن التي تحت سيطرته وهي دانية والجزائر الشرقية وأعمالهما وبايعه اميرا للمؤمنين. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٣٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص٣٩٢.

[٣] ابن بشكوال، الصلة، ص٢٦٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٣٥ ؛ عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص١٨٧-١٩٠.

الـذي انعكـس علـى اسـتقرار الاوضـاع فـي مدينـة غرناطـة بنجـاح تلـك الوسـيلة الادارية[١].

وفـي عصـر السـيطرة الموحديـة علـى الانـدلس شـهدت الكثيـر مـن الوسـائل الاداريـة المتنوعـة لاسيما فـي عهـد الخليفـة ابـو يعقـوب يوسـف بـن عبـد المـؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الـذي تنبـه الـى اهميـة مدينـة اشـبيلية الاداريـة ووضـع العديـد مـن الوسـائل مـن اجـل ان تمسـك محـل القيـادة فـي الوسـائل الدفاعيـة عـن المـدن الاسـلامية الاندلسـية، ومـن الوسـائل الدفاعيـة فـي مدينـة اشـبيلية هـو عـزل المسـؤول عـن الادارة الماليـة فـي المدينـة محمـد بـن المعلـم[٢] الـذي كـان احـد الاسـباب المباشـرة لتـوتر الاوضـاع فـي المدينـة، ولـم يكتـف بعزلـه بـل عمـل علـى معاقبتـه ومحاسـبته عـن المسـاوئ التـي احـدثها فـي عهـده فارسـل للتحقيـق معـه و محاسـبته الفقيـه ابـا محمـد المـالقي[٣] الـذي اصـدر بحقــه عقوبــات شــديدة انتهــت بمصــادرة جميــع اموالــه واعدامــه وبــذلك زال الخطر عن مدينة اشبيلية[٤].

الحادي عشر: نقل مقر الحكم ومركز الادارة

تعـد العاصـمة اهـم المـدن التـي مـن المفتـرض ان تكـون الوسـائل الدفاعيـة منصـبة لحمايتهـا فهـي دار الخلافـة مركـز الحكـم ومقـر الـدواوين ومنطلـق اغلـب الوسائل الدفاعية الاخرى، ومن بين اهم الوسائل الدفاعية التي كانت موجهة لحماية

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٥-٦٦؛ الكركجي، الازمات الاقتصادية، ص١٤٧.

[٢] هو ابو عبد الله محمد بن سعيد بن المعلم كان مشرف اشبيلية وصاحب مخزنها في عهد ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١٢.

[٣] هو أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش المالقي كاتب الخلفاء الموحدين في المغرب. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨١ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٢ .

العاصمة هو نقلها، وبما ان عصر ملوك الطوائف شهد تأسيس العديد من الكيانات السياسية الامر الذي اذهب المركزية ادراج الرياح فلم تبق عواصم للتواجد الاسلامي في الاندلس، الا ان العصر المرابطي شهد هذه الوسيلة الدفاعية نتيجة عودة المركزية لاسيما بعد القضاء على ممالك الطوائف، ففي عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦–١١٤٣م) كان مقر الحكم مدينة غرناطة ومركز الادارة العامة لشؤون الاندلس التي كان على راسها ابنه تاشفين واليا على الاندلس[١]، وفي عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م امره بتغيير مقر حكمه وادارته من غرناطة الى قرطبة وان يجعلها عاصمته وان يستخلف على غرناطة احد رجال دولته المخلصين[٢].

ونلاحظ مما تقدم ان المرابطين اختاروا غرناطة مقرا لحكمهم في الاندلس كان بالأساس وسيلة دفاعية حيث كانت اقرب المدن المحصنة الى مركز قوتهم في المغرب، الا ان قرار نقلها الى قرطبة كان فيه الكثير من الاوجه الدفاعية وهذا ما يظهر جليا عند قراءة مرسوم التولية ((... اجعل من قرطبة دار سكناك وقرارة مثواك، وعلى مقدار ما زدناك من العمل فأزدد من التيقظ لاتساع ذرعك، وامتداد مسعاك...))[٣]

---

[١] ابن خاقان، ابي نصر الفتح بن عبيد الله (ت: ٥٢٩هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)، ص٦ ؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٤٨؛ العامري، تاريخ بلد الاندلس، ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٨.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٥.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧٥؛ محمد، منى حسان، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي ٥٢٠–٥٣٩هـ/١١٢٦–١١٤٤م، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٠هـ)، ص١٨.

ولم يخف الغاية الدفاعية من اتخاذ مدينة قرطبة عاصمة للمرابطين في الاندلس فأنها تتوسط الكثير من المدن الاسلامية وبذلك تكون اكثر فاعلية في الدفاع عنها وانها ستكون مقرا للحركات العسكرية الدفاعية في الاندلس ومستقرا للجيوش المغربية في تلك البقاع وتكون قد اخذت مكانها الطبيعي الاداري في الاندلس.

وفي العصر الموحدي فعندما سبق اهل اشبيلية بقية مدن الاندلس الى البيعة لصالح الموحدين اصبحت مدينتهم هي العاصمة ومقر ادار الحكم الموحدي في الاندلس فضلا عن انها اصبحت مستقر الوالي الموحدي، لكنها لم تستمر على ذلك الامر فقد امر الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) ولده ابا يعقوب يوسف بنقل مقر ادارة الحكم الى مدينة قرطبة عام ٥٥٧هـ/١١٦١م لتوسطها الاندلس[١].

ونلمس المغزى الدفاعي من هذا الامر من خلال اختياره قرطبة لتوسطها ففي ذلك قال ابن صاحب الصلاة: ((وان تكون مقرا الامير في الاندلس كفعل بني امية بها في قديم حقبها، اذ هي موسطة الاندلس...))[٢] بين اطراف الاملاك الاسلامية في الاندلس لتكون اقرب في حالة الانجاد ودفع العدو عنها لاسيما بعد الاجراءات الكبيرة التي نفذها كل من ابي يعقوب يوسف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) في دفع اخطار الممالك الاسبانية وابن همشك في مساعيهم بالسيطرة على المدن الاسلامية في الاندلس.

ومن الواضح والجلي ان الخليفة ابا يعقوب يوسف(٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الموحدي كان رائدا لهذه الوسيلة الدفاعية اذ

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٣٧-١٣٨ .

[٢] المن بالإمامة، ص١٣٨ .

كـرر هـذه الوسـيلة ونقـل مقـر الادارة والحكـم فـي الانـدلس كلمـا دعـا الوضـع الـدفاعي الـى ذلـك، الا ان هـذا التقلـب بـين المـدن كـان محصـورا بـين مـدينتي قرطبــة واشــبيلية فــي الاعــم الأغلــب، فبعــد ان اصــبحت قرطبــة عاصــمة للموحـديين عـام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م[١]، اسـتحدثت بعـض الاوضـاع التـي جعلـت مـن الخليفـة ان يعيـد النظـر فـي قـراره السـابق ويقـوم بـإجراءات مـن اجـل تعزيـز مكانـة مدينـة اشـبيلية واعـادة مكانتهـا كعاصـمة للدولـة الموحديـة فـي الانـدلس، لـذلك اشـترى الخليفـة مـن مالـه الخـاص مائـة دار فيهـا لتكـون منـزلا للوافـدين بعـد ان غـدت قاعـدة الحكـم الموحـدي[٢] ، لأسـباب دفاعيـة بحتـه كونهـا قريبـة مـن البحـر ممـا يجعلهـا اقـرب مـن سـابقتها علـى العـدوة لـذلك فإنهـا تعـد اصـلح مـن الناحيــة الاســتراتيجية مــن قرطبــة لاســتقبال الجيــوش الموحديــة الوافــدة الــى الانــدلس، وان تحــول الصــراع الاســلامي مــع الممالــك النصــرانية مــن جهــة الغـرب لقيـام مملكـة البرتغـال واشـتداد سـاعدها جعـل مـن الضـرورة اختيـار مقـراً للحكـم اقــرب علــى المــدن القريبــة مــن مركــز الصــراع البرتغــالي الاســلامي، فضــلا عمــا اصــاب مدينــة قرطبــة مــن ضــروب التخريــب منــذ ايــام الفتنــة، بالمقابـل مدينــة اشــبيلية التــي كانــت ارقــى عمرانــا واكثــر اتســاعا جعــل منهــا افضـل مركـز للحكـم والادارة وحاملـة لـواء الـدفاع عـن المـدن الاسـلامية فـي الاندلس[٣].

ولـم يكـن بنـو الاحمـر ملـوك مملكـة غرناطـة بعيـدين عـن هـذه الوسـيلة الدفاعيــة الاداريــة فقــد تنبــه اول زعمــائهم محمــد الاول بــن الاحمــر (٦٣٥-

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٣٧-١٣٨

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٧٠-٣٧٧ .

(٣) الطاهري، أحمد، البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية (إعادة تركيب المدينة من خلال المصادر العربية)، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٦م)، ص٥١ .

٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) الـى اهميتهـا، فعنـدما انتقلـت الانـدلس بزعامتهـا اليـه وكـان مقـره مدينـة جيـان قـرر نقـل مقـر الحكـم والادارة الـى مدينـة غرناطـة باعتبارهـا اكثـر حصـانة مـن الاولـى فضـلا عـن انهـا اقـرب الـى عـدوة المغـرب القـوة الحقيقيـة للمسـلمين فـي الانـدلس وسـندهم الـدائم فـي صـراعهم مـع الممالـك الاسـبانية فضـلا عـن ان احـد الاسـباب المهمـة لنقـل العاصـمة كثـرة الهجمـات النصرانية على مدينة جيان[١] .

الثاني عشر: اثابة الحاميات والجيوش المدافعة

تعـد الاثابـات احـد اهـم الوسـائل الدفاعيـة الاداريـة المهمـة التـي تـنعكس اثارهـا الايجابيـة علـى الـروح المعنويـة للفـرق العسـكرية الاسـلامية التـي مـن اولـى مهامهـا دفـع العـدو المتـربص علـى الحـدود واسـهمت هـذه الوسيلة الدفاعيـة في كثير من الاحيان في استقرار الاوضاع لصالح المعسكر الاسلامي.

وعلـى الـرغم مـن كثـرة الوسـائل الدفاعيـة وتنوعهـا فـي مختلـف عصـور التواجـد الاسـلامي فـي الانـدلس الا اننـا نلاحـظ التفـوق الموحـدي فـي تلـك الوسـيلة فـأول اشـارة اليهـا كانـت فـي زمـن الاميـر الموحـدي ابـو يعقـوب يوسـف(٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) الـذي قـاد وسـائل الـدفاع بوجـه التقـدم العسـكري لابـن همشـك الـذي هـدد مدينـة غرناطـة وحاصـر قصـبتها فقـام ابـو يعقـوب بالإغـداق علـى جنـوده المحصـورون فـي المدينـة وتشـجيعهم بهـذه

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٣٣-٤٣٤ .

الاثابات ونتيجة لهذه الوسيلة استقرت الاوضاع في المدينة لصالح الموحدين وسادتها السكينة والهدوء[1].

وتكررت هذه الوسيلة في العصر الموحدي في عصر الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) لكن هذه المرة في مدينة كونكة التي شهدت حصارا قشتاليا شديدا حتى كادت المدينة ان تسقط بايديهم لولا نجدتها من قبل الجيش الموحدي[2]، وقام ابو يعقوب بعدة وسائل دفاعية من اجل حماية المدينة التي تعد الهدف المنشود للجيش القشتالي ومن وسائله الدفاعية انه قام بإحصاء وكتابة اسماء اهل المدينة فكان عددهم سبعمائة وقرر اثابتهم ودعمهم مكافأة لصمودهم بوجه الحصار الشديد فضلا عن اعانتهم من اجل ان يتقوا بها على الخطر المحدق بمدينتهم فامر للفارس منهم باثني عشر مثقالا من الذهب وللراجل ثمانية مثاقيل وللمراة اربعة وللطفل اربعة، ووزع عليهم سبعين بقرة، وزودهم بكثير من الرماح والسهام وانواع السلاح، فضلا عن انه اوعز الى جيشه بان يوزعوا على اهل المدينة انواع الاغذية المهمة لاسيما القمح والشعير[3].

الثالث عشر: اعداد القادة ورجال الدولة

تعد هذه الوسيلة من اهم الوسائل الادارية التي تعكس الحنكة والقيادة الحكيمة لروادها من زعماء المدن الاسلامية في الاندلس، ففي فترات

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٨٠؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص١٥٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣١٩.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١١ .

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤١٦ .

الضعف والانحلال التي يتخللها دائما هجمات الممالك الاسبانية على المدن الاسلامية الاندلسية تتنوع الوسائل الدفاعية من اجل الوقوف بوجه تلك التحديات التي تواجه التواجد الاسلامي في تلك البقاع، وبما ان محور تلك الوسائل هم القادة او رجال الدولة لذلك كان الاهتمام بهذه الشريحة من بين اهم الوسائل الدفاعية في ذلك الوقت.

وكان السلطان الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) رائدا لهذه الوسيلة حيث استقدم من اغلب المدن الاسلامية الاندلسية عددا من الصبية الصغار لاسيما مدينتي قرطبة واشبيلية التي كان لها نصيب الاسد من هذه الوسيلة حيث كان عدد الصبية الذين استقدمهم منها خمسون صبيا لوحدها، حضروا الى مراكش واحسن منزلهم فيها وعني الخليفة بهم بنفسه وامر ان يحفظوا القران الكريم والحديث النبوي الشريف وان يتعلموا اساليب القوة والقتال، وعندما اكمل الخليفة تعليمهم وتدريبهم ارسلهم الى القواعد الاندلسية ليستفاد المسلمون من تلك الطاقات في الشؤون الادارية والقيادية في المدن الاندلسية ليكونوا اكثر ثباتا في مواجهة الاخطار المحدقة بهم[١].

الرابع عشر: استنهاض الهمم وتحذير الولاة

يعد الاستنهاض احد اهم الوسائل الدفاعية الادارية التي تعتمد عليها الزعامة السياسية الاسلامية لاسيما في الاوقات التي يشعر بها المسلمون بالخطر الداهم على مدنهم لذلك يلجأ الحاكم الى ان يكتب الكتب التي تشد الازر وتستنهض الهمم من اجل ان تتحفز المدن وسكانها ومن على راسها

---

[١] ابن القطان، نظم الجمان، ص٥٢؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١١٤

من الولاة والقادة ان يقوموا بالواجبات الطبيعية الملقاة على عاتقهم والتي من اهمها الواجبات الدفاعية عن جسد الدولة الاسلامية وما فيه من المدن .

وتتضح هذه الوسيلة في بدايات الحقبة المستهدفة بالدراسة وتحديدا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) الذي واجه حملات نصرانية استهدفت السيطرة على المدن الاسلامية التي من بينها ناجرة[١] وتطلية واستولى سانشو الاول (شانجة بنغرسيه) على عدد من مدن وحصون تلك الجهات[٢] ، ونتيجة لتلك الاخطار قام الخليفة عبد الرحمن الناصر باصدار اوامره وبعث كتبه الى اهل الثغور بالنهوض الى تأييده ومعاونته لرد عادية النصارى وصد عدوانهم والايقاع بهم ونتيجة لذلك خرج من قرطبة جيش كبير نهض معه اهل الثغور والاطراف بأعداد كبيرة نتيجة الدعوة للجهاد واستنهاض للهمم وتحت قيادة حاجبه بدر[٣] وسجلوا انتصارات كبيرة هزموا فيها الممالك الاسبانية هزيمة ساحقة في ١٣ محرم ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م[٤].

---

[١] وهي من مدن شرق الاندلس ومن اعمال تطيلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٠.

[٢] ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص١٤٣ .

[٣] هو أبو الغصن بدر بن أحمد الصقلبي، كان وصيفاً للأمير عبد الله بن محمد، فأعتقه وصرَّفه في الخطط وأصبح في مقام الحاجب، وفي عهد عبد الرحمن الناصر تولى بدر عدة خطط ثم رقاه للحجابة، امتاز بآرائه الصائبة، ومازال بدر في سؤدد حتى توفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب سنة ٣٠٩هـ. ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص١٤٣ ؛ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٥٢ .

[٤] ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر (ت: ٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٤٠٨هـ)، ج١، ص٣٠؛ ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص١٤٥-١٤٦؛ عنان، دولة الاسلام، ج١، ص٣٩٦ .

وكـــان للخليفـــة الحكـــم المستنصـــر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) دور فــي هـذه الوسـيلة ففـي بدايـة عصـره زادت قشـتالة مـن ضـغطها علـى المـدن الاسـلامية الاندلسـية فـاراد دفـع مسـاعيها الاسـتعمارية بحملـة قويـة، فبعـث عـددا مـن اكـابر رجـال دولتـه الـى كـور الانـدلس ومـدنها لحـث اهلهـا واسـتنهاض هممهـم والاسـتعداد لمـا يـروم اليـه فـي غزوتـه الدفاعيـة ومـن الـذين ابتعـثهم لهـذه المهمـة صـاحب الشـرطة العليـا يحيـى بـن عبيـد الله بـن ادريـس[1]، وبعـث قائـده العسـكري البحـري عبـد الـرحمن بـن رمـاحس الـى مـدن شـرق الانـدلس وبعـث غيرهم نحو جهات اخرى في الاندلس الاسلامية لنفس الغرض[2].

ومـن ذلـك ايضـا ان الحكـم المستنصـر بـالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) ولى مدينة سالم غالب بن عبد الرحمن[3] الذي كان يعد من اعظم رجالات الاندلس قيادة وحكما وكان حري بهذه الطاقة ان تستغل لصالح وسائل المدينة الدفاعية ولم يكتف الحكم بذلك فقد اسند اليه الحكم والقيادة العليا وقلده سيفين مذهبين واطلق عليه لقب ((ذا السيفين)) وكان هذا الامر استنهاضا لهمته وتشجيعا له فضلا عن منحه الصلاحيات الكاملة ليتمكن من قيادة هذا الثغر المهم[4].

---

[1] ابن حيان المقتبس، تح: الهواري، ص١٣١-١٣٢ .

[2] ابن حيان، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت، ١٩٦٥م)، ص٢١٦ .

[3] هو غالب بن عبد الرحمن الناصري، مولى الخليفة الناصر وقائده البحري المشهور تدرج في عدة مناصب مهمة ايام المستنصر قتل على يد المنصور بن ابي العامر عام٣٧١هـ. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٦؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٦٢.

[4] ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص٦٩؛ العامري، تاريخ بلد الاندلس، ص١٢٣.

ويرى الباحث ان التقليد بسيفين هو اشارة الى اهمية هذه الشخصية في الدولة فان تقليد السيف هو اشارة الى السلطة الحربية التي تكمن في مسؤوليات هذه الشخصية اما السيف الثاني فهو بدون ادنى شك دالا على كامل الصلاحيات الادارية والحربية.

وفي عهد هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) الذي تغلب على امره ابن ابي العامر الذي اضاف الى ذلك الغالب بن عبد الرحمن لقب ((ذي الوزارتين)) واصدر مرسوما بذلك ولم يختلف ما كان يبغي ابن ابي عامر عنما وصل اليه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) في تشجيع هذا القائد الفذ وزيادة في سلطته العسكرية التي تزيد من الوسائل الدفاعية لهذه المدينة بوجه التحديات الخارجية التي تواجهها[١].

واللافت للنظر اننا لم نجد ما ندونه عن عصر ملوك الطوائف فلم نجد ما ندونه بشأن هذه الوسيلة الدفاعية. وربما ان هذا النقص متأت من ان اغلب هذه الممالك هي بالأساس عبارة عن ولاية من ولايات الدولة الاسلامية في الاندلس لذلك ان صغر مساحاتها الادارية ابعدت عنهم هذه الوسيلة، اما في العصر المرابطي فان الوسائل العسكرية غلبت على طابعها الدفاعي في المدن الاسلامية الاندلسية لذلك فإننا نلتمس ضعف الوسائل الدفاعية الادارية بما في ذلك تشجيع او استنهاض ولاة الامور التابعين لهم والمسؤولين عن حماية المدن الاسلامية في الاندلس.

وفي العصر الموحدي انبرى الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) لهذه الوسيلة فقد سجلت لنا المصادر الاندلسية اشارات لها في عهده، ففي عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م كانت نهاية الهدنة بين الموحدين ومملكة قشتالة

---

[١] السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص١١٧.

الامر الذي جعل المنصور يرسل الى ولاته في الاندلس تحذيرا من تصعيد متوقع من الممالك الاسبانية والاستعداد العسكري وصد الهجمات المتوقعة على المدن الاسلامية في الاندلس وبعث الى جميع الثغور الداخلة في حوزته ينذرها من الخطر القادم[١].

وفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ارسل الخليفة الموحدي العادل (٦٢١-٦٢٤هـ/ ١٢٢٤- ١٢٢٦م) كتبا الى عماله وولاته في الاندلس يحثهم فيها على الاستنهاض ودفعهم نحو مدافعة عدوهم جاء فيه : ((وان تعلموا رضي الله عنكم ان الموحدين اعزهم الله لم يزالوا يتعرفون في اوبتهم هذه من التيسير والتسهيل ... وهاهم بحمد الله قد انتظم شملهم واتصل حبلهم واجتمعت اهواءهم واتفقت على اعزاز كلمة الحق اراءهم ... عازمين على الجهاد ، والله تعالى يمضي عزائمهم، ويجبرهم على جميل معتقداتهم على جهاد اعداء الله الكفار فاعملوا وفقكم الله على ذلك والله يبلغكم امالكم...))[٢]

الخامس عشر: التموين والدعم لجيوش العدوة المغربية

يعد التموين والدعم احد اهم الركائز الاساسية للوسائل الدفاعية وعلى الرغم من ان التموين شأن اداري خالص الا ان نتائجها دائما ما تكون ذات علاقة مباشرة بالوسائل العسكرية، وتتمثل هذه الوسيلة بقيام الزعامة السياسية التي من مسؤولياتها الرئيسة الدفاع عن المدن الاسلامية باتخاذ قراراً ادارياً وهو التموين والدعم بكافة تفاصيله سواء التموين بالمال و الغذاء او الدعم بما يتطلبه الجهد العسكري الموجه من قبل جيوش العدوة المغربية.

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨٧ ؛ العامري، تاريخ بلد الاندلس، ص٢٠٧ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤٣.

وتتضح هذه الوسيلة الادارية في عهد ملوك الطوائف وكان رائدها المعتمد بن عباد (٤٦١- ٤٨٤هـ/ ١٠٦٩-١٠٩١م) الذي كان احد اهم الاسباب المباشرة في عبور النجدة المرابطية من المغرب بقيادة الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) ، وعند وصول الجيوش المرابطية الى الاندلس بعث المعتمد ابنه عبد الله لاستقبالهم فضلا عن انه وجه طاقات كبيرة لتقديم المؤون والاطعمة والضيافات للجيش المرابطي على طول طريق الممتد الى اشبيلية مقصد الجيوش المرابطية[١].

ومن الواضح والجلي ان عبور يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) الى الاندلس كان من نتائج الاستغاثات المتكررة من زعماء الاندلس وقادتها وعلى الرغم من بعض الدعم والتموين لهذا العبور كان من الاندلس كما اوضحنا سابقا، الا ان الامير كان له بعض التوجيهات الادارية بهذا الشأن اذ انه طالب اهل المغرب والاندلس بالمعونات المالية للاسهام بأعمال فريضة الجهاد في سبيل الله، الامر الذي انعكس على النتائج الايجابية لهذه الوسيلة الدفاعية[٢].

السادس عشر: التوجيه بطلب الاسناد والدعم

يعد التوجه بطلب الدعم والاسناد من الزعامة السياسية احد اهم الوسائل الادارية التي اعتمد عليها الولاة في الدفاع عن المدن التابعة لهم، و ان هذه الوسائل على الرغم من ان جزءا منها عسكريا او سياسيا الا اننا لا نستطيع التغاضي عن الجانب الاداري لهذه الوسيلة حيث من البديهي ان

---

[١] العامري، مباهج الاندس، ص٣٩٦؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص١٨٨؛ الوليلى، عبد الرحمن سعيد، الأسطورة، اطلس للنشر (القاهرة، ٢٠١٧م)، ص٢٤٢؛ البستاني، معارك العرب في الأندلس، ص١٦.

[٢] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص١١٦؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص ٣٢- ٣٤.

القرار في الدفاع عن المدينة التي يستهدفها العدو ووسائله يجب ان تكون من مسؤولية القيادة الرئيسة لبلاد الاندلس الاسبانية ومن خلال هذا الاعتبار يلجأ الوالي او حاكم المدينة بتوجيه طلب الدعم الى المناصب الاعلى منه وهو الحاكم الرئيس في العاصمة.

وعلى الرغم من كثرة الوسائل الادارية التي تخللها عصر ملوك الطوائف الى انها افتقدت الى هذه الوسيلة الادارية وذلك بسبب افتقاد المركزية الواجب وجودها لتحقيق مثل هذه الوسائل، لذلك نجدها واضحة في العهد المرابطي، فلما اشتدت وطأت الممالك النصرانية في شرق الاندلس طلب واليها محمد بن يدر بن ورقاء من امير المرابطين علي بن يوسف (٥٠٠ – ٥٣٧ هـ /١١٠٦-١١٤٣م) ان يوجه اليه يحيى بن غانية لمعاونته على دفع العدو الصائل فاستجاب الامير علي عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م[١].

وكان لهذه الوسيلة الادارية وجود في سياسة الموحدون ويتضح ذلك في طلب الاسناد والدعم من قبل السيد ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باعتباره واليا موحدا في اهم مناطق الاندلس التي عانت من خطر ابن مردنيش الى والده الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣- ١١٦٣م) والذي رد عليه برسالة قرأت على المنابر عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٢]

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٩١.

[٢] ابن خلدون، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، ص٢١٨-٢٢٠ .

السابع عشر: الوصايا الدفاعية

تعد الوصايا احد اهم الاوجه الادارية التي ستكون طريقا ومنهجا لسياسة الدولة القادمة التي سيحملها ولي العهد او رجال الدولة فيما بعد، وعلى الرغم من ان الوصايا حملت في اغلب الاحيان الدعوة الى البيعة الا ان قسما ولو كان قليلا حمل في طياته وسائل دفاعية ادارية.

ويتضح ما ذهبنا اليه في وصية الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) الى ابنه الامير علي حيث اوصاه ثلاثة امور لا يخفى على القارئ الغاية الدفاعية منها فالأولى اوعز اليه بان لا يفعل شيئا يثير به اهل جبل درن[1]، اما الثانية ان يهادن بني هود امراء سرقسطة وكانت الغاية منها ان يصبحوا حائلا ودرعا كوسيلة دفاعية بينه وبين الممالك الاسبانية اما الثالثة ان يعطف على من احسن من اهل قرطبة وان يتجاوز عن المسيء منهم وفي ذلك دعوى له لإصلاح جبهته الداخلية وتفويت الفرصة امام العدو بان يستغل اي ثغرة مجتمعية من الممكن ان يستغلها العدو في تحقيق ما يصبو اليه من السيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية[2].

وتعد الوصية التي اطلقها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٨م) التي كانت موجهة الى زعماء دولته واشياخها

---

[1] جبل من جبال البربر بالمغرب معترضا بالصحراء ويسمى جبل سقنقور . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٤.

[2] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية ، ص١٤٦.

منهم الشيخ ابا زكريا[١] وابا محمد عبد الواحد[٢] اللذان يعتبران مستشاران لولده محمد وسيكون لهما دورا بارزا في سياسة الدولة بعد وفاته وفي تقرير الاوضاع فيها وعلى جانبيها الافريقي والاندلسي، فقال في الوصية: ((... اوصيكم بتقوى الله تعالى، وبالايتام واليتيمة، فسأله الشيخ ابو محمد عبد الواحد، ياسيدنا يا امير المؤمنين، ومن الايتام واليتيمة؟ قال اليتيمة جزيرة الاندلس والايتام سكانها المسلمون، واياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد اسوارها وحماية ثغورها وتربية اجنادها وتوقير رعيتها، ولتعلموا انه ليس في نفوسنا اعظم من همها ونحن الان قد استودعنا الله تعالى، وحسن نظركم فيها، فانظروا من المسلمين واجروا الشرائع على مناهجها))[٣]

وقد تنبه ابن خلدون الى دور محمد بن الاحمر في الوصية الدفاعية من خلال ايراده نصا عن ابنه محمد الفقيه الذي قال فيه: ((كان أبوه الشيخ – اي محمد الأول اوصاه باستصراخ – اي طلب النصرة – ملوك زناته من بني مرين الدائلين المغرب من الموحدين وان يوثق عهده بهم ويحكم اراضي سلطانه بمداخلتهم))[٤] ، ويؤكد ما ذهب إليه في موضع اخر من تاريخه المسمى العبر قوله: ((واوصاه ان يتمسك بعروة امير المسلمين ويخطب

---

[١] هو ابو زكريا بن ابي بكر بن ابي حفص بن عمر من اصحاب المهدي بن تومرت. ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٨٢ .

[٢] هو عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص بن عمر الهنتاتي احد اصحاب المهدي بن تومرت. ابو الثناء الصفاقسي، محمود بن سعيد (ت: ١٢٢٨هـ)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار،تح: محمد عثمان،دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)، ج٢، ص٣.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٠٣.

[٤] العبر، ج٤، ص٢٢٠.

نصـره ، ويـدرأ بـه ويقدمـه عـن نفسـه وعـن المسـلمين))[1] : وان هـذا الـنص يؤكـد علـى اعتمـاد بنـي الاحمـر علـى هـذه الوسـيلة، وتنبـه الـى ذلـك السـلاوي فـي اشـارته الـى هـذه الوصـية بقولـه ((فاوصـاه إذا نابـه أمـر مـن العـدو او وصـل إليـه مكـروه ان يستنصـر عليـه بنـي مـرين ويـدار بهـم فـي نحـره يجعلهـم وقايـة بـين العـدو وبـين المسـلمين))[2]، وان مـا جـاء فـي هـذه الوصـية السياسـية قـراءة ممتـازة وعميقـة للأحـداث آنـذاك لأنـه كـان علـى علـم يقـين باسـتمرار الصراع حتى بعد وفاته.

الثامن عشر: الوسائل الادارية الاستراتيجية

لـم تقتصـر الوسـائل الدفاعيـة الاسـلامية عـن المـدن الاندلسـية علـى الواجبـات الاداريـة المنوطـة بالزعامـات الاسـلامية بـل اتخـذوا وسـائل اسـتراتيجية كانـت لهـا نتـائج ايجابيـة واضـحة واثـرت علـى نتـائج الصـراع الاسـلامي النصـراني فـي شـبه الجزيـرة الايبيريـة، وعلـى الـرغم مـن قلـة مثـل هـذه الوسـائل الا ان وجودهـا كـان واضـحا وعكـس الحنكـة الاداريـة التـي كـان يتمتـع بهـا الزعيم الاسلامي الاندلسي في ادارة هذا الصراع.

ويتضـح ذلـك جليـا فـي الصـراع الاسـلامي الاسـباني حـول مدينـة سرقسـطة التـي كـان المسـلمون يهتمـون بهـا اهتمامـا بالغـا بسـبب موقعهـا الاسـتراتيجي المهـم باعتبارهـا قاعـدة الثغـر الاعلـى[3]، فضـلا عـن بعـدها عـن وسـط الانـدلس ووجـود وسـائل دفاعيـة طبيعيـة مثـل وقوعهـا علـى ضـفة نهـر

([1]) ابن خلدون ، ج٧، ص٢٥٣.

([2]) الاستقصا ، ج٣، ص٣٨.

([3]) ابـو الفـداء، عمـاد الـدين اسـماعيل بـن محمـد بـن عمـر (ت: ٧٣٢هـ)، تقـويم البلـدان، دار الطباعة السلطانية (باريس، ١٨٤٠هـ)، ص١٨١.

ايبرو (ابرة)[1]، ووقوعها في فترة من الفترات على الحد الفاصل بين الاراضي الاسلامية و الممالك الاسبانية النصرانية، كل ذلك جعلها تشهد في اغلب عصور الصراع اهتماما كبيرا، لأنها مثلت الدرع الواقي الاول للمدن الاسلامية الاندلسية وبسبب ذلك جعلها تتبع سياسة خاصة في وسائلها الدفاعية، ففي مراحل الضعف الاسلامي التي اتضحت في عصر ملوك الطوائف كانت وسائلها الدفاعية مقتصرة على سياسة السلم والتهادن، والانصياع الى رغبة الممالك الاسبانية؛ اما في العصر المرابطي فمن الوهلة الاولى للدخول المرابطي الى الاندلس عين يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) ابرز قادته للدفاع عن المدينة وهما ابن الحاج ومحمد بن عائشة الذين نجحا في رد عادية الممالك الاسبانية في جميع محاولاتها للسيطرة على المدينة لفترة من الزمن[2]، اما في عام ٥١٢هـ/١١١٩م العام الذي شهد الحملة الصليبية على المدن الاسلامية الاندلسية التي كانت من اهم نتائجها لصالح الممالك الاسبانية هو سقوط مدينة سرقسطة، الذي كانت عواقبه وخيمة على المعسكر الاسلامي لأنه مثل انهيار الخط الدفاعي الاستراتيجي المهم الذي كان درءا بين حوزة الاسلام في الاندلس وبين مصدر القلق الدائم المتمثل بالممالك الاسبانية[3].

---

[1] التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة النباري (ت: ٥٦٩هـ)، رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ٢٠٠٢م)، ص١٧٩ .

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٨.

[3] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص١٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٧؛ الكركجي، الازمات الاقتصادية في الاندلس، ص١٠٨؛ المضواحي، محمد يحيى، الأندلسيون عقب سقوط غرناطة، كتوبيا للنشر (الاسكندرية، ٢٠١٦م)، ص٤٠ .

وان ما يدل على الاهمية الاستراتيجية التي كانت تحتلها مدينة سرقسطة فبعد سقوطها اصبح الطريق ممهدا لتوغل الجيوش الارغونية نحو القلب الاسلامي في الاندلس وسميت هذه الغزوة بغزوة الفونسو الكبرى (غزوة الفونسو المحارب) التي وصلت الى مدينة غرناطة[1].

وكشفت هذه الغزوة ان النظم الادارية الدفاعية عن المدن الاسلامية الاندلسية لم تكن وفق ما يجب من المتانة والاحكام وان خطط القيادة المرابطية منذ نكسة سرقسطة لم تكن كفيلة بردع عدوان الممالك الاسبانية وان ابلغ ما يدل على ذلك هو ان ملك من ملوك النصارى (الفونسو) استطاع ان يخترق الاندلس من الثغر الاعلى حتى شاطئ البحر المتوسط دون ان تستطيع اي قوة اسلامية الوقوف بوجهه[2].

اما العصر الموحدي فقد شهد وسائل دفاعية استراتيجية زينت تاريخهم الاداري في الاندلس، وكانت هذه الوسيلة قائمة على القضاء التام على الفكرة القومية الاندلسية التي كانت توقد بين فترة واخرى وبلغت شدتها في نهاية العصر المرابطي وبداية العصر الموحدي على يد ابن مردنيش الذي على الرغم من قوته وحنكته الا انه لم يمثل الفكرة القومية بشكل جيد فلم يكن الشخصية المثلى لحمل مثل هذا الهدف الكبير، فقد كان تمرده على التواجد الموحدي فقد الكثير من بريقه واصوله وقيمه وكان يجد نفسه مضطرا للقيام بالاستعانة بالممالك الاسبانية على حساب القوى الاسلامية القادمة من المغرب الامر الذي يفقده الكثير من الاتباع، ونجح

---

[1] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٦٠؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٢؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٤٣٣.

[2] السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٦٢ .

الموحدون في تلك الوسيلة واستطاعوا تشكيل وحدة سياسية بعد القضاء على الفكرة القومية التي انتشرت في اجزاء كثيرة من الاندلس[١]

ومن الوسائل الستراتيجية الموحدية السيطرة على المناطق ذات التأثير المباشر على استقرار الموحدون ومدنهم الاسلامية في الاندلس وكانوا على دراية بتأثير ذلك على واقع الصراع الاسلامي مع الممالك الاسبانية ويتضح ذلك في سيطرتهم على جزيرة ميورقة التي شكلت خطرا على التواجد الموحدي بتلك المناطق وكان سبب ذلك الخطر السياسة التي كانت تتبعها ميورقة من مهادنة ارجون ومما يشير الى ذلك رسالة الفتح الى الخليفة الموحدي التي جاء فيها: ((... ولاخذ ميورقة على صاحب ارغون وبرشلونه اشد من رشق النبل، واهول من وقوع السيف، واوحش من القطع بحلول الممات ...))[٢]

ومن الوسائل الاستراتيجية التي كان المسلمون يعتمدون عليها في الدفاع عن المدن الاسلامية الاندلسية لاسيما المناطق والثغور الحدودية والقريبة من اعدائهم، او الحصون القريبية منها وكذلك الحصون التي أوكلت اليها مهمة الدفاع عن المدن الكبيرة هي بوضع الرهائن والاسرى من رعايا الممالك الاسبانية وجنودها في تلك المناطق من اجل استخدامهم كورقة ضغط فيما اذا هاجمت الممالك الاسبانية واستخدامها في رفع الحصار عن المدينة بعد التهديد بتصفيتهم والقضاء عليهم، او ليفادوا بهم اسراهم باعتبارهم دارا للصراع المستمر بين المسلمين والممالك الاسبانية وهم بذلك

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٦٦؛ عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٣ .

[٢] بروفنسال، ليفي، مجموع رسائل موحدية (الرسالة السادسة والثلاثون)، (باريس، ١٩٤٢م)، ص٦٨ .

يكونـون اقـدر علـى مجابهـة التحـديات الخارجيـة التـي تـواجههم وفـي ذلـك قـال ابـن عـذاري: ((... فـأمر الأميـر تاشـفين بثقـاف الأسـرى والغنـائم ونهـض بهـم إلــى قلعــة ربــاح لقربهــا مــن المعتــرك، فــألقى أحــوالهم مختلــة، وأمــورهم معتلــة، فأصـلح مـا فسـد، وسـد مـا اختـل، وتـرك الأسـرى عنـدهم ليفـادوا بهـا مـن فـي دار الحرب من أسراهم وصدر إلى غرناطة ظاهراً وظافراً))[١] .

---

[١] البيان المغرب، ج٤، ص٧٤ .

المبحث الثاني: الوسائل الادارية السلبية

تعد الوسائل الدفاعية الادارية واحدة من اهم وانجع الوسائل الدفاعية التي تكون ذات تأثير مباشر على الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية الاندلسية وان اهمية هذه الوسائل جاءت كونها انية وموجهة للخطر بصورة مباشرة الامر الذي يجعلها اكثر ايجابية من الوسائل الدفاعية الاخرى وبذلك تكون الوسائل الادارية السلبية قليلة العدد بمقارنتها مع بقية الوسائل الدفاعية الايجابية ومن سلبياتها التي احصيناها:

اولا: تولية الغير كفوء

اسهمت التولية والتنصيب في ابعاد الكثير من الاخطار عن المدن الاسلامية في الاندلس كما تقدم الا ان في مرات غير قليلة كانت هذه التولية سببا في ضياع مدن مهمة بسبب عدم تولية من يصلح لمهمة الدفاع عن المدينة، ومن ذلك ما حدث لمدينة قلمرية الاسلامية التي تعد من اهم المدن الاسلامية في الاندلس التي كانت من املاك بني الافطس ايام الطوائف حيث هاجمها فرناندو في عهد محمد بن الافطس المظفر (٤٣٧- ٤٦١هـ/ ١٠٤٥- ١٠٦٨م) الذي ولى عليها مولى له اسمه راندة وكان تحت امرته خمسة الاف جندي اثناء هجوم النصارى عليه، وحاصره النصارى ستة اشهر، فتفاهم راندة مع فرناندو سرا على ان يخرج من المدينة سالما وبذلك ترك المدينة لمصيرها المحتوم، فاستسلمت ودخلها النصارى عنوة فسبوا اهلها عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ونتيجة لهذه الانتكاسة الادارية قام ابن الافطس بالقبض على راندة وقتله[١].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٩؛ التميمي، بنو الأفطس في بطليوس، ص٥٨ .

ثانيا: تصفية رجال الدولة

على الرغم من ان اغلب الوسائل الادارية كانت ذات نتائج ايجابية الا ان هذا لا يمنع من وجود بعض الوسائل الادارية التي حملت نتائج وخيمة او ذات نتائج سلبية اسهمت في اضعاف الجانب الاسلامي الداخل في صراع مستمر مع الممالك الاسبانية، ومن هذه الوسائل السلبية القرارات الادارية الغير مدروسة لاسيما فيما يتعلق بتصفية رجال الدولة، وتتضح هذه الوسيلة عندما سلم ابو الحجاج يوسف بن قادس قلعة رباح مضطرا لانه لم يكن بين يديه ما يدافع عن المدينة فرأى الانسحاب من القلعة والحفاظ على ارواح المسلمين هو افضل الخيارات المطروحة بين يديه، وبعد التسليم توجه الى الخليفة الموحدي الناصر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) لمقابلته ليوضح له اضطراره الى هذه الوسيلة الا ان الوزير ابا سعيد بن جامع[١] منعه من ذلك واوغر صدر الخليفة عليه واتهمه بالخيانة فأمر الناصر بإعدامه مع صهره دون ان يستمع اليه او يستوضح أمره فاعدمهما[٢]، وتتضح مساوئ هذا القرار مما وقع في نفوس مواطنيه والجند الاندلسيين من هذا القرار الذي اعتبروه جائرا في حق احد زعمائهم البارزين وردا على ذلك قام الوزير ابو سعيد بعزلهم والاستغناء عن خدماتهم واسهمت هذه الحادثة في تفكك المعسكر الموحدي وبالتالي ضعف الوسائل الدفاعية المعتمدة بالدرجة الاولى على القوة العسكرية[٣].

ولم تكن هذه الوسيلة السلبية بعيدة عن الولاة الموحدين في الاندلس فقد كانت احدى وسائل والي جزيرة ميورقة (ابو يحيى محمد بن علي بن موسى بن ابي

---

[١] هو أبو سعيد عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن جامع، وكان ابراهيم من اصحاب ابن تومرت. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٢٢٨ .

[٢] ابن ابي الزرع، الانيس المطرب، ص٢٣٧–٢٣٨؛ المغلوث، سامي بن عبدالله، أطلس تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة العبيكان للنشر (الرياض، ٢٠١٢)، ص٣٨٨ .

[٣] ابن ابي زرع، الانيس المطرب ، ص٢٣٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦ .

عمران) الذي واجه الاسطول الارجوني الذي كان يبتغي مداهمة الجزيرة والسيطرة عليها الا ان هذا الخطر لم يكن الوحيد بل واجه بالتزامن مع هذا الهجوم العنيف خطر على الصعيد الداخلي بعد كشفه مؤامرة تهدف الى خلعه من ولاية المدينة وبهدف مواجهته اخذ يتخبط في اجراءاته حيث قبض على اربعة من اكابر اعيان المدينة وشيوخها وامر باعدامهم ((وكان فيهم ابنا خاله، وخالهما أبو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة))[١]، الامر الذي اسهم في سخط الناس واهل الجزيرة وزاد توجسهم من توجهات هذا الوالي بعد ان امر القبض على خمسين اخرين من اهل المدينة، ((فاجتمعت الرعية إلى ابن سيري، فأخبره بما نزل، وعزوه فيمن قتل وقالوا: هذا أمر لا يطاق، ونحن كل يوم إلى الموت نساق، وعاهدوه على طلب الثأر)) [٢] ، وعلى الرغم من انه بادر بالصفح عن خصومه بعد سماعه بتوجه السفن النصرانية الى حدوده الا ان هذه الوسيلة اسهمت في رجحان كفة الممالك الاسبانية في بادئ الامر بسبب ما حدث من خلل في صفوف المسلمين على جزيرة ميورقة[٣]

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٨-٤٦٩ .

[٢] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٩.

[٣] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٩-٤٧٠.

الفصل الرابع

الوسائل الدفاعية الشعبية

المبحث الاول: الوسائل الشعبية الايجابية

اولا: الثورات الشعبية

ثانيا: المراسلات الشعبية ودور اهل المدن في طلب النجدات

ثالثا: رفض مدعي الحكم والخلافة

رابعا: استدعاء الكفء لحكم المدينة

خامسا: الدور الشعبي في طلب الصلح

سادسا: طلب الدعم والاسناد

سابعا: الدور الشعبي في اعطاء الاتاوات

ثامنا: البيعة واعلان الطاعة

تاسعا: الجهد الشعبي في احكام التحصينات الدفاعية

عاشرا: الزخم العسكري الشعبي

الحادي عشر: دور العلماء في طلب النجدات والاستغاثات

الثاني عشر: الجهد الشعبي في توحيد الصفوف

الثالث عشر: اثر العلماء الجهادي في الوسائل الدفاعية

الرابع عشر: اثر العلماء في درء الاخطار الداخلية

الخامس عشر: الخطط والاجراءات الشعبية

المبحث الثاني: الوسائل الشعبية السلبية

اولا: مراسلة الممالك الاسبانية

ثانيا: التسليم للمالك النصرانية

المبحث الاول: الوسائل الشعبية الايجابية

أسـهمت الوسـائل الشـعبية كمثيلتهـا مـن الوسـائل الدفاعيـة فـي ابعـاد الكثيـر مـن الاخطـار المحدقـة بالمـدن الاسـلامية فـي الانـدلس، ومثلـت الجهـد الشـعبي فـي التصـدي للعـدوان علـى المدينـة الاسـلامية فـي صـورة حقيقـة لإحيـاء رابـط الفـرد الاندلسـي بارضـه ووطنـه وقسـمت مـا كـان منهـا ذو نتـائج ايجابيـة الى:

اولا: الثورات الشعبية

تعد الثورات الشعبية من بين اهم الوسائل الدفاعية الشعبية لاسيما في الفترات التي ينتشر فيها الضعف والانحلال بين اوساط الشعب الاندلسي الاسلامي وتصبح الثورة من ضرورات الاستمرار لتغيير الواقع نحو الافضل وبالتالي زيادة الوسائل الدفاعية بوجه التحديات الخارجية الطامعة.

وتتضـح هـذه الوسـيلة الدفاعيـة فـي بـدايات العقـد الثـاني مـن القـرن الخـامس الهجـري عنـدما بويـع القاسـم بـن الحمـود (المـأمون) (٤٠٧-٤٣١هـ/ ١٠١٦- ١٠٣٩م) خليفـة فـي اشـبيلية[١]، وبويـع ابـن اخيـه يحيـى بـن علـي بـن حمـود (المعتلـي بـالله) (٤١٢-٤١٣هـ/ ١٠٢١- ١٠٢٢م) خليفـة فـي قرطبـة وعلـى الـرغم مـن الصـفة الشـرعية لهـذا المنصـب الا انـه كـان سـببا فـي شـق صـف المسـلمين[٢]، وعلـى الـرغم مـن السـلبيات التـي سـببها هـذا الاخـتلاف، الا ان كـلا الخليفتـين اعتـرف بمنصـب الخليفـة الاخـر ((وهـو امـر لـم يسـمع فـي

---

[١] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٧٣ .

[٢] ابن بسام ، الذخيرة، ج٢، ص٨٧٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٢٢؛ الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص١٧٧ .

الـدنيا باشـنع منـه، ولا بـأدل علـى ادبـار امـور يحيـى بقرطبـة والقاسـم باشبيلية))[١] علـى حـد قـول ابـن حـزم. ونتيجـة لتردي الاوضـاع فـي قرطبـة ثـار اهلهـا مـن البربـر علـى المعتلـي وهـرب الـى مالقـة وبـدعوة مـن الثـائرين دخـل القاسـم بـن الحمـود (المـامون) الـى قرطبـة عـام ٤١٣هـ/١٠٢٢م[٢] ، الا انـه لـم يحسـن التصـرف فـي ادارة المدينـة ومكـن البربـر مـن اهلهـا الامـر الـذي اضـطرهم للثـورة عليـه فهـرب القاسـم منهـا حتـى قـبض عليـه يحيـى بـن علـي (المعتلي بالله) وتمكن من قتله عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩[٣].

وكـان لمدينـة بلنسية نصيب من هذه الوسيلة الدفاعيـة لاسيما في فترة حكم يحيـى القـادر مـن بنـي ذنـون (٤٧٨-٤٨٥هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٢م) ابـان حكمـه لهـذه المدينة الذي وصف بالضعف وعدم مقدرته على ادارة المدينـة الامر الذي فتح الباب امـام قشـتالة ورجالهـا للـدخول الـى المدينـة حيـث سـيطر احـد رجالاتهـا المـدعو (الكمبيادور) الذي تسميه المصادر الاسلامية (بالكنبيطور) على اجزاء من المدينة، الامر الذي استهجنه البلنسيون فثاروا على هذا الوضع وتزعم ثورتهم قاضي المدينة ابن الجحاف[٤]، وكانت اهدافها تحرير مدينتهم من القشتاليين فضلا عن الاطاحة بالقادر ونجحت الثورة كما رسم لها حيث استطاع ابن الجحاف ان يقبض على ممثل

---

[١] ابـن حـزم، علـي بـن أحمـد بـن سـعيد بـن حـزم الأندلسـي (ت: ٤٥٦هـ)، رسـائل ابـن حـزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ (بيروت، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٩٢؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٢٠٢ .

[٢] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٧ .

[٣] ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج١، ص٤٨٥ .

[٤] هو ابو احمد بن جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافيري المتوفي عام ٤٨٨هـ بعد ان تمكن الكمبيادور من دخول المدينة بالامان والقى القبض على ابن الجحاف وتعذيبه وحرقه بالنار. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص٥٩٤.

الكمبيادور في المدينة و تمكن من القاء القبض على القادر وقتله عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢[1].

وكان للثورات الشعبية في نهايات عصر ملوك الطوائف دور في تسهيل مهمة الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) في انهاء الواقع السياسي المزري الذي وصلت اليه الحال في الاندلس، اذ كان التسهيل عن طريق القيام بثورة داخل المدينة التي من المتوقع انها ستقف بوجه التقدم المرابطي في العمق الاندلسي، وهذا ما قام به بعض اهل مدينة اشبيلية، لاسيما خصوم بني عباد، من اضرام الثورة داخل المدينة حتى يضطرب واقع الامر الدفاعي عن المدينة الامر الذي سيعود بالفائدة على المعسكر المرابطي وتسهيل مهمته في السيطرة على اشبيلية[2].

وكان للجزائر الشرقية الاندلسية دور في هذه الوسائل الشعبية حيث ثار اهلها على واليهم وانور بن ابي بكر (٥٠٩- ٥٢٠هـ/١١١٥-١١٢٦م) الذي اساء معاملتهم وارغمهم على ترك مدينة ميورقة الاسلامية وردا على هذه الاجراءات التعسفية ثاروا عليه وقبضوا عليه وارسلوه الى عدوة المغرب وبالتحديد الى مدينة مراكش ونتيجة لهذه الثورة قام الامير المرابطي بتعين محمد بن علي بن غانية واليا على مدن الجزائر الشرقية الاندلسية عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م[3].

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ج٥، ص٩١؛ ابن الابار، التكاملة، ج١، ص١٩٤؛ الدرة، عبد القادر علي احمد، العلماء الشهداء في الاندلس (٤٠٠-٨٩٧هـ/ ١٠٠٩-١٤٩٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية بغزة، كلية الاداب، ٢٠٠٩م، ص٦١.

[2] عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٣٥١ .

[3] ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٢٥- ٣٢٦؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٧١.

اما في حقبة ضعف المرابطين الذين اصبحوا غير قادرين على مدافعة الاخطار المحدقة بالمدن الاسلامية فلم يكن امام سكان المدن الاندلسية سوى الثورة واستلام زمام المبادرة والادارة[1]، وقاد هذه الثورة الشعبية العلماء والقضاة، ونستطيع القول بان هذه الثورات كانت ثورة اهل القلم ضد قادة الجند الضعفاء، وقد كانت مدينة شلب سباقة في هذه الوسيلة الدفاعية التي ثارت بقيادة ابن القسي[2] الذي سيطر على عدة مدن منها مرتلة[3] وباجة وولبة[4] عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[5]، وقد تكررت هذه الوسيلة في مدينة قرطبة التي ثارت في نفس العام بقيادة ابن حمدين[6]، الذي سانده اهلها الا ان ابن غانية استطاع ان يعيد السيطرة على المدينة بعد مدة من الزمن وهروب ابن حمدين عنها[7].

---

(1) احمد، حسن خضيري، صفحات من تاريخ الاندلس الاسلامي، مكتبة المتنبي (الرياض، ٢٠٠٦)، ص١٩٢.

(2) هو ابو القاسم احمد بن الحسين بن القسي، من المتصوفة المشهورين في الاندلس الذي قاد ثورة المريدين فيها. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص٥٧٩؛ سعدي، بوضياف، الثورات في الاندلس ضد حكم المرابطين (٥٠٧- ٥٤١هـ/ ١١١٣-١١٤٦م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، ٢٠١٧م، ص٢٤.

(3) مرتلة او مارتلة وهو حصن يبعد عن مدينة شلب اربعة ايام. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٣.

(4) وهو حصن قريب من مدينة شلب. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٣.

(5) ابن الابار، التكملة، ج٢، ص١٩٧-١٩٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٥٥-١٥٦.

(6) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدين التغلبي ولي قضاء قرطبة عام ٥٣٦هـ وتوفي في مالقة عام ٥٤٦هـ . المراكشي، المعجب، ص١٣١؛ السامرائي، واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٦٥؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٢١٥ .

(7) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٦ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٤٣ .

كذلك فعل اهل مدينة غرناطة حيث ثاروا بقيادة القاضي ابو الحسن علي بن اضحى[١]، استجابة لدعوة ابن حمدين الذي رفع سيفه بوجه والي المدينة المرابطي[٢].

وقد لحقت مدينة مالقة بركب المدن الثائرة ووادي اش ومدينة جيان التي ثارت بقيادة قاضيها يوسف بن عبد الرحمن بن جزي[٣]، وكذلك مدينة رندة[٤] الذي قاد ثورتها أخيل بن ادريس[٥]، ومدينة شريش التي قاد ثورتها ابن غرون[٦] وسيطر على اركش ورندة عام ٥٤١هـ/١١٤٦م[٧].

---

[١] هو علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن احمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد بن الشمر من همدان من صميم بيوتاتها ولد بالمرية عام ٤٩٢هـ . ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١١- ٢١١ .

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١١ .

[٣] ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة ، ج٤، ص٢١٥؛ السامرائي واخرون، ص٤٤٩ .

[٤] وهي معقل حصين في الاندلس يقع بين مدينتي اشبيلية ومالقة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٧٣.

[٥] ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد (ت: ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٣م)، ج١، ص١٧٣؛ ربح، بوقرة، الصراع الموحدي النصراني في الاندلس(٥٤١- ٦٠٩هـ/ ١١٤٦-١٢١٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٨م، ص١٩ . هو ابو القاسم اخيل بن ادريس الرندي كاتب للمرابطين في الاندلس من اهل رندة ثم ولي قضاء قرطبة ومن بعدها اشبيلية. الزركلي، الاعلام، ج١، ص٢٧٨.

[٦] هو ابو الغمر سائب بن غرون الثائر على التواجد المرابطي في الاندلس في عدة مدن منها شريش. ابن عبد الملك، المراكشي، ج١، ص٣٦٨.

[٧] ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٧٤؛ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج١، ص٣٣٥ .

وقد لحقت مدينة بلنسية بموكب المدن الثائرة بقيادة قاضيها مروان بن عبد العزيز[١] عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[٢]، وكان من نتائجها ان هرب واليها المرابطي عبد الله بن محمد بن غانية الى مدينة شاطبة التي اصبحت منطلقا له في شن غاراته على مدينة بلنسية[٣].

وأسوة بالمدن الاندلسية الثائرة انتفض سكان مدينة مرسية بوجه المرابطين بعد ما لمسوا الضعف في وسائلهم الدفاعية ونصبوا عليهم زعيما منهم يدعى ابو محمد بن الحاج اللورقي[٤]، الذي تنزه عن الحكم وقدم لهذه المهمة القاضي ابا جعفر الخشني[٥]، وكان يقول في الحكم والامارة: ((انها ليست تصلح لي، ولست بأهل لها، لكني اريد ان امسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجيء من يكون لها اهلا))[٦].

وكذا كان الحال في مدينة لورقة التي ثارت بوجه ابن مردنيش ومن في جيشه من النصارى الذين ساؤوا معاملة اهلها والمتسلطين على رقابهم واعلنوا طاعتهم

---

[١] هو ابو عبد الملك مروان بن عبد العزيز، من الثائرين على التواجد المرابطي في مدينة بلنسية. ابن الابار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص٢٣٥ .

[٢] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٥٦ .

[٣] ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة ، ج١، ص٥٨ ؛ ابن الابار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية (مصر، ١٤٢٠هـ)، ص٢٣٥ .

[٤] الضبي، بغية الملتمس، ص٤٣؛ ابن الابار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص٢٣٣ .

[٥] هو الفقيه القاضي ابا جعفر محمد بن محمد بن عبد الله بن ابي جعفر الخشني، احد الثائرين على التواجد المرابطي في مدينة مرسية. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (بيروت، بلا.ت)، ج١، ص٣٩.

[٦] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٢٨ .

للموحدين ومما يوضح قوة هذه الثورة ان ابن مردنيش وجيشه لم يكن له خيارا سوى الانسحاب الى داخل قصبة المدينة والتترس بين حصونها[١]

اما جزيرة الشقر فقد ثار اهلها على النصارى المسيطرين عليها وتمكنوا من طردهم خارجها بقيادة عميدهم ابي بكر احمد بن محمد بن سفيان المخزومي[٢] حيث اعلن اهلها الانضمام الى الموحدين[٣].

وكان لسكان مدينة قرطبة مكانا مشهودا في هذه الوسيلة الدفاعية فعندما سيطر عليها عبد الله البياسي عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م رأى اهل المدينة افراطه في الارتماء في احضان الممالك النصرانية فضلا عن اعطائهم عددا كبيرا من الحصون والقلاع الاسلامية، وخشي اهل قرطبة ان يسلم البياسي مدينتهم اليهم. فثاروا في وجهه لدفع هذا الخطر المحدق، إذ انهم شعروا ان انفع وسيلة دفاعية هي الثورة بوجه البياسي ولم يكن امامه سوى الهروب الى حصن المدور لكن الثوار حاصروه وتمكنوا من قتله وارسال راسه الى ابي العلى الذي بدوره ارسله الى اخيه الخليفة الموحدي في مراكش[٤].

ولم تختلف حقبة الانحلال والتفكك الذي اصاب الموحدين عن حقبة انحلال وتفكك المرابطين، فواجهت سيطرتهم على المدن الاندلسية الكثير من الثورات الشعبية في شرق الاندلس ووسطها تهدف الى التحرر من السيطرة الموحدية وحماية

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٦٦ ؛ عبيدات، الموحدون في الأندلس، ص٨٢ .

[٢] هو ابو بكر احمد بن محمد بن سفيان المخزومي ، وكان من أهل العفاف والصلاح والدين والمعرفة بالاداب. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس واخرون، دار الغرب الاسلامي (تونس، ٢٠١٢م)، ج١، ص٥٩٨ .

[٣] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٨.

[٤] ابن خلدون، العبر، ٦/٣٤٠؛ مراكشي، العباس ابراهيم، الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، المطبعة الملكية (الرباط، ١٩٧٤م)، ج١٠، ص ٢١٨ .

المدن الاسلامية الاندلسية من العدوان النصراني المستمر وكان السبب في ذلك هو التخاذل الذي اصاب الحكام المرابطون في واجبهم الدفاعي عن المدن الاندلسية الاسلامية، وتحول نشاطهم العسكري الى صراعات داخلية، وبالمقابل مصانعة ومحالفة الممالك الاسبانية، ومن اولى تلك الثورات الشعبية هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي (٦٢٠ – ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣– ١٢٣٧م) في مدينة مرسية وتمكن من السيطرة عليها عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وانضمت اليه عدة مدن اخرى مثل جيان وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية[١].

ومن الثورات الشعبية التي نشبت ضد الموحدين ثورة مدينة بلنسية حيث اجتمع اهلها حول ابي جميل زيان بن ابي الحملات[٢]، فبعد خسارة والي المدينة الموحدي ابو زيد ضد محمد بن هود الجذامي (٦٢٠ – ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣– ١٢٣٧م) التف اهل المدينة حول ابي جميل عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م[٣] .

وثار اهل مدينة غرناطة عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م بوجه عامل المدينة المرسل من قبل محمد بن هود (٦٢٠ – ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣– ١٢٣٧م) المدعو عتبة بن يحيى المغيلي، الذي شكل خطرا على المدينة واهلها بسبب ظلمه وجوره فاستغل اهل المدينة موت ابن هود ليخرجوا على عامله فيهم بقيادة من الاشراف واهل الحل

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٧٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٦.

(٢) هو ابو جميل زيان بن ابي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي. احد الزعماء السياسيين الاندلسيين الذين ظهروا في مدينة بلنسية نتيجة الضعف الذي دب في جسد الدولة الموحدية لاسيما بعد خسارتهم على يد محمد بن هود. لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج١، ص٢٤١.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٤ ؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٢٣٥ .

والعقد وكان من نتائج هذه الثورة ان قتل عتبة ودخلوا في طاعة ابن الاحمر الذي سار الى المدينة ودخلها عام ٦٣٥/ ١٢٣٧م[١].

وكان لهذه الوسيلة الدفاعية الشعبية تواجدا في مدينة اشبيلية ضد زعيمها عمرو بن الجد[٢] الذي ثار عليه اهل المدينة لأنه ارتمى بأحضان ملك قشتالة وتمكن الثائرون من قتل ابن الجد فأبدى القشتاليون امتعاضا من قتل صاحبهم واتخذوا من ذلك ذريعة لحصار المدينة[٣].

وكان لسكان غرناطة وسيلة شعبية اخرى ضد حاكمها محمد المخلوع (٦٩٩- ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩- ١٣٠٨م)[٤] الذي لم يحسن تدبير سياسته مع اهل المدينة فضلا عن انه تصادم مع بني مرين الدرع الاساسي في سياسة مملكة غرناطة المقاومة للمد القشتالي واصبحت المدينة في خطر يهدد اهلها الذين عمدوا الى الثورة التي قادها اكابر المدينة وزعمائها ضد كل من محمد المخلوع ووزيره

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤١٨؛ وناس، زمان عبيد، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨- ١٤٩٢م ، دار الرضوان (عمان، ٢٠١١م)، ص٢٥؛ التويجري، نورة بنت محمد بن عبد العزيز، الصراع بين ابناء يوسف الاول واثره في اضعاف مملكة غرناطة، مجلة جامعة ام القرى، العدد ١٥، ١٩٩٦م ، ص ٢٨٩ .

(٢) هو يحيى بن عبد الملك بن محمد الحافظ ابي بكر، ملك اشبيلية بعد مقتل محمد بن هود الجذامي عام ٦٣٥هـ واعلن طاعته لابي زكريا الحفصي. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٩.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٩٣.

(٤) هو محمد ابو عبد الله بن محمد الفقيه بن محمد الغالب بالله بن يوسف بن محمد بن احمد بن نصر ثالث ملوك غرناطة من بني الاحمر. لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج١، ص٤٤ .

محمد بن الحكيم[1] عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م وتمكنوا من قتل الوزير والقبض على محمد المخلوع ونفوه عن المدينة ونصبوا اخاه نصر ابو الجيوش[2].

واعاد اهل غرناطة الكرة مرة اخرى ضد زعيمهم نصر ابي الجيوش (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨-١٣١٣م) بسبب ما شكله من خطر على المدينة واهلها لانه اساء سياستهم بالبطش والشدة، وللحفاظ على ما تبقى للمسلمين في الاندلس، ورشح الثوار لمنصب المملكة ابوا الوليد اسماعيل (٧١٣ – ٧٢٥هـ/ ١٣١٣ – ١٣٢٤م) حفيد اسماعيل اخو محمد بن الاحمر راس الاسرة النصرية الذي تمكن من الدخول الى المدينة عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[3].

وكان هناك موعد لهذه الوسيلة الدفاعية الشعبية عندما حاول حاكم جبل طارق المريني ابن ابي منديل[4] ان يحيد عن طاعة بني مرين بثورة يخلع بها طاعتهم وشكل فعله هذا خطرا على بني مرين مما سهل للجيوش

---

[1] هو محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي، الملقب بذي الوزارتين، بسبب انه كان وزيرا لمحمد الفقيه ثم لولده =من بعده محمد المخلوع حتى وفاته قتيلا عام ٧٠٨هـ. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣١٠.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٢١ ؛ حسن، عامر احمد عبد الله، دولة بني مرين: تاريخها وسياستها اتجاه مملكة غرناطة والممالك النصرانية في اسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م، ص١٣٩ .

[3] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٤١؛ عبد القادر، بوحسون، الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقاديد، ٢٠١٣م، ص٣٢.

[4] هو عيسى بن الحسن ابن ابي منديل عامل ابن الاحمر على جبل طارق حتى لثورة عليه سنة ٧٥٦هـ. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٩ .

النصرانية ان يجدوا من خلاله ثغرة يمرون منها الى المغرب والاندلس، الا ان اهل جبل طارق اعرضوا عن مؤازرة هذا المتمرد لوقوفهم على خطره وقبضوا عليه وارسل الى المغرب حيث تم اعدامه هناك عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م[١].

وكان لهذا الثغر الهام موعد مع هذه الوسيلة الدفاعية مرة اخرى الا ان هذه المرة كانت الثورة ضد حاكم الثغر المنصب من قبل ابي الحجاج يوسف الثالث[٢] (٨١٠- ٨٢٠هـ/ ١٤٠٨- ١٤١٧م) واعلنوا تأييدهم الى ملك المغرب المريني عثمان ابو سعيد[٣] (٨٠٠-٨٢٣هـ/ ١٣٩٧- ١٤٢٠م) لظنهم انه سيكون اقدر على حمايتهم من هجمات الممالك الاسبانية النصرانية، فارسل ابو سعيد المريني قوة عسكرية الى جبل طارق لكن ابن الاحمر ارسل مددا الى حاكم المدينة استطاع احباط محاولة المرينيين[٤].

وفي عام ٨٣١هـ/١٤٢٧هـ هاجم القشتاليون غرناطة وعاثوا في ارجائها وعندما رأى اهل غرناطة عجز حاكمها محمد الايسر[٥] في فترة حكمه الاولى

---

[١] ابن بطوطة، تحفة النظار ، ٢١٤/٤؛ زبيس، سليمان مصطفى، أندلسيات زبيس: دراسات سليمان مصطفى زبيس الأندلسية، وزارة الثقافة التونسية (تونس، ٢٠٠٤م)، ص٤٣ .

[٢] هو يوسف بن يوسف بن محمد الغني باللّه بن يوسف النصري بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، الملقب بالناصر. الرزركلي، الاعلام، ج٨، ص٢٥٩.

[٣] هو عثمان الثاني بن احمد بن ابي سالم المريني، الذي يعتبر حكمه بداية ضعف دولة الموحدين في المغرب. المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٤١٣ .

[٤] لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٨٠م)، ٢٣٥/١؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٤٨ .

[٥] هو محمد ابو عبد الله بن نصر بن محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي

(٨٢٢- ٨٣١هـ/١٤١٩- ١٤٢٧م) قام اهل المدينة بالثورة عليه وزحفوا على قصره ونادوا بولاية ابن اخيه محمد بن يوسف الثالث[1] الذي استلم سدة الحكم في غرناطة حين هرب الايسر الى المغرب[2].

ثانيا: المراسلات الشعبية ودور اهل المدن في طلب النجدات

تعد المراسلات الشعبية احد الوسائل الدفاعية التي يجب الالتفاف اليها لما لها تاثير على الواقع السياسي في داخل المدينة الاسلامية الاندلسية وخارجها. وعلى الرغم مما تحمله من الاوجه السياسية الا ان المسلمين في الاندلس في بعض الاوقات لجؤوا الى المراسلات عند الشعور بالخطر على الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت هذه المراسلات في اغلبها لطلب المساعدة وتهدف الى استقرار المدينة و حمايتها .

وتتضح هذه الوسيلة الدفاعية في مدينة مالقة التي حكمها البربر قاهرين لأهلها منذ عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م على يد باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) ، ونتيجة للضغط البربري المستمر على اهل المدينة سئم اهلها حكمهم وقرروا مراسلة المعتضد بن عباد (٤٣٣ – ٤٦١هـ/ ١٠٤١- ١٠٦٨م) يدعوه لدخول مدينتهم، وكان من نتيجة هذه المراسلة ان استجاب المعتضد لطلبهم وارسل اليهم جيشا بقيادة ولديه جابر والمعتمد وخاضوا معارك عديدة مع البربر داخل المدينة الا انهم تحصنوا

بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الحياة (بيروت، بلا.ت)، ج١٠، ص٦٨.

[1] هو محمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن السلطان ابي الحجاج. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٦٨.

[2] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٣، ص٢٦٦.

داخل قصبتها واستطاعوا الصمود بوجه بني عباد الذين فشلوا في السيطرة على المدينة[1].

وعلى الرغم من فشل الحملة العسكرية التي هدفت الى السيطرة على مدينة مالقة الا ان الوسيلة الشعبية نجحت في توجيه انظار بني عباد الى الاستجابة للمطالب الشعبية لاهالي مدينة مالقة.

وتكررت هذه الوسيلة في مدينة بطليوس، لاسيما بعد ان احس زعيمها المتوكل بن الافطس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) بالخطر المرابطي القادم للاطاحة بحكمه لتوحيد المدن الاسلامية تحت قيادة يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) ولمواجهة ما عده الخطر المرابطي قرر المتوكل ان يستعين بملك قشتالة الفونسو واعطاه مقابل ذلك ثلاث مدن اسلامية وهي (اشبونة وشنترة وشنترين)[2]، ونتيجة لارتماء المتوكل في احضان قشتالة قام اهل بطليوس المسلمون بمراسلة المرابطلين يستحثونهم على اسقاط المتوكل عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وتم لهم ذلك حيث استطاعت الجيوش المرابطية بعد مدة وجيزة ان يبسطوا سيطرتهم على مدينة

---

[1] عبد الله بن بلقين، التبيان، ص٧٦-٧٧؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص١٤٢؛ خالص، صلاح، المعتمد بن عباد الاشبيلي دراسة ادبية تاريخية، دار الاخبار (بغداد، ١٩٥٨م)، ص٣٥- ٣٦؛ دحوالة، يوسف احمد، بنو عباد في اشبيلية ٤١٤-٤٨٤هـ/ ١٠٢٣- ١٠٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ١٩٨٠م، ص١٤٦-١٤٧.

[2] التميمي، بنو الافطس في بطليوس، ص٢١ .

بطليوس وابعادها عن اطماع ملك قشتالة الفونسو بعد نجاح هذه الوسيلة الشعبية[1].

ثالثا: رفض مدعي الحكم والخلافة

تعد هذه الوسيلة من بين الوسائل التي تدل على الوعي السياسي للمسلمين في الاندلس في اوقات صراع الاطراف الحاكمة لاعتلاء سدة الحكم وبذلك يكونون في منأى عن ذلك الصراع وعدم تحامل اي من الاطراف المتصارعة على المدن الاسلامية الاندلسية

وتتضح هذه الوسيلة في حقبة الصراع بين كل من محمد بن هشام المهدي (٣٩٩- ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٨- ١٠٠٩م) وسليمان بن الحكم المستعين بالله[2]، وكانت سياسة المهدي في ادارة الدولة، وزرع الفتنة بين العرب والبربر في قرطبة سببا كافيا في توتر الاوضاع داخل المدن الاسلامية الاندلسية مما زاد في تحدياتها الخارجية والداخلية الامر الذي جعل الكثير من امراء البيت الاموي في الاندلس يسعون الى الاطاحة بحكمه ومن اهم هؤلاء هو سليمان بن الحكم المستعين بالله[3]، الذي اراد ان يجد له موطئ قدم في مدينة طليطلة فبعث معتمدا منه الى اهلها ودعاهم الى بيعته الا

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٨٣ ؛ سالمي، نصيرة، عصر ملوك الطوائف في الاندلس بين الانحطاط السياسي والازدهار العلمي (٤٢٢-٥٠٣هـ/ ١٠٣١-١١١٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، ٢٠١٥م، ص٤١ .

[2] الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٢٠؛ أرسلان، شكيب ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا ، ص١٩٨- ١٩٩ .

[3] المراكشي، المعجب، ص٤٠؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢١٥.

انهم رفضوا ذلك درءا للفتنة[1]، غير ان هذا الفشل لم يثن المستعين بالله في العثور على الساند له في مطامعه وتوجهاته فبعث بدعوته الى اهل مدينة سالم الا ان تحقيق موقفهم لم يختلف عن اهالي مدينة طليطلة في رفض البيعة له[2].

رابعا: استدعاء الكفء لحكم المدينة

يُعد الاستدعاء احد الوسائل الشعبية السياسية التي كان لها دور كبير في تقوية الجبهة الداخلية الاسلامية في المدن الاسلامية وتقوية وسائلها الدفاعية في مواجهة الهجمات الخارجية المحتملة، وتتضمن هذه الوسيلة قيام اهل المدينة باستدعاء من يتوسمون به الكفء لقيادة المرحلة وتجاوز التحديات الطارئة على الوجود الاسلامي في المدينة الاسلامية.

وتتضح هذه الوسيلة في مدينة طليطلة وبالتحديد في الحقبة التي سبقت تسنم بني ذنون مقاليد حكم المدينة وكانت هذه الحقبة مسرحا للاضطرابات والفتن داخل المدينة حتى نصب اهلها قاضيهم ابا بكر يعيش الاسدي[3] ومعه مجموعة من زعماء المدينة الا انهم لم يفلحوا في ادارة المدينة ودب الخلاف والاقتتال بينهم الامر الذي اضطر اهل المدينة للتمرد عليهم وارسلوا رسلهم لاستدعاء عبد الرحمن بن ذي نون زعيم مدينة شنتمرية لحكم مدينتهم فوافق على طلبهم الا انه ارسل اليهم ولده اسماعيل عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م[4].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٠٩؛ أبو الأنوار، التاريخ كما يجب أن يكون، ص٩٨.

(٢) النويري، نهاية الارب، ٢٤٦/٢٣ .

(٣) هو ابو بكر يعيش بن محمد بن يعيش بن منذر. القاضي عياض، ترتيب المدارك ، ج٨، ص٤١.

(٤) لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٧٦ .

وكـــان لمدينـــة طليطلـــة موعـــدا اخـــر مـــع هـــذه الوســـيلة الشـــعبية فنتيجـــة الثـــورة التـــي حـــدثت ضـــد صـــاحبها يحيـــى بـــن ذي النـــون الملقـــب بالقـــــــادر بـــــــالله (٤٦٧- ٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م) عـــــــام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م التـــي كـــان مـــن نتائجهـــا ان هـــرب القـــادر بـــالله[١]، فخشـــي اهلهـــا مـــن تـــربص الممالـــك الاســـبانية المهـــددة للمدينـــة اضـــطروا للتوجـــه الـــى المتوكــــــل بـــــــن الافطــــــس (٤٦٤- ٤٨٧هـ/ ١٠٧١- ١٠٩٤م) حـــــاكم سرقســـطة فاســـتدعوه للحضـــور الـــى المدينـــة واســـتلام ســـدة الحكـــم فيهـــا فأجـــابهم علـــى كـــره منـــه وتحـــرك مـــن بطليـــوس الـــى طليطلـــة وبقـــى فيهـــا مدة عشرة اشهر وادار شئونها واستقرت امورها[٢].

وكـان لاهـل مملكـة سرقسـطة ومـدينتها الشـهيرة وسـيلتهم الدفاعيـة الخاصـة فعنـدما احسـوا بـالخطر الـذي يـدق ابـواب مـدينتهم لمـا اصـابها مـن جـراء الصـراع الداخلي بين يوسف المؤتمن واخيه المنذر[٣]، ومن بعدها سياسة بني هود التي كلفت المملكة تدخلا قشتاليا عسكريا واداريا في شؤون المملكة وادارتها، فلما استلم الحكم عبـد الملـك بـن احمـد عمـاد الدولـة[٤] الـذي تعهـد لاهـل المدينـة بـان يتـرك محالفـة النصارى بل ويطردهم من جيشه، الا انه لم يف بعهده لهم الامر الذي جعل اهل سرقسطة المسلمين مضطرين الى مراسلة الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٤٨٤-

---

[١] مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٦٠؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٣٦٤؛ الخالدي، أحمد، المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المنهل للنشر (عمان، ٢٠١٠م)، ص٢١٩ .

[٢] البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٧١؛ عبد الحارث، الرهائن السياسيون في الاندلس، ص٤١٤.

[٣] ابـن عـذاري، البيـان المغـرب، ج٤، ص٤٧-٤٨؛ العـامري، مبـاهج الانـدلس، ص٣٥٨ ؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الاندلس، دار النفائس، ط٣ (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ٤٥٤.

[٤] هو عبد الملك بن احمد بن يوسف بن احمد بن هود، عماد الدولة الجذامي، من امراء بني هود على سرقسطة توفي عام ٥١٣هـ. ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٤٨.

٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) المقيم في مراكش يدعونه لإسقاط حكم بني هود وتسلم الحكم في مدينة سرقسطة وبعد استفتائه للفقهاء استجاب لهذا الطلب وارسل الى قائده محمد بن الحاج وامره بالتوجه الى المدينة وتم له ذلك عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[١]

وقد كان لأهل مدينة قرطبة باعا في هذه الوسيلة الدفاعية وبخاصة في مرحلة الضعف المرابطي حيث ثار فيها ابن حمدين عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م الذي لم ير فيه اهل المدينة ما ينشدون لذلك اتصلوا بابي جعفر احمد بن عبد الملك بن هود (سيف الدولة) الذي استطاع طرد ابن حمدين واعتلاء حكمها لفترة وجيزة[٢].

وثار اهل مدينة غرناطة على التواجد المرابطي الذي كان تحت قيادة قاضيها ابن اضحى[٣]، فقد رأى اهل المدينة بوجوب ان ينصبوا حاكما على المدينة تكون له مهمتين الاولى التصدي المرابطين والثانية ادارة المدينة الثائرة فبعثوا الى أحمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة وايدهم بذلك قائدهم ابن الاضحى. الا ان هذه الثورة لم تستمر فقد استطاع الوالي المرابطي ميمون بن بدر بن ورقاء ان يسيطر على المدينة والتفاهم مع اهلها[٤].

خامسا: الدور الشعبي في طلب الصلح

يعد طلب الصلح والتهادن احد ابرز الوسائل الدفاعية على الرغم من انها تعكس عدم المقدرة العسكرية او الضعف. الا انها وسيلة ناجعة في

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٦-٤٧

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٦.

[٣] هو علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن احمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب من اهل العلم في غرناطة توفي عام ٥٤٠هـ. ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١١.

[٤] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٢ .

ابعـاد الكثيـر مـن الاخطـار المحتدمـة التـي لولاهـا ربمـا تكـون العواقـب وخيمـة بــاحتلال المدينــة واهــلاك الحــرث والنســل، ولــم تكــن هــذه الوســيلة مقترنــة بالزعمـاء السياسـيين فحسـب بـل ان بعـض المسـلمين فـي الانـدلس كـان لـه دور فـي هـذه الوسـيلة وابعـاد الاخطـار عـن بعـض المـدن بعـد ان سـمح ضـعف الواقــع السياســي للطبقــة الشــعبية فــي بعــض المــدن الاســلامية الاندلســية ان تكون لها الكلمة في ابعاد الاخطار المحدقة بالمدينة الاسلامية الاندلسية.

وكــان لهــذه الوســيلة دور فــي الــدفاع عــن مدينــة طليطلــة فــي عهــد يحيــى بــن اســماعيل بــن ذنــون الملقــب بالمــامون (٤٣٥ – ٤٦٧هـ/ ١٠٤٣– ١٠٧٤م) الـــذي اســـاء ادارة الـــبلاد بســـبب كثـــرة حروبــه مــع كــل مــن ابــن هــود صــاحب سرقســطة وابــن عبــاد صــاحب اشــبيلية[١]، الامــر الــذي اســتنزف طاقــات العبــاد والــبلاد بهــذه الصــراعات المســتمرة الا انــه ســرعان مــا تصــالح مــع المعتضــد بــن عبــاد (٤٣٣ –٤٦١هـ/ ١٠٤١– ١٠٦٨م) ومـــع ذلـــك فـــان الممالـــك الاســبانية اخــذت مأخــذها مــن مدينتــه حتــى كــادت طليطلــة ان تســقط بأيــديهم فــي عهــده[٢]، وكــان لســكان مدينــة طليطلــة كلمــتهم حيــث بعثــوا بعــض رؤســائهم وكبــرائهم الــى ســليمان بــن هــود (٤٣٨– ٤٧٤هــ/ ١٠٤٦– ١٠٨١م) لطلــب الصــلح والتهــادن بــين المملكتــين مــن اجــل

---

[١] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٧٧؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٥٤ .

[٢] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٧٨ .

التفـــرغ للحمـــلات المتكـــررة للممالـــك النصـــرانية ودفـــع اذاهـــا عـــن مدينتهم[١] .

وكـان لهذه الوسيلة مكـان فـي تـاريخ مسلمي قرطبـة فبعد السيطرة المرابطيـة على المدينـة حدثت ثورة ضد التواجد المرابطـي في المدينـة ونتيجـة لهذه الثورة عبر الامير علـي بـن يوسـف بـن تاشـفين (٥٣٧ – ٥٤٩هـ /١١٤٣ – ١١٤٥م) الـى الانـدلس عـام ٥١٥هـ/١١٢١م ووصـل الـى المدينـة وحاصـرها حصـارا شـديدا عازمـا دخولهـا بـالقوة والقضـاء علـى الثـائرين بـداخلها[٢]، ونتيجـة لهـذه الاخطـار المحدقـة بالمدينة قرر زعماء مدينـة غرناطـة وعلماؤها لمقابلـة الامير علي وكان من ابرز من تواجد في هذا الوفد هو الوليد بن ابي رشد، وكـان حديث الطرفين مركزا علـى ثورة مدينة قرطبة وفي هذا الوفد الشعبي، لعب على وتر الوصية التي اوصاها يوسف بن تاشفين (٤٨٤–٥٠٠هـ/ ١٠٩١– ١١٠٦م) لابنـه علـي قبـل وفاتـه ومـا حـوت مـن دعـوة الـى الاحسـان لاهـل قرطبـة، وتـم مـا رام اليـه اهـل قرطبـة حيـث انتهـى اللقـاء بالصلح بين الطرفين[٣].

وكانت لهذه الوسيلة الشعبية دور في حياة مدينة بلنسية التي رفعت لواء الثورة بقيادة قاضيها ابو عبد الملك بن مروان[٤] وكـان من نتائج هذه الثورة ان ساد الهرج والمرج في المدينـة الامر الذي ادى بالقاضـي ان يجتمـع مع الوالي المرابطـي عبد الله

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٩/٣؛ السرجاني، قصة الاندلس، ص٤٢٣ .

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٦٥.

[٣] ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٦٤؛ حسين، حمدي عبد المنعم محمد، التاريخ السياسي والحضـاري للمغرب والانـدلس فـي عصـر المـرابطين، دار المعرفـة الجامعيـة (الاسكندرية، ١٩٩٧م)، ص١٤٤.

[٤]ابو عبد الملك مروان بن عبد الله والي بلنسية وقاضيها والذي تسلم المدينة من قبل المرابطين عام ٥٣٧هـ ثم ثار فيها المتوفي عام ٥٧٨هـ. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٩١.

بن محمد بن غانية في المسجد الجامع للمدينة حيث تذكر اهل المدينة افضال المرابطين عليهم وتخليصهم من الهجمات النصرانية ، درءا للفتنة وابعادا لمرامي الشر واشراكه، وكان اجتماعهم يهدف الى الائتلاف والتعاون لحفظ الامن في المدينة[١].

والملفت للنظر ان هذا الامر مدعاة للإعجاب لما تبين من ثقل تحمل المسؤولية الذي يتضح في شخصية الثائر في المدينة ابو عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز وشخصية الوالي المطرود عبد الله بن محمد بن غانية درءا لما يترتب على الثورة من اخطار وتحديات من الممكن ان تقضي على وحدة المدينة وحريتها .

سادسا: طلب الدعم والاسناد

شهدت المدن الاسلامية في الاندلس الكثير من الضغوطات العسكرية سواء في مراحل الانحدار السياسي والعسكري او في غيرها من الضغوط. فكان للوسائل الشعبية الدور الابرز في التصدي لهذه الاوضاع الطارئة ولكن بوسائل مختلفة التي من بينها طلب الدعم والاسناد، وفي هذه الوسيلة تكون المدينة قد قامت بمدافعة الاخطار والتحديات المحيطة بها الا ان مجهوداتها العسكرية قد لا تكون كافية الامر الذي يضطر قادتها من العلماء او رجال الثورة لطلب الدعم والاسناد من قبل قوة اسلامية قريبة تكون ساندة لهذا التحرك الشعبي لإتمام النصر وزوال الخطر عن المسلمين في تلك المدينة الاندلسية.

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٨-٢١٩ .

وتتضح هذه الوسيلة في مدينة بلنسية التي ثارت على حاكمها القادر يحيى (٤٧٨-٤٨٥هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٢م) الذي سمح للقوات القشتالية بالدخول الى المدينة بقيادة الكمبيادور بل وادارة المدينة معه، فلم يكن امام سكان بلنسية سوى الثورة فنصبوا ابن الجحاف قاضي المدينة ومن علمائها لقيادتهم لمواجهة هذه المحن التي اصابت المدينة [١]، ومن اول ما اتخذه من وسائل هو اتصاله بقائد المرابطين طالبا منه محمد بن عائشة الدعم والاسناد لاهل بلنسية الذي رحب بهذه الخطوة وارسل اليه مددا عسكريا استطاع من خلاله ان يطيح بالقادر والقبض على ممثل الكمبيادور بالمدينة[٢].

وكان لهذه الوسيلة دور في عهد المرابطين في تاريخ مدينة سرقسطة فعندما كانت محاصرة من قبل النصارى حاول اهل المدينة ان يرسلوا لطلب الغوث والانجاد من القوات المرابطية التي كانت في ذلك الوقت تحت قيادة الامير تميم بن يوسف بن تاشفين وقد ذهب اليه كبار اهل المدينة لاسيما علماؤها الذين على راسهم الفقيه علي بن مسعود الخولاني[٣] ، وتباحثوا معه باسم اهل المدينة المحاصرة وبينوا له خطورة الموقف الذي وصل اليه في حصار المدينة وعلى الرغم من ان الامير تميم تقاعس عن اداء واجبه في حماية المدينة واهلها[٤]، فانها لم تستسلم واعاد قاضي المدينة

---

[١] ابن بسام، الذخيرة، ج٥، ص٩١؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص١٩٤.

[٢] ابن بسام، الذخيرة، ج٥، ص٩١؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص١٩٤.

[٣] هو علي بن مسعود بن علي بن مسعود بن إسحاق بن إبراهيم بن عصام الخولاني، كان فقيهاً مشاوراً حافظاً للمدونة بارعاً في الوثائق وله حظ وافر من الأدب توفِّي عام ٥١٨هـ. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج٣، ص٣٤٤ .

[٤] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج٣، ص٣٤٤ .

ثابت بن عبد الله[1] طلب الغوث من الامير تميم ، برسالة مؤثرة على لسان اهل المدينة يتوسلون ويتضرعون اليه لانقاذها وان لا ينكص ويخذلهم امام النصارى فاستجاب لهم[2] .

وعندما واجهت مدينة افراغة الجيش القشتالي الذي كان تحت قيادة الفونسو المحارب بحصار شديد عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م توجه عدد من سكان افراغة الى طلب الاسناد والدعم من يحيى بن غانية وطلبوا منه الانجاد والدعم المادي ليكونوا اصبر على الحصار وكان في خطابهم انذارا مبطنا حيث حوى على انذاره بانه لن لم يسع الى ما طلبوا منه سيسلموا المدينة الى الفونسوا ويعلنوا خضوعهم له، فسارع ابن غانية لانجاد المدينة[3].

ويعد ما ذهب اليه اهل افراغة في تهديدهم ليحيى بن غانية نوعا من الكبرياء الذي ميزهم عن غيرهم الامر الذي يفسر المقاومة الشديدة التي ابداها سكان افراغة لجيوش مملكة قشتالة بقيادة الفونسو المحارب الذي تعزز في حملة الانجاد التي قادها ابن غانية فانتصر اهل افراغة انتصارا كبيرا لم يسجل مثله منذ وقعة الزلاقة التي كسرت فيه الارادة التوسعية

---

[1] ثابت بن عبد الله بن ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم بن ثابت، أبو القاسم السرقسطي العوفي المتوفي عام ٥١٤هـ قاضي سرقسطة من بيت فضل وجلالة وعلم، وكان فقيها جليلا عريقا في النباهة والعلم . ابن الابار، التكملة، ج٢، ص٢٤٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٢١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٩٠ .

[2] عنان، دولة الاسلام، ج٣، ص٥٣٨ .

[3] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٦، ص٤١؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٧٠ .

القشـتالية لمـدة ليسـت قصـيرة وحـدثت هـذه المعركـة فـي ٢٣ رمضـان عـام ٥٢٨هـ/ ١١٢٣م[١] .

و فـي العصـر الموحـدي كـان لقـوى المسـلمين فـي الانـدلس دور فـي طلـب الاسـناد والـدعم الـذي دائمـا مـا كـان يـأتي بعـد اعـلان الثـورة فيكـون المسـلمون بحاجـة الـى مـن يقـف معهـم فـي محنـتهم المقبلـين عليهـا إذ مـن المتوقـع ان للسـلطات التـي ثـار المسـلمون عليهـا انهـا سـتكون لهـا ردت فعـل عسـكرية تهـدف الـى اعـادة الامـور الـى نصـابها الطبيعـي لـذلك يكـون التفكيـر بالأنجـاد مـن اول الوسـائل الدفاعيـة، ويتضـح ذلـك ممـا اقـدم اهـل لورقـة الثـائرون علـى ابـن مـردنيش ومـن فـي جيشـه مـن النصـارى علـى توجيـه صـريخهم الـى السـيد ابـي حفـص الموحـدي فـي مرسـية مستنصـرين بـه علـى عـدوه وعـدوهم ونجحـت هـذه الوسـيلة بانجـادهم ودخـول مدينـة لورقـة فـي احضان الدولة الموحدية[٢].

وكـان لهـذه الوسـيلة الدفاعيـة الشـعبية دورا فـي جزيـرة شـقر التـي ثـار اهلهـا بقيـادة ابـي بكـر احمـد بـن محمـد بـن سـفيان المخزومـي علـى النصـارى الـذين كـانوا بقيـادة ابـن مـردنيش ابـن مـردنيش الـذي حاصـر الجزيـرة واهلهـا الجزيـرة بشـتى الطـرق فارسـلوا بطلـب الانجـاد الـى الموحـدين الـذين اسـرعوا فـي تلبيـة طلـبهم فارسـلوا الـيهم ابـا ايـوب محمـد بـن هـلال الشـرقي الـذي تمكـن الـدخول الـى الجزيـرة وضـبط امورهـا واسـتطاع ان يفـك الحصـار عـن المدينـة

---

[١] ابو جعفر الضبي، بغية الملتمس، ص١٠٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٩؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٦، ص٤١-٤٢.

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٩٨-٢٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٢١ .

بعد شهرا من وصوله اليها ومما ساعد في نجدة الجزيرة ان مرض ابن مردنيش الامر الذي اضطره للانسحاب[١].

وبعد استقرار الاوضاع لصالح الموحدين في الاندلس واصبحت هناك وحدة استراتيجية بوجه الممالك الصليبية اتفق الطرفان على هدنة في بعض الاجزاء، الا ان الفونسو الثامن ملك قشتالة والكونت نونيو دي لارا قد نقضا الهدنة بهجومهما على قونقة التي تعد من اهم الحصون الامامة لمدينة بلنسية وضربوا حولها حصارا شديدا لم يكن امام اهلها سوى ارسال طلب النجدة الى الخليفة الموحدي ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) في مراكش الذي ارسل اليها النجدة والامداد العسكري الا انها لم تكن على قدر الخطر فلم تسجل اي تأثير على مجريات الاحداث بل استمر الحصار لمدة تسعة اشهر اضطرت المدينة الى التسليم بعد ان استنفذت كل الوسائل الدفاعية[٢].

وتكررت هذه الوسيلة الدفاعية في عهد الخليفة الموحدي الناصر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) حيث شهد عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م هجوما عنيفا من قبل الملك القشتالي الفونسو الثامن للثأر من هزيمة الارك على يد الموحدين فهاجم جيان وبياسة واسر الكثير من المسلمين حملهم الى طليطلة، وهاجم بيدرو الثاني ملك ارجون بلنسية واستولى على عدة حصون تابعة لها، مما يوضح ضعف الحاميات الموحدية التي لم تستطع القيام باقل واجباتها الدفاعية عن المدن الاسلامية الاندلسية، وكرد فعل اتجاه

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣١٩؛ عبيدات، الموحدون في الاندلس، ص٨٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١١ ؛ الكركجي، الازمات الاقتصادية في الاندلس، ص١١٠.

هـذ التصـعيد العسـكري عبـر اعيـان مـدن الشـرق الاندلسـي الـى عـدوة المغـرب وقـابلوا الخليفـة الموحـدي ابـي عبـد الله محمـد الناصـر (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٣م) مسـتغيثين بـه مـن اجـل القيـام بـالعبور بجيشـه الـى الانـدلس للـدفاع عـن اهلهـا المسـلمين ، وكـان مـن نتيجـة هـذه الاسـتغاثة الشـعبية ان عبـر الخليفـة الناصـر بنفسـه الـى الانـدلس فـي اول شـهر ذي الحجـة عـام ٦٠٧هـ/١٢١٠م[1] ودفـع الخطر الصليبي ولو بشكل مؤقت.

وكـان للتيـار الشـعبي فـي مدينـة اشـبيلية دور فـي طلـب الانجـاد والـدعم للمدينـة المحاصـرة مـن قبـل مملكـة قشـتالة وكـان هـذا الطلـب مقـدما لزعمـاء المغـرب وجـاء عـن طريـق قصـيدة بعثهـا اهـل اشـبيلية مـن نظـم شـاعرها ابـراهيم بـن سـهل الاشـبيلي الاسـرائيلي[2] الـذي جـاء في مطلعها[3]:

وِرْداً فَمَضمونٌ نجاحُ المصدرِ هيَ　　عزة الـدنيا وفوزُ المحشرِ

نادى الجِهـادُ بِكُمْ لنصرٍ مُضْمَرٍ　　يبدو لَـكُمْ بَينَ العتِاقِ الضُمَّرِ

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٣٠.

[2] هـو ابـو اسـحاق إبـراهيم بـن سـهل الإسـرائيلي الإشـبيلي، اليهـودي الاصـل اسـلم فـي مقتبـل حياتـه، ولـد فـي اشـبيلية ثـم انتقـل الـى العديـد مـن المـدن الاندلسـية بسـبب الاوضـاع السـيئة والتقلبـات التـي طـرأت علـى تلـك المـدن، عـرف بأمكانياتـه الكبيـرة بالشـعر تـوفي عـام ٦٤٦هـ وقيـل عـام ٦٤٩هـ. الـذهبي، تـاريخ الاسـلام، ج١٤، ص٩١١؛ الكتبـي، فـوات الوفيـات، ج١، ص٢٠؛ ابـن تغـري بـردي، المنهـل الصـافي، ج١، ص٦٧؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٤٢.

[3] الطبـاع، عمـر فـاروق، ديـوان ابـن سـهل الاندلسـي، دار الارقـم بـن ابـي الارقـم (بيـروت، ١٤١٩هـ)، ص ٧٤ .

ولنفس المغزى نظم الشاعر ابو موسى هرون[1] يصف بها محنة اهل اشبيلية وينادي بها اهل المغرب ويدفعهم لنجدتها وجاء في مطلعها[2]:

يا حمص أقصدك المقدور حين رما   لـــم حق فيك الردى إلا ولا ذمما

جرت عليك يد الدهر ظــــــالمة   لا يعدل الدهر في شيء إذا حكما

وحين كانت مدينة بلنسية تحت حصار عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م من قبل ملك ارجون خايمي[3]، لم يكن امام سكانها المسلمون الا ان يرسل طلب بالغوث والانجاد الى القوى الاسلامية التي من الممكن ان يكون لديها حلول للواقع الاسلامي في الاندلس بشكل عام ومدينة بلنسية بشكل خاص وتوجهوا بهذا الطلب الى ابي زكريا (٦٢٦-٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م) زعيم الدولة الحفصية، وقد كلف لحمل هذا الطلب المؤرخ المشهور ابن الابار الذي عبر الى تونس وقابل اميرها وناشده باسم الاسلام ان يبادر لانجاد المسلمين في الاندلس وخاطبه بقصيدة جميلة جاء في مطلعها[4]:

أَدْرِكْ بِخَيْلِــــــــــكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلُسَاً   إنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجاتِها دَرَســـــَا

---

[1] هو الشاعر ابو موسى هرون بن هرون الاشبيلي. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٥٩.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٥٦- ٤٥٩؛ زرقان، عزوز، شعر الاستصراخ في الأندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٨م)، ص١٤٥.

[3] الجارم، علي، قصة العرب في إسبانيا، دار كتاب (الامارات، ٢٠١٤م)، ص ١٣٠-١٣١؛ ابو مصطفى، كمال السيد، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية: في العصر الاسلامي (٥٩- ٥٩٤ هـ/٤١٧-١٠١١ م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الاسكندرية للكتاب (الاسكندرية، بلا.ت)، ص١٣٥ .

[4] المقري، نفح الطيب، ٤٥٧/٤؛ ينظر: ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف (مصر، ١٩٦٠م)، ج٨، ص٣٨٨ .

وَهَبْ لها مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ   فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عزُّ النَّصْر مُلْتَمَسا

ويبدو ان ابا زكريا (٦٢٦-٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م) زعيم الدولة الحفصية استجاب لهذا النداء على حد راي المقري[١].

وتكررت هذه الوسيلة في مدينة مالقة عندما اقدمت الجيوش القشتالية على محاصرة مدينة مالقة برا وبحرا ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م ونتيجة اطالة امد الحصار قرر اهل المدينة طلب الدعم والاسناد من سلطان مصر الاشرف قايتباي[٢] الذي لم يقدم الى وسيلة ناجعة تحد من خطورة الهجمة القشتالية بل وجه سفارات الى الممالك النصرانية في اوربا مهددا لهم بالانتقام للمسلمين في الاندلس[٣].

سابعا: الدور الشعبي في اعطاء الاتاوات

كان اعطاء الاتاوات وسيلة دفاعية متبعة في العصور الوسطى اسهمت في كثير من الاحيان في رفع الاخطار عن المدن الاسلامية الاندلسية المهددة من قبل قوى خارجية، فعلى الرغم من انها تعطي انطباعا بالتبعية و والانصياع الا ان حراجة الموقف والخطر الكبير على المدينة الاسلامية كان سببا ملحاً كافياً لقبولها وعلى الرغم من ان هذه الوسيلة الدفاعية تحتاج الى قرار سياسي من قبل السلطات الحاكمة في المدينة الا

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٥٧؛ موسى، محمد حسن عقيل، استجابات اسلامية لصرخات اندلسية، دار الاندلس الخضراء (جدة، ١٤١٥هـ)، ص٧٥.

[٢] هو قايتباي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري، أبو النصر سيف الدين، سلطان الديار المصرية، من ملوك الجراكسة. الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٨٨ .

[٣] فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الاحمر، دار الجيل (بيروت، ١٤١٣هـ)، ص٥٢.

ان الشعب في مرات عديدة كان له الكلمة فيها بعد ان يأس من الوسائل الدفاعية التي لم تعد تجدي نفعا واصبح اعطاء الاتاوة ضمانا للحفاظ على ارواح المسلمين وممتلكاتهم في داخل المدينة الاسلامية الاندلسية.

ومن المدن التي كان لها نصيب مما تقدم ذكره هي مدينة قونقة التي كادت ان تسقط بيد الملك الارجوني سانشو راميرز (شانجة راميرز) الامر الذي جعل اهلها مضطرين ان يفتدوا مدينتهم ومن قبلها حياتهم بالاتاوة التي وصفت بانها مال وفير[1].

وكان لمدينة بلنسية هي الاخرى نصيب من هذه الوسيلة الدفاعية فعندما تمكن اهلها من الاطاحة بالزعامة السياسية للمدينة المتمثلة بيحيى القادر (٤٧٨-٤٨٥هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٢م) بتهمة الارتماء باحضان قشتالة، وقيامهم بتنصيب ابن الجحاف لحركتهم هذه[2]، لم يستطع البلنسيون من الصمود بوجه القوات القشتالية لذلك قرروا فتح ابواب التفاهم والمحاورة من اجل الخروج باقل الخسائر الممكنة، فاتفق الطرفان على ان تخرج الفرق المرابطية التي ارسلها ابن عائشة لدعم حركة اهل بلنسية، ومقابل ذلك ان يكون ابن الجحاف قائدا للمدينة، وان يدفع اتاوة سنوية للكمبيادور على ان ينسحب الجيش القشتالي الى نقطة اتفق عليها بين الطرفين[3].

وعلى الرغم من ان البلنسيين وافقوا على اعطاء الاتاوة الى قشتالة وتوثيق العهد بين الطرفين الا ان الكمبيادور لم يف بوعوده للمسلمين بل نقض هذا الاتفاق واخذ يضايق المسلمين مرة اخرى من خلال الهجوم على اطراف المدينة[4] .

---

[1] عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص١٠٨ .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ج٥، ص٩١؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص١٩٤.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤-٣٥ .

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٥ .

وقد شهد التاريخ الاندلسي في عهد السيطرة الموحدية مثل هذه الوسيلة الدفاعية الشعبية، فبعد خسارة المسلمين في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م توجهت انظار الفونسو الى مدينة ابدة الاسلامية والتي قاومه اهلها مقاومة شديدة، وبعدما يأسوا من المقاومة عرضوا عليه ان يعطوا اتاوة سنوية كبيرة جدا بلغت الف الف دينار على ان يترك المدينة وان يترك للمسلمين شعرائهم الدينية فوافق الفونسو على هذا العرض لمدة من الزمن ثم اعرض عنها بضغط من الاحبار فاقتحم المدينة فقتل كثيرا من اهلها وشرد بعضهم[١].

ثامنا: البيعة واعلان الطاعة

على الرغم من ان اعلان الطاعة من الامور السياسية البحتة الا ان التدخل الشعبي في ارساء هذه الوسيلة يوضح تقصير الواجهة السياسية للمدينة الاسلامية الامر الذي يجعل اهل المدينة يعلنون طاعتهم او بيعتهم للقوة السياسية الاكبر والقادرة على حمايتهم وادارتهم ادارة افضل مما هم عليه .

وتتضح هذه الوسيلة في الحقبة التي سبقت انهيار عصر ملوك الطوائف وبدايات انحسارهم السياسي على يد المرابطين، ومن ذلك ما قام به اهل مدينة غرناطة اثناء عبور الامير المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) حاملا معه نيته في القضاء على ملوك الطوائف عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨، حيث قام اهل الحل والعقد من اعيان المدينة وفقهائها بالتوجه الى المحلة التي استقر فيها يوسف بن تاشفين بعد خلعهم لعبد الله بن بلقين (٤٦٥ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م) وبايعوه واعلنوا

---

[١] عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٢٣ .

طاعتهم له وانصياعهم لأمره وبذلك سهلت مهمته في دخول غرناطة مع قادته وجيشه[1].

و تكررت هذه الوسيلة الشعبية عشية نشوء الدولة الموحدية وسيطرتها على المدن الكبرى في المغرب الاسلامي، وقابله الضعف الكبير للمرابطين في الاندلس وعدم مقدرتهم الدفاع عن المدن الاسلامية فأسهمت هذه الاسباب بتوجه اهل مدينة اشبيلية الى مراكش التي اصبحت مستقرا للخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨-٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) وكان الوفد مؤلفا من عدد من اعيان وعلماء المدينة الذين من ابرزهم القاضي ابن العربي[2]و الخطيب ابو عمر بن الحجاج[3]، وابو بكر بن الجد الكاتب[4] ، وابو جعفر بن صاحب الصلاة[1]، فنقلوا بيعة اهل اشبيلية

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٣، ص٢٩٠؛ طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري ، ص٢١٩-٢٢٠؛ العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية (بيروت، بلا.ت)، ص٢٥٤-٢٥٦؛ صيودة، منال، الجباية في عهد المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦- ١١٤٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٨م، ص٢٧ .

[2] ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري له رحلات علمية حتى وصل الى مدينة بغداد عام ٤٩٠هـ وسمع من مشائخها وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة منها العلوم الشرعية والادب والشعر. ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ)، إكمال الإكمال، تح: عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة ام القرى (مكة المكرمة، ١٤١٠هـ)، ج٤، ص٢٩٢ ؛ ابن سعيد الاندلسي، ابو الحسن علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ)، رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس (دمشق، ١٩٨٧م)، ص٦٠.

[3] هو محمد بن عمرو بن احمد بن محمد بن حجاج اللخمي من اهل اشبيلية ولي الخطابة في اشبيلية بعد وفاة ابيه. ابن الابار، التكملة، ج٢، ص٥٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٤، ص٧٥٣ .

[4] هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري اللبلي المالكي المشهور بلقب أبو بكر بن الجد، من الحافظ والفقهاء والخطباء البلغاء ومن اعلام الفقه المالكي في

للخليفة الموحدي الامر الذي افرح عبد المؤمن كثيرا واغدق عليهم بالجوائز والهبات وكانت هذه السفارة الشعبية الاشبيلية في عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٢].

وكان للجهد الشعبي في مدينة وادي اش دور في هذه الوسيلة الدفاعية حيث ثارت على التواجد المرابطي الذي قاده احمد بن محمد بن ملحان الطائي (المتأيد بالله)، الذي واجه خطرا كبيرا كاد ان يطيح بالمدينة قاده ابن مردنيش الذي كانت تسانده قوة من النصارى، وامام هذا الخطر اضطر ابن ملحان اعلان طاعته للموحدين عام ٥٤٦هـ/١١٥١م لكي يجد ساندا له في صراعه مع ابن مردنيش[٣].

و اعتمد اهل مدينة شريش على هذه الوسيلة الشعبية بعد ثورتها التي قادها ابو الغمر بن السائب بن عزرون لايجاد الداعم لثورتهم عبر ممثلوهم البحر الى المغرب للقاء الخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨- ٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م وبايعوه بالطاعة[٤]، وفي نفس العام وصل الى عبد المؤمن زعيم ثورة قرطبة ابو جعفر بن حمدين معلنا طاعته اليه[٥].

العصر الموحدي والمتوفي عام ٥٨٦هـ. ابو جعفر الضبي، بغية الملتمس، ص٩٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص١٧٧؛ ابن بامخرمة، قلادة النحر ، ج٤، ص٣٣٤.

[١] احمد بن الحسن بن محمد بن الحسن القشيري من اهل قرطبة المشهور بابن صاحب الصلاة. ابن الابار، التكملة، ج١، ص٦٨ ؛ ابن عبد املك المراكشي، ج١، ص٢٨٣ .

[٢] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص٢٢٤؛ الجميلي، محمد كريم واخرون، تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب دراسة سياسية حضارية، مكتبة نفح الطيب (بغداد، ٢٠١٨م)، ص١١٠.

[٣] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٨٢ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٠٤-١٠٥ ؛ ابن ابي الزرع، الروض القرطاس، ص١٨٨ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ٢٢٤.

[٥] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٠٤-١٠٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢ص٢٤٢.

وفي عام ٥٤٦هـ/١١٥١م وفد الى الخليفة الموحدي عبد المؤمن (٥٢٨-٥٥٩هـ/ ١١٣٣-١١٦٣م) وفود شعبية كبيرة من المدن الاسلامية الاندلسية الى المغرب بلغوا نحو خمسمائة كان اغلبهم من العلماء والقضاة والقراء وشرحوا له الواقع المزري الذي تعيشه المدن الاسلامية في الاندلس عموما ومدينة قرطبة خصوصا لاسيما بعد الهجمات النصرانية المتكررة على المدينة، وكان السعي منهم حثيثا لمد يد العون وارسال حملة عسكرية لانجاد الاندلس[١].

وقد اعلن اهل حصن ألش والحصون المجاورة جميعها البيعة والطاعة للموحدين باعتبارهم القوة الاسلامية الاقوى والاجدر بالبيعة ونتيجة لموقفهم الايجابي من الدعوة الموحدية منحوا جميعا الامان[٢].

على الرغم من ان مدينة بلنسية قاد ثورتها قاضيها ابو بكر بن عبد العزيز الا انه لم يحسن التصرف مع اهلها الامر الذي دفعهم للثورة عليه مما اضطره الى الهرب الى مدينة المرية وقام اهل المدينة بإعلان بيعتهم لعبد الله ابن عياض[٣] والذي احسن ادارة امور المدينة وحسنت في عهده احوالها[٤].

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٩٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٢٢-١٢٣؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص٢٣٤؛ حداد، مزوزية، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية ٥١٥-٦٦٨هـ/ ١١٢١-١٢٦٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣م، ص٢٢٧.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨٨ .

[٣] هو أبو محمد عبد الله بن عياض، احد اهم رجالات الشرق الاندلسي الذي اشتهر بجهاده للممالك الاسبانية النصرانية قبيل دخول الموحدين الى الاندلس قتل عام ٥٢٩هـ في احدى المعارك مع الممالك النصرانية. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ص٢٠، ص٢٣٧.

[٤] ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٢٠-٢٢١ .

والملفت للنظر ان هذه الوسيلة كانت تأتي دائما بعد سوء الاوضاع في المدينة الاسلامية الاندلسية وان الشعب يكون مضطرا لإعلان طاعته الى قيادة جديدة تكون اقوى من سابقتها ويكون غالبا ما يتبع هذه الوسيلة استقرارا على كافة الاصعدة لاسيما السياسية منها والادارية.

وتكررت هذه الوسيلة عند وفاة الخليفة الموحدي عبد المؤمن عام ٥٥٨هـ حيث اسرعت الوفود الشعبية الى ولي العهد السيد ابي يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) لبيعته خلفا لابيه واعلان طاعتهم له، وكانت اول الوفود وصولا هو وفد مدينة اشبيلية برئاسة الفقيه الحافظ ابو بكر بن الجد و محمد بن المعلم الملقب بصاحب المخزن[١].

وكان لعدم الاستقرار السياسي الذي رافق مرحلة التفكك والانحلال الموحدي دافع للتقلب في اعلان الطاعة والتبعية، مما اضطر اهل اشبيلية بالاجتماع واتخاذ قرارا ببيعة محمد بن هود الجذامي (٦٢٠ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣- ١٢٣٧م) مستغلين مغادرة الوالي الموحدي ابو العلى الى عدوة المغرب فأوفد اليهم ابن هود اخاه عضد الدولة واليا على المدينة وقد اتخذ اهل ماردة وبطليوس نفس الوسيلة الشعبية[٢].

وبعد موت محمد بن يوسف بن هود (٦٢٠ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣- ١٢٣٧م) وسقوط مدينة قرطبة على عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م يد ملك قشتالة فرناندو الثالث[٣]

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٧ .

[٢] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢١٦ .

[٣] فرناندو الثالث: او فرديناند الثالث ولد في مدينة سمورة عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م وهو ابن اخر ملوك مملكة ليون الفونسو التاسع التي كانت منفصلة عن مملكة قشتالة، ووالدته برنغيلا ملكة مملكة قشتالة واستلم سدة الحكم بعد وفاة والده عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ليكون ملكا على المملكتين المتحدتين ليون وقشتالة حتى وفاته في اشبيلية عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م.

اقدم اهل اشبيلية بقيادة ابي عمرو بن الجد على وسيلة دفاعية شعبية وهي العودة الى طاعة الموحدين واعلان طاعتهم الى الخليفة الموحدي ابي محمد عبد الواحد الرشيد (٦٣٠- ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢- ١٢٤٢م) ، وارسلوا من اجل تحقيق هذه الوسيلة وفدا نيابة عن اهل المدينة الى الحاكم الموحدي عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وحذا حذوهم اهل مدينة بلنسية، التي ذهب منها وفد الى الخليفة الموحدي واعلان البيعة له[١] .

ونستطيع تفسير ما ذهبت اليه بعض سكان المدن الاسلامية بالذهاب في بيعتهم الى الموحدين بعد ان راى الشعب الاندلسي سوء الادارة التي انتهجها القادة الشعبيون الذين ثاروا بوجه الموحدين بالاضافة الى ان العودة الى اهم وسيلة دفاعية للمدن الاندلسية هو التصالح مع المغرب الاسلامي الذي كان يعتبر في القرون السبعة التي مرت بعمر الاندلس العسكر المتاخر الذي يدعم المدن الاسلامية بالجيوش المنجدة بوجه الممالك الاسبانية المتربصة بهم شرا.

وكان لمدينة اشبيلية نصيب الاسد من هذه الوسيلة الشعبية بالمقارنة مع المدن الاسلامية الاندلسية الاخرى وان الخروج من كنف الموحدين جاء بسبب عدم مقدرتهم في تقديم الدعم العسكري الكافي لمدينة اشبيلية، الامر الذي دفع اهل اشبيلية بالضغط على زعيمهم ابي عمرو بن الجد من اجل اعلان الطاعة والبيعة الى الدولة الحفصية الفتية ذات القوة والمنعة متبعين في ذلك سياسة ابن الاحمر وابي جميل زيان فضلا عن ذلك ان اهل اشبيلية ارسلوا وفدا يمثلهم الى الخليفة

---

childs kohn, dictionany of wars,New York, 1999, (P. 463); E.Michael Gerli, Medieval Iberia: An Encyclopidea, Britain, 2008 ,(p.162)

[١] السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٢٤٥.

الحفصي ابي زكريا (٦٢٦-٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م) الذي رحب ببيعتهم وارسل اليهم واليا ينوب عنه[١] .

ومن الغريب ان اهل اشبيلية اعادوا الكرة عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢ ليعلنوا طاعتهم الى الخليفة الموحدي ابي الحسن علي السعيد بن المأمون (٦٤٠- ٦٤٤هـ/ ١٢٤٢- ١٢٤٦م)، بعد ان استعاد الموحدون في عهده بعض القوة والمنعة فارسلوا وفدا شعبيا لحمل بيعتهم اليه وكان من ضمن هذا الوفد احمد بن محمد البلوي[٢] الذي مدح الخليفة السعيد بقصيدة وخطبة بارعة زادت من موقف اهل المدينة مكانة وتشريفا[٣].

تاسعا: الجهد الشعبي في احكام التحصينات الدفاعية

على الرغم من ان التحصينات الدفاعية تتطلب مجهودات كبيرة واستقرارا سياسيا واداريا في المدينة الا ان المسلمين في الاندلس كان لهم دور في مواجهة الاخطار التي تتربص بمدينتهم وبكافة الوسائل ومنها التحصينات الدفاعية، ومن ذلك ما قام به البلنسيون ابان مقاومتهم للتسلط القشتالي الهادف الى تدمير مدينتهم، وبعد نجاح ثورتهم بقيادة ابن الجحاف ومسك زمام المبادرة وطرد القشتاليين خارجها عام٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، عملوا على تحصينها عسكريا من خلال التحشيد العسكري او بناء اسوار

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٥٤ .

[٢] احمد بن محمد البلوي القضاعي، من علماء مدينة اشبيلية واعلامها ومولده فيها عام ٥٧٥هـ. ابن منصور، اعلام المغرب العربي، ج٤، ص١٤٦ .

[٣] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص١٧١-١٧٢.

وتصليح ما تضرر منها الامر الذي جعل المدينة مستعدة للحصار الذي كان متوقعا على يد الكمبيادور[1].

ولم يقتصر هذا المجهود الشعبي المتميز على مدينة بلنسية فحسب بل كان لسكان قرطبة في العهد المرابطي دور في مثل هذه الوسيلة الدفاعية فعندما وقفت السلطات المرابطية على ضعف الوسائل الدفاعية للمدن الاسلامية قرر الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧ - ٥٤٩هـ /١١٤٣ - ١١٤٥م) بعد استشارة الفقهاء القيام بتسوير المدن[2]، وكان لقرطبة طابعها الخاص في بناء اسوارها فعندما اصبح التسوير طابعا اداريا تبنى الشعب هذه المهمة حيث تولى اهل المدينة اصلاح اسوارها وترميمها والعودة بها الى سابق عهدها من المتانة والتحصين[3].

واقتدى اهل مدينة اشبيلية بهذه المبادرة فاسهموا ماديا بسد جميع نفقات التحصين واقيمت الاسوار واكتملت بجهدهم واموالهم[4]، وفي مدينة المرية تولى مهمة اصلاح اسوارها رجل من اهلها يسمى ابن العجمي وكان موقف اهل المدينة مساعدا لمهمة

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧-٢٨ ؛ ابن كردبوس، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، ج١، ص٤١٤.

[2] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٦٤ ؛ اعراب، مع القاضي ابي بكر بن العربي، ص٨٦ .

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤-٦٥ .

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٥ .

ابن العجمي فقد جمعوا اموالا كافية لها واصلحت الاسوار واصبحت على اتم وجه[1]

وقد كان لاهل مدينة بلنسية دور في تحصين مدينتهم فعند ثورتهم على الحكم المرابطي بقيادة (ابو عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز) الذي تعاون مع ثوار مدينة مرسية و قادهم ابن ابي جعفر محمد بن عبد الله لصد الهجمات المرابطية، فاستقرت الامور له وانظمت اليه شاطبة التي عمل على تحصينها وتنظيم امورها[2].

عاشرا: الزخم العسكري الشعبي

من ابرز الوسائل الدفاعية الممكنة التي تكون ذات تأثير على مجريات الاحداث هو الاهتمام بالجانب العسكري لذلك كان للمسلمين في داخل مدنهم سعيا حثيثا بهذا الاتجاه، وفضلا عن هذا يأتي الجهد العسكري الشعبي الذي يتمثل في هيئة كتائب عسكرية تتكون من ابناء المجتمع المختلفة بقيادة وجهاء المدينة او زعمائها الدينيين من العلماء والفقهاء وعلى الرغم من اهمية هذا الجانب الا ان عدم الانضباط قد يكون هو الصبغة الطاغية على مثل ذلك الجهد الامر الذي يلزم الكثير من الضبط والجهد الاداري.

فعندما تسلم البلنسيون قيادة مدينتهم بعد نجاح ثورتهم، قام قائدهم ابن الجحاف بانشاء حشود عسكرية من ثلاثمائة فارس من المرابطين

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤؛ قسمية، اسماء، العمارة العسكرية في بلاد الاندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين القرن ٥-٧هـ/ ١١- ١٣م، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٧م، ص٣١.

[2] ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢١٢-٢١٤.

وغيرهم من المجاهدين والمتطوعين تكون مسؤوليتها مقاومة اي تحرك قشتالي محتمل على اطراف المدينة واحوازها[١] .

ولم تكن هذه الوسيلة الدفاعية مقتصرة على القوة الشعبية المتواجدة في داخل المدينة فحسب بل كانت هناك مشاركات شعبية خارجية تهدف لانجاد المسلمين في مدينة اخرى.

ومن ذلك الجهد الشعبي للمدن الاندلسية لاسيما قرطبة وغرناطة ومرسية واشبيلية لمحاولة انجاد مدينة سرقسطة عن طريق المشاركة الفاعلة في الحملة العسكرية التي قادها ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف والي اشبيلية لنجدة سرقسطة عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م[٢] التي سميت معركة قتندة ومما يدل على الزخم الشعبي العسكري في هذه المعركة هو استشهاد عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين اشتركوا في هذا الجهد الشعبي و من ابرزهم العلامة ابو علي الصدفي[٣]، و ابو عبد الله بن الفراء[٤] وغيرهما الكثير[١].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨ .

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٦ .

[٣] هو أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة من قضاة الاندلس ومن و له رحلة طويلة في طلبه، وما يدل على سعة مداركه انه أخذ عن مئة وستين شيخا موزعين في بلاد مصر والعراق والشام،. سجن لانه رفض تولي القضاء في مدينة مرسية التي اوكلها اليه المرابطين. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٥، ص٣٦٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٧٦؛ السودوني، زين الدين قاسم بن (ت: ٨٧٦هـ)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان (صنعاء، ١٤٣٢هـ)، ج٣، ص٤٣٨ .

[٤] أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا بن الفراء الأندلسي قاضي مدينة المرية ومن كبار علماء الفقه المالكي المالكية في الاندلس، كان تقيا ورعا زاهدا

وكان للتحشيد الشعبي دور عندما استنفر العادل الموحدي الناس للخروج للقاء العدو فاحتشدت عنده حشود كبيرة جدا، فسارت هذه الجموع نحو النصارى حيث التقوا معهم بالقرب من طلياطة[٢] في شهر جمادي الاولى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، الا ان المسلمين خسروا في هذه المعركة بسبب الجموع العامة الكثيرة في الجيش المعادي[٣].

وعلى الرغم من خسارة هذه المعركة الا ان التيار الشعبي نجح في تحشيد العدد الكبير من فئات الشعب وبذلك سجلت الوسائل الشعبية انتصارا على الرغم من خسارة الوسائل العسكرية للمعركة الدفاعية عن المدن الاندلسية الاسلامية الاخرى.

وتمثلت هذه الوسيلة الدفاعية الشعبية في اهل مدينة اشبيلية عندما هاجمها البياسي عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م وحاصرها حصارا شديدا فخرج اليه واليها ابو العلاء الذي سانده في ذلك حشد المدينة العسكري الذي كان له دور في هزيمة البياسي وجموعه وعاد الى مكان منطلقه مهزوما ومنكسرا[٤].

صالحا قوالا للحق مقبلا على الاخرة مجاهدا في سبيل الله تعالى. ابن بشكوال، الصلة، ص٥٤٢؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص٢٠٧ .

[١] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٦٦/٨؛ بلغيث، محمد الامين، الحياة الفكرية بالاندلس في عصر المرابطين (٤٧٩-٥٣٩هـ/ ١٠٨٥- ١١٤٤م)، دار المدار الاسلامي (بيروت، ١٤٢٥هـ)، ص٢٦١.

[٢] ناحية بالأندلس من أعمال إستجة قريبة من قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٩/٤.

[٣] الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥ .

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤٤ .

وشـهدت مدينــة جيــان مثــل هــذه الوســيلة الدفاعيــة الشــعبية عنــدما هاجمهــا فرنانــدو عــام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م وضــرب عليهــا حصــارا شــديدا وكــان للشـعب الجيـاني حشـد عسـكري نفـذ غيـر مـرة عمليـات خاطفـة ضـد القـوات المحاصــرة كلفتهــا خســائر كبيــرة بــين قتلــى وجــرى فضــلا عــن الخســائر المادية[١].

وواجــه ســكان مدينــة اشــبيلية الحملــة القشــتالية التــي اســتهدفت هــذه المدينــة فشــكلت زخمــا عســكريا شــعبيا تبنــاه عــدد مــن القــادة الشــعبيين الــذين كــان لهــم دور فــي صــمود المدينــة لمــدة خمســة عشــر شــهرا ومــن هــؤلاء القــادة، القائــد شــفاف[٢] ويحيــى بــن خلــدون[٣] ومسعود بن خيار[٤].

الحادي عشر: دور العلماء في طلب النجدات والاستغاثات

تعـد النجـدات لاسـيما العسـكرية المهمـة احـدى اهـم الوسـائل الدفاعيـة التـي اعتمـد عليهـا المسـلمون فـي دفـع العـدو الطـامع عـن مـدنهم الاندلسـية

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥٧١ .

(٢) هو احد الشخصيات المشهورة في مقاومة الحركات العسكرية القشتالية المستهدفة للمدن الاسلامية لاسيما مدينة اشبيلية واختلفت المصادر في تسميته منهم من ذكره (شفاف) واخرين ذكروه باسم (شقاف) . ينظر: عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٤٧٨.

(٣) هو يحي بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن خلدون، مؤرخ مشهور له كتاب في التاريخ اسماه (بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد) المتوفي عام ٧٨٠هـ. ابن عبد الحي، ابو العباس احمد بن عبد الحي (ت: ١١٢٠هـ)، الدر النفيس والنور الانيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس، تح: محمد بوخنيفي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٥م)، ج١، ص١٣٤ .

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٩٤ .

وكـان للعلمـاء المسلمين الاندلسيين دور فـي هـذه الوسـيلة علـى اسـاس انهـم مـن الفئــة المتميــزة فــي المجتمــع الاندلســي كــان لهــم دور بالتــأثير علــى الفئــات السياسـية الاخـرى و الشـعوب الاندلسـية علـى حـد سـواء الامـر الـذي دائمـا مـا كـان نتيجتـه اعـداد حمـلات نجـدات او اعـداد فـرق المطوعـة والمجاهـدين الـذين كــان لهــم دور مميــز ومشــهود فــي تغيــر مجريــات الاحــداث وحســم الصــراع لصالح المدن الاسلامية الاندلسية.

ونتضـح هـذه الوسـيلة الدفاعيـة فـي عهـد ملـوك الطوائـف عنـدما بلـغ التهديـد القشـتالي اقصـاه لمدينـة طليطلـة فـنهض قاضـيها كبيـر علمـاء الانـدلس فـي زمانـه ابـو الوليـد البـاجي[1] ، فطـاف بالولايـات والقواعـد والمـدن الاندلسـية محـذرا ومنـذرا مـن الخطـر المحـدق بهـم، واهـاب بملـوك الطوائـف وسـكان المـدن الاندلسـية بضـرورة نجـدة مدينـة طليطلـة التـي تعـد حـاجزا فـان سـقطت بيـد قشـتالة سـيكون الخطـر مهـددا للجميـع، ويتضـح ذلـك بقـول ابـن الابـار: ((ينـدبهم إِلَــى لــم الشــعث ومدافعــة الْعَــدو وَيَطــوف عَلَـيْهِم وَاحِـدًا وَاحِـدًا وَكلهــمْ يصغي إِلَى وعظه))[2].

---

[1] هـو ابـو الوليـد سليمان بـن خلـف بـن سـعد بـن ايـوب الاندلسـي البـاجي . ابـن كثيـر، أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثيـر (ت: ٧٧٤هــ)، البدايـة والنهايـة، تـح: علـي شـيري (بيـروت، ١٩٨٨م)، ج١٢، ص١٥٠؛ ابـن الملقـن، سـراج الـدين أبـو حفـص عمـر بـن علـي بـن أحمـد الشـافعي المصـري (ت: ٨٠٤ هـ)، العقـد المـذهب فـي طبقـات حملـة المــذهب، تــح: ايمــن نصــر الازهــري، دار الكتــب العلميــة، (بيــروت، ١٤١٧هـ)، ص٤٠٦؛ نــويهض، عــادل، معجـم المفسـرين مـن صـدر الإسـلام وحتـى العصـر الحاضر، مؤسسة نويهض للنشر، ط٣ (بيروت، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢١٥.

[2] ابـن الابـار، الحلـة السـيراء، ج٢، ص٩٨ ؛ نسـرين، رزايقيـة، دور الفقهـاء فـي عصـر ملــوك الطوائــف ٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١م (ثقافيــا- اجتماعيــا- سياســيا)،

وكان لهذه الوسيلة موعدا اخر لكن مع مدينة بلنسية التي حكمها ثوارها بعد الاطاحة بيحيى القادر (٤٧٨-٤٨٥هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٢م) عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م تحت قيادة ابن الجحاف فبعد ان غلقت بلنسية ابوابها بوجه القوات القشتالية التي كانت تحت قيادة الكمبيادور، فبعث بصرخته واستغاثاته الى المرابطين ممثلين بقائدهم العسكري محمد بن عائشة[1]، الذي على الرغم من ان موقفه كان الى جانب اهل بلنسية وابن الجحاف ان الاجراءات لم تكن كافية لتخليص المدينة من هذا الخطر الداهم[2].

وكان للعلماء والفقهاء في الاندلس دور في محاولات معالجة الوضع المتردي الذي وصل اليه الحال في عصر ملوك الطوائف حيث اصبحت الممالك الاسبانية تهدد اغلب مدن المسلمين الاندلسية وامام هذا الخطر قام علماء الاندلس لاسيما الفقهاء منهم بارسال الكثير من الكتب الى الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) من اجل دعوته لانجادهم من الخطر الداهم المحيط بهم في الحقبة التي سبقت عبور ابن عباد الى المغرب[3].

وبما لا يقبل الشك ان هذه الكتب التي وصلت الى الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) اسهمت بشكل مباشر في اقدامه على العبور الى الاندلس بالجيوش المرابطية لان هذه الكتب الغير رسمية مثلت تطلعات المسلمين في الاندلس الذين لم يثقوا بالقيادات السياسية التي

رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي ١٩٤٥، ٢٠١٨م، ص١٠٥

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٧ .

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨ .

[3] عبد الرحمن، حضارة الأندلس، ص٩٠؛ البهيجي، تاريخ الاندلس، ص٢٣٤ .

تحكمهم مما اوجد طبقة شعبية على راسها الفقهاء ترحب بالتواجد المرابطي في الاندلس.

ومن العلماء الذين كان لهم إسهام فاعل في الوسائل التي مرت معنا توا محمد بن سليمان الكلاعي الاشبيلي[1] الذي كان من السفراء الذين قصدوا يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) في المغرب و طلبوا منه غوث وانجاد المسلمين من الخطر الذي مثله الفونسو السادس على المدن الاسلامية الاندلسية[2].

الثاني عشر: الجهد الشعبي في توحيد الصفوف

ادى التيار الشعبي دورا بارزا في تقوية الجبهة الداخلية للمعسكر الاسلامي في صراعه مع الممالك الاسبانية وكان للعلماء والفقهاء المسلمين البصمة الكبيرة الفاعلة في هذه الوسيلة على اساس انهم اعمدة المجتمع الاسلامي والمحور الاساس للوسائل الدفاعية الشعبية وكان دورهم في وسائل دفاعية عديدة التي من اهمها هو توحيد صفوف المسلمين في مواجهة التحديات الخارجية.

وتتضح هذه الوسيلة الدفاعية فيما ذهب اليه ابن ذكوان القاضي مع مجموعة من الفقهاء عام ٤٠١هـ/١٠١٠م ممثلين عن اهل قرطبة فساروا الى المعسكر البربري الذي كان تحت زعامة الحكم المستعين بالله وكان الغاية من ذهابهم

---

(1) ابو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الولبي الأندلسي، الملقب بابن القصيرة من كبار الكتاب في الاندلس لقب ايضا بذي الوزارتين، ينسب الى ولبة، نشأ في عهد المعتضد بن عباد توفي سنة ٥٠٨هـ. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٠٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٦، ص١٤٩.

(2) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٤٥؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٤١ .

هو طلب الامان من سليمان بن الحكم وزعماء قبائل البربر المحاصرين للمدينة[١]، وكان نتيجة هذه الوسيلة ان اخذوا الامان وباعداد كبيرة من المدافعين عن المدينة، الا انه لما فتحت ابواب المدينة لجيش المستعين بالله اهلكوا الحرث والنسل[٢].

وعلى الرغم انه لم يكن للأمان اي حضور في دخولهم للمدينة الا ان هذه المحاولة سجلت كوسيلة شعبية لفقهاء المدينة التي لم يحترمها المستعين بالله ومن معه من زعماء البربر بل تعامل معها في منتهى القسوة والارهاب للمدينة واهلها المسلمين.

وعلى الرغم من اهمية ما سبق من الوسائل الشعبية الخاصة بتوحيد الصفوف ورد مطامع الاعداء، الا ان اهمها على الاطلاق هو الجهد المضني الذي استهدف دعوة الامير المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) لتوحيد الاندلس واسقاط دويلات الطوائف التي اصبحت عبئا على المعسكر الاسلامي في صراعه المستمر مع الممالك الاسبانية ويتمثل هذا الدور في الفتوى التي قدموها ليوسف بن تاشفين بعد جوازه الثالث الى الاندلس عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠[٣] ،ووقوفه على الاوضاع المتردية التي يعيشها المسلمون في الاندلس وكانت فتوى علماء المغرب والاندلس تنص على وجوب خلع ملوك الطوائف وساندهم في ذلك علماء

---

[١] ابن بشكوال، الصلة، ص١٦٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٨٩-٩٠؛ البشر، مباهج الاندلس، ص١٨٠؛ الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الاسلامية (المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ)، ج١، ص٣٦٥؛ العتيبي، فوزي عناد، علاقة الفقيه بالسلطة، فقهاء الاندلس والمشروع العامري (٣٦٧-٣٩٩هـ/ ٩٧٨-١٠٠٩م)، دار كنوز اشبيليا (الرياض، ١٤٣١هـ)، ص١٠١-١٠٢.

[٢] المقري، نفح الطيب، ٤٨٢/١؛ عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في الأندلس، ص٥٠٣.

[٣] السرجاني، قصة الاندلس، ص٥١٢-٥١٣ ؛ ولد السالم، صحراء الملثمين ، ص٤١-٤٢ .

المشرق الاسلامي الذين استفتاهم الامير يوسف بن تاشفين (٤٨٤-٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) وفي مقدمتهم الامام الغزالي وابي بكر الطرطوشي[١].

و كان لهذه الوسيلة حضورها المميز في العصر الموحدي لاسيما في مرحلة الضعف والانحلال التي شهدت سقوط الكثير من المدن الاندلسية بيد الممالك النصرانية بسبب الصراع الداخلي بين امراء واشياخ الموحدين لاسيما بين ابي محمد عبد الواحد بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن المخلوع (٦٢٠-٦٢١هـ/ ١٢٢٣-١٢٢٤م) وبين ابي محمد عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن العادل (٦٢١- ٦٢٤هـ/ ١٢٢٤- ١٢٢٦م) فاستغل تلك الاوضاع كل من البياسي و ملك ليون وضيقوا الخناق على المدن الاسلامية في الاندلس[٢]، وكرد فعل من قبل المسلمين في الاندلس ان تواجدوا في المسجد الجامع خاصتهم وعامتهم وطالبو اهل الحل والعقد من الموحدين بتوحيد الصفوف والخروج للقاء العدو، الامر الذي جعل القادة الموحدين مضطرين لمحاولة كسب التيار الشعبي فكانوا معنين لهذا الصوت[٣] ، فخرجت حملة شعبية بقيادة الخليفة الموحدي العادل لدفع العدو عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م[٤] .

وكان لعمداء التيار الشعبي من العلماء المسلمين دور في توحيد الصف تغليبا لرأي المسلمين في الاندلس لان هذا الامر كفيل في توفير

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٠؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٢١٥ ؛ الحامد، برزان ميسر، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء في الاندلس من الفتح حتى السقوط ٩٢-٧٨٠هـ/ ٧١٠-١٣٧٨م، عالم الكتب (بيروت، ٢٠١٣م)، ص١٠٩ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٥، ص١٨٨؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٣٣٥ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

(٤) الروض المعطار، ص١٢٨-١٢٩ .

الحماية لمدنهم الاسلامية ومن ذلك ما هدف الى توحيد كلمة الثائرين ضد الوجود الموحدي في الاندلس المتمثل بكل من ابي جميل زيان ومحمد بن يوسف بن هود (٦٢٠ – ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣– ١٢٣٧م) وكان رائد هذه الوسيلة الشعبية بلا منازع العلامة الفقيه ابو بكر بن عبد العزيز بن خطاب كبير علماء مرسية في رسالة وجهها الى الخطيب ابي عبد الله بن قاسم في بلنسية ليقوم بمهمة اقناع ابا جميل زيان للدخول في طاعة ابن هود الامر الذي سيحقق ما يبغي اليه مسلمو الاندلس وهو الوحدة في مواجهة الممالك الاسبانية المتربصة بالمدن الاسلامية الاندلسية[1]

الثالث عشر: اثر العلماء الجهادي في الوسائل الدفاعية

يمثل العلماء الفئة الشعبية المؤثرة في المجتمع الاندلسي وبما ان الجهاد هو ذروة سنام الوسائل الدفاعية فان ديمومته احتاجت دائما الى واعز ديني غير رسمي قريب من الطبقات الاجتماعية المختلفة من العلماء والفقهاء و قادة الفكر الاسلامي الشاحذين للهمم والباعثين فيه روح الجهاد ومقاومة الاخطار المحيطة بالمدن الاندلسية .

وتتضح هذه الوسيلة الدفاعية في موقف الفقيه ابن سكرة الصدفي[2] ، الذي كان دائم الحث على الجهاد في سبيل الله، ولم

---

[1] السبتي، ابو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي (ت: ٦٥٨هـ)، بغية المستطرف وغنية المتطرف، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٣م)، ص٣٣ .

[2] هو ابو علي حسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفي، محدث كثير الرواية، قاض من اهل سرقسطة توفي في وقعت قتندة عام ٥١٢هـ. تقي الدين المكي، محمد بن أحمد الحسني الفاسى (ت: ٨٣٢ هـ)، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٨٦؛ الحجي، عبد الرحمن

يكن داعيا له فقط بل سار بنفسه مع الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين لاستنقاذ دورقة وقلعة ايوب في الثغر الاعلى وقتل شهيدة في موقعة قتندة بين المرابطين والارجونيين الذين كانوا تحت قيادة الفونسو المحارب عام ٥١٢هـ/١١١٨م[١] ؛ اما الفقيه الاخر فهو احمد بن يوسف بن اسماعيل بن صاحب الصلاة[٢] الذي كان فقيها عالما عاملا ومما يؤكد ذلك انه مات شهيدا في الدفاع عن مدينته باجة في شهر ذي الحجة عام ٥٥٧هـ/ ١١٨١م[٣].

وكان لبعض العلماء و الفقهاء الدور البارز للدعوة الى الجهاد الذي لم يقل اهمية عن الجهاد بالنفس لما يترتب على ذلك من اعلاء للهمة وزيادة اعداد المتطوعين والمجاهدين للقتال والدفاع عن بيضة الاسلام بوجه التحديات الخارجية ومن ذلك ما قام به الطبيب الطفيل[٤] ، عندما نظم

علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط٧ (دمشق،٢٠١٠م)، ص٤٦١- ٤٦٥.

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٦.

(٢) هو احمد بن يوسف بن اسماعيل بن صاحب الصلاة. من علماء باجة العاملين الذي قتل في باب المسجد الجامع دفاعا عن مدينة عندما غدرها العدو في ليلة السبت الثاني والعشرين لذي الحجة عام ٥٥٧هـ. ابن الابار، التكملة، ج١، ص٦١ .

(٣) ابن الابار، التكملة، ج١، ص٦١ .

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي من أهل وادي آش، يكنى أبا بكر، كان عالما، صدرا، حكيما، فيلسوفا، عارفا بالمقالات والآراء، محققا، متصوفا، طبيبا ماهرا، فقيها، بارع الأدب، ناظما، ناثرا، مشاركا في جملة من الفنون وتوفي في عام ٥٨١هـ في مدينة مراكش. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٣٣٤؛ الزركلي، الاعلام، ج٦، ص٢٤٦.

قصـيدة جميلـة للـدعوة الـى الجهـاد فـي سـبيل الله وانجـاد المـدن الاسـلامية فـي الاندلس جاء فيها[١]:

اقيمـوا صدور الخيل نحو المضارب ‌ ‌ ‌ لـــــغزو الاعادي واقتناء الرغائب

واذكوا المذاكي العاديات على العدا ‌ ‌ ‌ فقد عرضت للحرب جرد السلاهب

فــــلا تقتني الامال الا من الفتى ‌ ‌ ‌ ولا تكتب الـــعليا غير الكتائب

وكانــت هــذه القصـيدة ذات تـأثير كبيـر علـى اعـداد الحملـة التـي عبــر فيهــا ابـــو يعقـــوب يوســـف (٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٢- ١١٨٤م) لنجـــدة المـــدن الاندلســـية عـــام ٥٦٦هـ/١١٧٠م[٢]. وكـــان للعلمـــاء المسـلمين دور فـــي معركـــة العقـــاب وممـــا يـــدل علـــى ذلـــك ان المصـــادر التاريخيـــة ســـجلت الكثيـــر مـــن اســـماء الشـــهداء مـــن الفقهـــاء والحفـــاظ الـــذين كـــان مـــن ابـــرزهم احمـــد بـــن هـــارون بـــن عـــات النفـــزي[٣] و اســـحاق

---

[١] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٢٥ .

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٣٠ -٣٣٢ .

[٣] هو ابو عمر احمد بن هارون بن احمد بن جعفر بن عات، ابو عمر ، كان من علماء الحديث يروي الاسانيد والمتون عن ظهر قلب موصوفًا بالدّراية والرواية، غالبا عليه الورع والزهد يأكل الجشب ويلبس الخشن فقد موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ص٤٩١؛ ابن المبرد، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي (ت: ٩٠٩ هـ)، تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، دار النوادر (دمشق، ١٤٣٢هـ)، ص٩٠؛ ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ)، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٧هـ)، ج٤، ص١٦٨.

بــن ابــراهيم الجــابري[١] و محمــد بــن حســن الانصــاري المعــروف بــابن صـــاحب الصـــلاة و القاضـــي ابـــو عبـــد الله محمـــد بـــن ابـــراهيم الحضــرمي[٢]، و الامــام ابــو الصــبر ايــوب[٣] ، والشــاعر تاشــفين بــن محمد المكتب[٤].

وكـان لعلمـاء هـذه الوسيلة تواجـد فـي قصـر ابـي دانـس عنـدما حاصـرها البرتغاليون فعلى الرغم من ان هذا الحصار كان في نهايته لصالح البرتغاليين الا ان علماء المدينـة كان لهم دور في هذا الصراع ومما دل على ذلك هو قتل عدد من علماء المدينة ومنهم ابن عبد الكريم السبأي[٥].

---

[١] اسحاق بن ابراهيم بن يغمور الجابريّ ، ولي قضاء فاس ثم سبتة وفي عام ٦٠٦هـ ولي قضاء بلنسية وكان عالما بمذهب الامام مالك وجاهد في سبيل الله في معركة العقاب حتى قتل عام ٦٠٩هـ. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٢١١؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج٤، ص٢٨٠.

[٢] هو القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي المتوفي عام ٦٠٩هـ. المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٦٩٤.

[٣] أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد بن عمر الفهري السبتي، كان اماما فاضلا زاهدا ورعا عاملا تتلمذ على يد علماء المشرق والمغرب ولقي أعلاماً كثيرين من الصالحين له علما بالحديث والرواية والشعر قتل في معركة العقاب مجاهدا في سبيل الله تعالى عام ٦٠٩ هـ. ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي (ت: ١٣٦٠هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ)، ج١، ص٢٦٤ .

[٤] هو تاشفين بن محمد المكتب اصله من مدينة فاس كنيته ابو محمد زاهدا عابدا معلما بالقران وشاعرا ساؤه حال اخوته في الاندلس فهاجر مجاهدا في سبيل الله تعالى ونزل قرطبة قرطبة في عام ٦٠٨هـ اقام بها فترة من الزمن ثم خرج مع المسلمين في معركة العقاب فقتل فيها عام ٦٠٩هـ. ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٩٠ .

[٥] هو محمد بن عبد النور بن احمد بن محمد بن عمرين بن عبد النور كَانَ من أهل المعرفة والعناية بالرواية كثير السماع وتصدر ببلده في علم القراءات وإسماع الحديث وكان مشهورا

وفي معركة انيشة[1] التي خاضها ابو جميل زيان ضد الجيش الارجوني الذي سيطر على هذا الحصن الا ان المسلمين خسروا المعركة وقد كان للعلماء المسلمين دور بارز و استشهد في هذه المعركة ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي[2] الذي كان يعد من اكبر علماء المسلمين في الاندلس. وكان يحث المسلمين للقتال والدفاع عن مدنهم الاندلسية وينادي المنهزمين والفارين منهم بقوله: ((أعن الجنة تفرون))[3] ، وقتل الكثير من علماء مدينة بلنسية في تلك المعركة التي حدثت عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[4].

بالفضل والصلاة والتواضع والزهد وتوفي عام ٦١٤هـ. ابن الابار، التكملة، ج٢، ص١٠٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٢١٨ .

[1] اختلفت مصادر التاريخ الاسلامي في تسمية هذه المعركة ومما جاء في ذلك (انيسة، انيشة، اينجة، انيجة). ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٣٢؛ ابن خلدون، العبر، =ج٦، ص٢٨٣؛ الفزيري، الفهرس، ج٢، ص١١٥؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩١؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج٢، ص٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٨٤.

[2] هو أبو الرَّبيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميري الكلاعي الخطيب من أهل بلنسية، ولد عام ٥٦٥، وقتل في وقعة انيشة عام ٦٣٤هـ من اعلام علم الحديث، عني أتمّ عناية بالتقييد والرواية، وكان إماماً في صناعة الحديث بصيراً به حافظاً حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل، ذاكراً للمواليد والوفيات، يتقدّم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصاً من تأخر من زمانه وعاصره. وكتب الكثير المصنفات وفي علوم مختلفة. ابن الأبار، تحفة القادم، ، ص٢٠١؛ ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ج٤، ص١٩٩؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١١٩؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت ١٠٦٧هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا (اسطنبول، ٢٠١٠م)، ج٥، ص٢٥١.

[3] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٤، ص٢٦٢ .

[4] ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٨٤ .

وكان للمحدث ابي القاسم المعروف بابن العزفي[١] دور في الدعوة للجهاد في سبيل الله لانجاد المدن الاندلسية وحمايتها من الممالك الاسبانية لاسيما بعد سقوط مدينة اشبيلية عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م على يد فرناندو الثالث، فكتب ابن العزفي رسالة طويلة وبليغة الى قبائل المغرب يستنصرهم فيها و يحثهم على الجهاد في سبيل الأندلس عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م ومما جاء فيها: ((فقد آن –عباد الله – إخلاص النية، والتماس ما عنده من الدرجات السنية، ولا تخلدوا بركون إلى سكون، والدين يدعوكم لنصره، وصارخ الإسلام قد أسمع أهل عصره، والصليب قد أوعب في حشده، فالبدار بإرهاف الحد، وإعمال الجهاد في نيل الجد))[٢]

واسهم الشاعر ابن المرحل[٣] في بث دعوته الى الجهاد في سبيل الله وانقاذ المدن الاسلامية من براثن الممالك الاسبانية فقد الف قصيدة ذاع صيتها للدعوة الى نصرة الاسلام في الاندلس قرأت في جامع القرويين[٤] في يوم الجمعة عام

---

[١] أبو القاسم محمد بن القاضي المحدث أبي العباس أحمد الشهير بابن العزفي اللخمي كان قيامه بسبتة سنة سبع و أربعين و ستمائة في دولة المرتضي الخليفة الموحدي بمراكش وتوفي عام ٦٧٧هـ. ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص١٠٣.

[٢] ابن ابي زرع، الذخيرة، ص١٠٢–١٠٨.

[٣] هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن ابن فرج بن أزرق بن منير بن سالم بن فرج ابن المرحل السبتي، من ابرز الادباء المسلمين في عصره تتلمذ في عدد من المدن الاسلامية منها مدينة بإشبيلية و سبتة و فاس وشغل عدة مناصب ادارية منها التوثيق بمدينة سبتة و القضاء في غرناطة و عمل في ديوان يعقوب المريني توفي عام ٦٩٩هـ. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٥، ص٩٢٧؛ السيوطي، بغية الوعاة ، ج٢، ص٢٧١ .

[٤] وهو من اكبر جوامع مدينة فاس والذي سمي بجامع القرويين نسبة الى عدوة القرويين التي اسس فيها. الحميري، الروض المعطار، ص٤٣٤ ؛ البهنسي، صلاح احمد، عمارة المغرب والاندلس في العصر الاسلامي، التعليم المفتوح في جامعة عين الشمس (القاهرة، بلا.مكان)، ص٧٦.

٦٦٢هـ/١٢٦٣م كـان لهـا تـأثيرا علـى نفـوس النـاس عـامتهم وخاصـتهم جـاء فـي مطلعها[١]:

اِسْتَنْصَرَ الدِّينُ بِكُمْ فَأَقْدِمُوا وأَسْرِجُوا لِنَصْرِهِ وأَلْجِمُوا

اَ تُسْلِمُوا الإسْلاَمَ يا إِخْوانَنَا فـإِنَّهُ إِنْ تُسْلِمُوهُ يُسْلَمُ

ونظـم ابـو البقـاء الرنـدي[٢] قصيدة اسماها رثـاء الانـدلس خاطـب فيهـا اهـل المغرب وزعمائهم بنـي مرين لانجاد الاندلس بعد ان تنازل زعيمها محمد الاول بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) مضطرا عن كثير من المدن الاسلامية الاندلسية لصالح الممالك الاسبانية المحاصرة له عام ٦٦٥هـ وجاء في مطلعها[٣]:

لِكُلِّ شَيءٍ إذا مـا تَمّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن سـاءَتهُ أَزمانُ

الرابع عشر: اثر العلماء في درء الاخطار الداخلية

يسـهم الاسـتقرار الـداخلي اسـهاما فـاعلا فـي تعزيـز وتقويـة الوسـائل الدفاعيـة. فالمدينـة المستقرة داخليـا تكـون اقـدر علـى صـد الهجمـات التـي تبغـي النيـل منهـا، لـذلك كـان للعلمـاء المسـلمين باعتبـارهم الفئـة الفاعلـة والمـؤثرة فـي

---

(١) ابن ابي زرع، الذخيرة، ص٩٨-١٠٢

(٢) صـالح بـن يزيـد بـن صـالح بـن موسـى بـن أبـي القاسـم بـن علـي بـن شـريف النّفزي الرنـدي الاندلسي ولد عام ٦٠١هـ هو من مدينة رندة بالأندلس وينسب اليها وبالاضافة الى شهرته بالشـعر عـرف بالحـديث والفقـه. وقـد اجـاد فـي فـروع الادب مـن الشـعر والنثـر ولـه كـلام بالفرائض والحساب توفي عام ٦٨٤هـ. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٣، ص٢٧٥ .

(٣) ابن ابي زرع، الذخيرة، ص١١٢-١١٤

المجتمع الاسلامي الاندلسي دور في التصدي لمحاولات العبث في استقرار المدن الاسلامية الاندلسية وكان دورهم في ذلك جليا وواضحا بتوجيه السلطات الحاكمة الى الاخطار الداخلية ومعالجتها فكانوا يبادرون الى مخاطبة الشعب لضرورة التحرك من اجل التصدي لتلك الاخطار مستهدفين استقرار المدينة على كافة الاصعدة لاسيما الامني منها .

وتتضح هذه الوسيلة الدفاعية في مدينة غرناطة وتحديدا في عهد باديس بن حبوس (٤٢٨ – ٤٦٥هـ/ ١٠٣٦- ١٠٧٢م) الذي نصب وزيرا يهوديا يسمى يوسف بن نغريلة[١] الذي تسلط على رقاب الناس واخذ يحتكر المناصب السياسية والادارية المهمة لاتباع ديانته[٢]، الامر الذي جعل اهل المدينة المسلمين يبحثون عن الفرصة التي يتخلصون من هذا الوزير، فوجدوا ضالتهم عندما كبر باديس

فاخذ بعض علماء المدينة هذه المهمة على عاتقهم ومنهم الفقيه ابو اسحاق الالبيري[٣] الذي نظم قصيدة شهيرة في التحريض على سحق هذه الطبقة اليهودية المفسدة والتخلص من طغيانهم ونجح

---

[١] هو يوسف بن اسماعيل بن نغريلة اليهودي، احد وزراء مملكة بني مناد البربرية في عهد باديس بن حبوس والذي تسلم الوزارة بعد رفاة ابيه اسماعيل بن نغريلة الذي تسلم الوزارة في عهد حبوس بن ماكسن. ينظر: السامرائي، تاريخ الوزارة في الاندلس، ص١٢٩؛ قاسم، صادق، العلاقات الثقافية بين الاندلس والمشرق الاسلامي ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (٩-١١هـ) من خلال كتب التراجم، اطروحة كتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران، ص٨٢ .

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥.

[٣] هو ابراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الزاهد من اهل مدينة غرناطة يعرف بالالبيري ويكنى ابا اسحاق فقيها شاعرا مجودا توفي عام ٤٦٠هـ. ابن الابار، التكملة، ج١، ص١١٨.

الالبيـري فـي وسـيلته وتـم لـه مـا اراد حيـث قـام اهـل غرناطـة بمداهمـة مخبأه وقتلته عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م[١]، ومما جاء في القصيدة[٢]:

أَلا قل لصنهاجة أَجْمَعِينَ ... بدور الندي وَأسـد العرين

لـقد زل سيدكم زلَّة ... تقر بهَا أعين الشـامتين

تخير كَـاتبه كَـافِرًا ... وَلَو شَاءَ كَانَ من الْمُسلمين

فعز الـيَهُود بِهِ وانتخوا ... وتاهوا وَكـَانُوا من الأرذلين

أباديس أَنْت امْرُؤ حـاذق ... تصيب بظنك نفس الـيَقِين

فَكيف اختفت عَنْك أعيانهم ... وَفِي الأَرْض تضرب مِنْهَا الْقُرُون

وَكَيف تحب فراخ الزِّنَا ... وهم بغضوك إِلَى الْعَالمين

وَكَيف يتم لَك المرتقى ... إِذا كنت تبني وهم يهدمون

وَكَيف استنمت إِلَى فَاسق ... وقارنته وَهُوَ بيس القرين

فقد ضجت الأَرْض من فسقهم ... وكادت تميد بِنَا اجمعين

وَإِنِّي احتللت بغرناطة ... فَكنت أَرَاهُم بهَا عابثين

وَقد قسموها وأعمالها ... فَمنهمْ بِكُل مَكَان لعين

---

[١] أبو إسحاق الإلبيري، إبراهيم بن مسعود بن سعيد (ت: ٤٦٠هـ)، ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تح: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، ط٢ (دمشق، ١٤٠١هـ)، ص٨٩ ؛ ولد أن، محمد الأمين، تاريخ اليهود في الأندلس ٤٢٢ - ٥٣٩ هـ / ١٠٣٠ - ١١٤١ م، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٨م)، ص٧٠-٧٣.

[٢] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٢٢؛ ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٨، ص٢٢٦ .

وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخضمون وهم يقضمون

فبادر إِلَى ذبحه قربَة ... وضح بِهِ فَهُوَ كَبْش سمين

وَلَا ترفع الضغط عَن رهطه ... فقد كنزوا كل علق ثمين

وَفرق عراهم وَخذ مَالهم ... فانت أَحَق بِمَا يجمعُونَ

وَلَا تحسبن قَتلهمْ غدرة ... بل الْغدر فِي تَركهم يعبثون

وَقد نكثوا عهدنا عِنْدهم ... فَكيف تلام على النَّاكِثِينَ

وَكَيف تكون لَهُم ذمَّة ... وَنحن خمول وهم ظاهرون

وَنحن الأذلة من بَينهم ... كأنا أسأنا وهم محسنون

وكان للإرادة الشعبية الاندلسية المسلمة دور اخر في درء الاخطار الداخلية التي تسهم في زيادة الوسائل الدفاعية عن المدن الاندلسية وكانت هذه الوسيلة نتيجة لغزوة الفونسو الكبرى التي هدد فيها اغلب المدن الاندلسية من الشمال الى الجنوب وقد اوضحت هذه الغزوة خطرا جديدا وتحديا امام مستقبل التواجد الاسلامي في الاندلس الا وهو المعاهدون اتباع الديانات الاخرى في المدن الاسلامية الذين كان لهم دور سلبي متمثلا في معاونة الفونسو في غزوته ضد المسلمين[١] ، الامر الذي حرك علماء المسلمين لكي يحذروا من اخطارهم ويدعوا الى النظر في امرهم، وهذا الخطر هو السبب الذي دفع قاضي قرطبة ابن رشد[٢] للعبور الى المغرب من اجل

---

[١] العزاوي، عبد الرحمن، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج (عمان، ٢٠١٧م)، ص١٠١؛ المعموري، محمد عبد الله، تاريخ المغرب والاندلس، دار صفاء (عمان، ٢٠١٢م)، ص١٣٥.

[٢] أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، أبو القاسم، ويقال أبو العباس، قاض، من فقهاء المالكية، مولده ووفاته بقرطبة، وولي قضاءها سنة ٥٣٢ هـ، ثم استعفي فأعفي، وهو والد الفيلسوف

مقابلة الامير علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧ - ٥٤٩هـ /١١٤٣ - ١١٤٥م) شارحا ما عانته المدن الاسلامية نتيجة لموقف المعاهدين وما يترتب على موقفهم هذا من نقض للعهود وافتى بتغريبهم الى مدن اخرى ونتيجة هذه الفتوى انتقل الكثير من المعاهدين الى المدن المغربية عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م لاسيما مكناسة وسلا[١] الا ان هذا الانتقال لم يكن شاملا بل كان فقط بما يشكل خطرا على المدن الاسلامية في الاندلس[٢].

الخامس عشر: الخطط والاجراءات الشعبية

١- **الخلع**: يعد الخلع في بعض الاوقات من الوسائل الشعبية المهمة التي اسهمت في تقوية الوسائل الدفاعية للمدينة ومن ذلك خلع الشعب الغرناطي لزعمائه السياسين ومنهم: عبد الله بن بلقين (٤٦٥ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٠م) واخيه تميم صاحب مالقة عشية عبور يوسف بن تاشفين (٤٨٤- ٥٠٠هـ/ ١٠٩١- ١١٠٦م) للقضاء على دويلات الطوائف وتم ذلك على يد فقهاء المدينتين بسبب مظالمهما الكثيرة وخروجهما عن احكام الشريعة

ابن رشد ولد عام ٤٨٧هـ وتوفي عام ٥٦٣هـ. ابن نقطة، إكمال الإكمال، ج٢، ص٧٠٨؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص٩٨؛ القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي (ت: ١٣٠٧هـ)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الثقافة القطرية (قطر، ١٤٢٨هـ)، ص٢٩٠.

[١] وهي مدينة في اقصى بلاد المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل. الحميري، الروض المعطار، ص٣١٩.

[٢] ابن سماك العملي، الحلل الموشية، ص١٥٥؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٢٥؛ الفضلي، مثنى فليفل سلمان، الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، دار عدنان (بغداد، ٢٠١٥هـ)، ص٢٨-٢٩ .

الاسلامية وأهابوا بالأمير يوسف بن تاشفين الغاء الضرائب الجائرة التي فرضها زعمائهم ظلما وعدوانا[1].

٢- **الفداء:** يعد فداء الاسرى اقل الوسائل الشعبية استخداما في حياة مسلمي الاندلس فعلى الرغم من اهميته الا ان هذا الامر ليس من الواجبات الشعبية بل انه من واجبات السلطات المركزية لما يحتاج اليه من وسائل سياسية واجراءات دبلوماسية معروفة للقاصي والداني الا ان المصادر التاريخية سجلت موقفا في مدينة اشبيلية من المهم الوقوف عليه وهو ما اقدمت عليه مملكة قشتالة في عهد ملكها الفونسو الثامن (اذفنش الصغير) بالهجوم على حصن شنتفيلة الواقع بين اشبيلية وقرطبة واسر من كان فيه من المسلمين[2]، فقام اهل مدينة اشبيلية بحملة جمع التبرعات المالية من الاهالي في المسجد الجامع لافتداء الاسرى من اهل حصن شنتفيلة والبالغ عددهم سبعمائة شخص وتمت هذه الوسيلة بنجاح وكان مقدار الفداء الفين وسبعمائة وخمسة وسبعين دينارا[3] .

٣- **مقاومة الهجرة الى ديار العدو:** بعد ان سقطت الكثير من المدن الاسلامية بيد الممالك النصرانية ومحاولة تحويل اهلها قسرا بالارهاب والتهديد من الاسلام الى النصرانية ظهرت حركة شعبية تهدف الى الانتقال من المدن الاسلامية الخاضعة للواء الاسلام الى المدن النصرانية الامر الذي تطلب التصدي لهذه الظاهرة وقد ظهرت دعوة شعبية لمحاربة هذا الامر ودعوة العلماء والفقهاء لأخذ دورهم القيادي بهذا الشأن، وكان ممن

---

[1] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص١٠٩ .

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٨ .

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١٨-٢١٩ .

انبرى لهذه الحركة الفقيه احمد بن يحيى الونشريشي[١] بإصدار الفتاوى التي تحرم ذلك التي تركزت على محاور عدة منها: ان الهجرة من دار الكفر الى ارض الاسلام فريضة الى يوم القيامة ، واضاف على ذلك انه لا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلهم وبلادهم ولا يتصور العجز عنها بكل وجه وحال ولا وطن ولا مال، كما اكد على تحريم هذه الاقامة تحريما مقطوع به في الدين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير[٢] .

---

[١] هو احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريشي، التلمساني ثم الفاسي استقر في تلمسان الى ان حكومتها نقمت عليه ففر الى مدينة فاس عام ٨٧٤ه فتولى التدريس فيها والافتاء وله مصنفات كثيرة توفي في شهر صفر عام ٩١٤هـ. السوسي، ابو الطيب مولود السريري، معجم الاصوليين، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠م)، ص١٣٢-١٣٣.

[٢] ابو العباس المالكي، أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي (ت: ٩١٤ه)، أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ١٤٠٦ه)، ص٥٩ -٦٣ .

المبحث الثاني: الوسائل الشعبية السلبية

على الرغم مما لاحظناه من النتائج الايجابية لكثير من الوسائل الدفاعية الشعبية الا اننا سجلنا عددا منها ما كان ذو نتائج سلبية وأسهم في خسارة مدن اخرى وكانت كالاتي:

اولا: مراسلة الممالك الاسبانية

شهدت بدايات القرن الرابع الهجري الكثير من الوسائل الدفاعية السلبية نتيجة الاوضاع السيئة التي كانت تمر بها المدن الاسلامية في الاندلس التي تلخصت في محورين الاول هو الفتنة الداخلية والصراع بين الطوائف والقوميات داخل المدن الاسلامية والعامل الثاني هو التحركات العسكرية الكبيرة التي قادها الملك راميرو الثاني (رذمير الثاني) (٣١٨-٣٤٠هـ/٩٣٠-٩٥١م) ملك مملكة ليون التي اصبحت تهدد الكثير من المدن الاسلامية الاندلسية، ونتيجة لما سبق قام الامير عبد الرحمن الناصر بإرسال وفد من العلماء الى مدينة طليطلة (موطن الثورات) وكان هدف هذا الوفد هو محاولة اقناع اهلها بالابتعاد عن سياسة راميرو وعدم الانجرار الى اهدافه لاسيما وان المدينة كانت تضطرم بفوضى عارمة الا ان هذا الوفد لم يستطع ان ينفذ الغاية التي ارسل من اجلها، الامر الذي جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) مضطرا الى التحرك العسكري فحاصر المدينة عام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م[١]، فعمد اهل المدينة الى

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٢-٨٣ ؛ عبد الفتاح، فتحي، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٦٣؛ بروفنسال، ليفي، تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح الى سقوط الخلافة القرطبية ٧١١- ١٠٣١م، تر: عبد الرؤوف البمبي واخرون، ط٣ (مدريد، ١٩٦٧م)، ص٣٣٦ .

وسيلة دفاعية غاية في الخطورة حيث راسلوا راميرو الامر الذي جعله يخطوا خطوات سريعة لجني ثمار هذا التشضي الاسلامي في ادارة الصراع[١]، فسار بجيشه باتجاه المدن الاسلامية واستطاع ان يبسط سيطرته على مدينة مجريط لمدة قصيرة اضطر بعدها الى الانسحاب والانكفاء داخل حدود مملكته[٢].

وكان لهذه الوسيلة الدفاعية السلبية مكانا في المجهود الشعبي لمدينة مالقة بعد ثورتهم على واليها المرابطي بقيادة قاضيها ابو الحكم بن حسون الذي تلقب بعد تمكنه من طرد المرابطين من المدينة (ملك الملوك) الذي استند في مقاومته للمرابطين بالنصارى فاستعان بهم مقابل اموال يدفعها اليهم وكان ياخذ هذه المبالغ من اهل المدينة[٣].

ثانيا: التسليم للمالك النصرانية

يعد التسليم هو نهاية مطاف الصراع الدائر في السيطرة على المدن الاسلامية الاندلسية فبعد ان يدب اليأس في ايجاد الوسيلة الدفاعية الناجعة في رد عادية الممالك الاسبانية يكون التسليم والانصياع الى القوة المهاجمة في مقابل الحفاظ على النفس والعرض، وعلى الرغم من ان لهذه الوسيلة نتائج ايجابية متمثلة بالخروج من هذا الصراع في اقل الخسائر، الى اننا لا نستطيع ان نجهل السلبيات الكبيرة التي على رأسها ضياع قطعة من جسد الوجود الاسلامي في الاندلس الامر

---

[١] السلمي، ابراهيم عطية الله، تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي دراسة تاريخية حضارية ٩٢-٤٧٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ١٤٢٤هـ، ص٧٩ .

[٢] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨٠ ؛ عنان، دولة الاسلام، ج١، ص٣٧٢ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٣١؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٦٦ .

الذي سيكون ذو عواقب وخيمة على المدن الاخرى التي سيتوجه اليها الخطر نفسه فيما بعد.

وتتضح هذه الوسيلة في مدينة بلنسية فعلى الرغم من كثرت الوسائل الشعبية التي اعتمدها سكان هذه المدينة الذين كانوا تحت قيادة ابن الجحاف في صراعه مع الجيش القشتالي بقيادة الكمبيادور الا انها لم تجد نفعا بسبب الاستنزاف الاقتصادي والعسكري الذي اصاب المدينة واهلها، الامر الذي جعل اهلها يجتمعون حول الفقيه ابو الوليد الوقشي[1] من اجل ان يتكلم مع ابن الجحاف وارغامه على مفاوضة القشتاليين في التسليم والاذعان، فاذعن ابن الجحاف لصوت اهل بلنسية وترك لهم هذه المهمة، فذهب وفد منهم للمفاوضة وتم الاتفاق على ان يعطي الكمبيادور لأهالي المدينة مدة خمسة عشر يوما فاذا لم يصل الى المدينة من قبل المرابطين سلمت المدينة للقشتاليين وازاء ذلك قام اهل المدينة بإرسال الاستغاثات الى المرابطين الا انهملم يحصلوا على اي نجدة تذكر فسلمت المدينة من قبل اهلها الى القشتاليين ابعادا عن انفسهم القتل[2]، وبعد دخول المدينة من قبل القشتاليين قاموا بالتضييق على المسلمين وعاثوا في المدينة فسادا واكره الناس على دينهم وقتل الكثير من الرؤساء والقادة المسلمين على يد عصابة الكمبيادور

---

[1] هو ابو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الوشقي الطليطلي اشتهر بتنوع علومه ومعارفه، فقيل هو من أعلم الناس بالنحو، بالاضافة الى علمه باللغة ، ومعاني والشعر، وعلم العروض، وصناعة البلاغة، والبلاغة، والشعر، بالاضافة الى علمه حافظ بالسنن، والفقه، وعلم الشروط والفرائض، فضلا عن علم الحساب والهندسة، ذو ذهن ثاقب. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص٦٤٤.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤؛ عنان، دولة الاسلام، ج٢، ص٢٤٣ .

ومجرميه الامر الذي جعل كثير من المسلمين يغادرون المدينة مضطرين وفارين بدينهم[1].

وتكررت هذه الوسيلة في مدينة طرطوشة عند مواجهتها للحملة الصليبية التي كانت بقيادة رامون برنجير والذي حاصر المدينة برا وبحرا ودافع عنها اهلها دفاعا شديدا لمدة اربعين يوما وبعد يأسهم من وصول اي انجاد عسكري اليهم وعقم مقاومتهم اضطروا للمفاوضة و تسليم المدينة في ١٦ شعبان عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م في المقابل الاحتفاظ بأملاكهم ومساجدهم في المدينة[2].

اما مدينة شلب الاسلامية التي هاجمها الملك البرتغالي سانشو الاول برا وبحرا عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م وبعد حصارا خانقا دام ثلاثة اشهر سيطر خلاله على البئر الذي يروي المدينة، واستنفذ اهل المدينة كافة الوسائل الدفاعية الممكنة وعلمهم باستحالة الانجاد من قبل الخليفة الموحدي بسبب انشغاله بفتن المغرب، اضطروا الى التسليم للحفاظ على النفس والعرض فارسل اهل المدينة وفدا قابل سانشو بشكل مباشر عرضوا عليه تسليم المدينة بالمقابل ان يخرجوا منها حاملين ما يستطيعون حمله من امتعتهم، فاعطى سانشو الامان لاهل المدينة وتم ذلك التسليم والمغادرة في يوم الاثنين العشرين من رجب عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م[3] .

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٣-٣٤.

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٦٤؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٤٣؛ سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص١٨ .

[3] البيان المغرب، الروض المعطار؛ الكركجي، الأزمات الاقتصادية في الأندلس، ص١١١؛ العكيدي، برزان ميسر حامد، تاريخ مدينة شلب الاسلامية (٣٩٠-٦٤٠هـ/ ٧١٢-

ويتضح من هذه الوسيلة الى ان الضعف بدأ يستشري في جسد الدولة الموحدية فلم تكن قادرة على حماية المدن الاندلسية الاسلامية الخاضعة تحت سيطرتها بسبب الفتن والاضطرابات التي بدأت تستشري في جناحيها الاندلسي والمغربي، فضلا عن ان الانتصارات التي سجلها صلاح الدين الايوبي في المشرق الاسلامي كانت دافعا للحركات الصليبية في المغرب التي كان لها مبرر جراء هذا التطور في الاحداث.

وقد تكررت هذه الوسيلة السلبية في قصر ابي دانس فبعد الحصار الشديد من قبل البرتغاليين وضعف المقاومة الاسلامية لهذه الحملة البحرية والبرية لم يكن امام اهلها سوى عرض التسليم والخروج من المدينة بالنفس والمال الا ان البرتغاليين رفضوا ان يحمل المال مع المسلمين فخرج المسلمون من القصر فارين بأنفسهم ودينهم في ١٤ رجب عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م[١] .

ولم يكن موقف مدينة ابدة افضل من سابقتها فلما حاصرها فرناندو الثالث فعدمت الاقوات عن المدينة ولم ترد اي نجدات اليها فاضطر اهلها الى التسليم على ان يؤمنوا على حياتهم عند خروجهم من المدينة وتأمينهم على ان يحملوا اموالهم ووفق هذه الشروط سلمت المدينة الى فرناندو الثالث[٢].

١٢٤٢م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٩م)، ص١٢٥.

[١] السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٧؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٨٩ .

[٢] عنان، دولة الاسلام، ج٤، ص٣٢٣ .

ولم تبعد مدينة قرطبة عن هذا المصير السيء والمؤلم فبعد ان يأس اهلها من انجادهم اضطروا الى المفاوضة على تسليم المدينة بشرطين الاول هو تأمين اهل المدينة على انفسهم، مستغلين كسب الوقت، واملين ان ينجدهم ابن هود (٦٢٠ – ٦٣٥هـ/ ١٢٢٣– ١٢٣٧م) الا انهم اضطروا الى التسليم عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م بعد ان تأكدوا بعقم المقاومة[1].

وكان لهذه الوسيلة الشعبية السلبية تواجد في نهاية عهد مدينة اشبيلية الاسلامية. فبعد ان يئس اهل المدينة من قدوم النصرة والانجاد، وبعد ما اصابهم من اهوال الحصار، لم يكن امامهم سوى التسليم ففتحوا باب المفاوضة مضطرين مع المحاصرين وتم الاتفاق على خروج اهل المدينة خلال شهر مع وضع شرط اخر على ان يخرجوا حاملين معهم جميع ما يستطيعون حمله من المال والسلاح وتم ذلك في يوم الاثنين ٥ شعبان عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م[2].

وكان للشعب المالقي دور في هذه الوسيلة السلبية بعد ان حاصر مدينتهم النصارى عام ٨٩٢هـ/١٤٨٦م ولم يقم ابو عبد الله محمد الزغل زعيم غرناطة باي تحرك لإنقاذ مدينتهم فاعتمدوا على انفسهم بهجمات خاطفة على القوة المحاصرة الا ان الحصار كان قاسيا حتى اضطر اهل المدينة ان يأكلوا الجلود واوراق الشجر وفتك بهم المرض والجوع ومات الكثير منهم فاصبحوا مضطرين

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٠٧؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج٤، ج٦٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٧، ص٢٧٨؛ العامري، مباهج الاندلس، ص٤٣٧؛ القاضي، علي، قرطبة جوهرة العالم، دار المنهل (الامارات، ٢٠١٧م)، ص٥٦.

(2) ابن ابي الزرع، الذخيرة السنية، ص٧٠-٧٤ .

لاتخـــاذ قـــرار التســـليم علـــى ان يـــأمن بالمســـلمين علـــى انفســـهم وامـــوالهم وبعـــد دخـــول المدينـــة لـــم يـــف فرنانـــدو الملـــك القشـــتالي بمـــا وعـــد بـــه اهـــل المدينة[١].

وفـــي عـــام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م هـــاجم فرنانـــدو بجـــيش كبيـــر اطـــراف مملكـــة غرناطـــة الشـــرقية والتـــي كانـــت ضـــعيفة فـــي وســـائلها الدفاعيـــة وتمكـــن مـــن الســـيطرة علـــى عـــدد مـــن الحصـــون وبـــذلك اطبـــق حصـــاره علـــى ثغـــر المنكـــب[٢] الـــذي كـــان تحـــت قيـــادة احـــد القيـــادات الشـــعبية يســـمى محمـــد بـــن الحـــاج والـــذي وجـــه المســـلمين الـــى ضـــرورة الاعتصـــام داخـــل المدينـــة ومواجهـــة الحصـــار وتمكـــن مـــن الصـــمود داخـــل المدينـــة لمـــدة ثلاثـــة اشـــهر الا ان اهـــل المدينـــة اضـــطروا الـــى التسليم للنصارى بعد ان ذاقوا من اهوال الحصار ما ذاقوا[٣].

ولـــم تكـــن مدينـــة بســـطة التـــي كانـــت خاضـــعة لعبـــد الله محمـــد الزغـــل الـــذي كـــان مقـــر حكمـــه وادي اش افضـــل حـــالا مـــن مثيلاتهـــا فقـــد اضـــطرت للتســـليم للنصـــارى فـــي ربيـــع الاول عـــام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، ومـــن بعـــدها ســـلمت وادي اش بنفس العام بعد الدخول في طاعة الملك القشتالي[٤].

---

[١] مجهول، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ص٢٤-٢٥ ؛ ارسلان، شكيب، خلاصة تاريخ الاندلس، دار الحياة (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ص٢٢٠.

[٢] وهو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦.

[٣] مجهول، نبذة العصر، ص٢٥؛ يحياوي، جمال، سقوط غرناطة ومأساة الاندلسيين ١٤٩٢-١٦١٠م، دار هومة (الجزائر، ٢٠٠٤م)، ص٣٥.

[٤] مجهول، نبذة العصر، ص ٢٥-٢٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٢ .


الخاتمة

الخاتمة

يمكننا في ضوء ما تقدم، من فصول هذه الدراسة التي اتوقع أنها ستكتمل بجهود أخرى قادمة، نستطيع أن نستخلص منها ما يأتي:

- إن الوسائل الدفاعية لأي كيان سياسي هي السبب الرئيسِ والمباشر في استمرار ذلك الكيان وعلو شأنه فاذا كانت وسائله الدفاعية سديدة وناجعة يستمر ويعلو نجمه، وبخلافه يكون مصيره الانهيار والافول.
- اسهم الصراع والتنافس بين المسلمين على زعامة كياناتهم السياسية في اضعاف وتحطيم الوسائل الدفاعية كلا مجتمعة بسبب ما اصابها من استنزاف رهيب نتيجة الحروب الداخلية التي أسهمت في رجاحة كفة القوى لصالح الممالك الاسبانية النصرانية وبالتالي السيطرة على مدن اسلامية كبيرة.
- اسهم الموقع الجغرافي في فرض وتقديم وسيلة دفاعية على غيرها من الوسائل في مجريات الاحداث فكانت الجزر الشرقية مثلا ذات وسائل دفاعية بحرية بينما المدن القريبة من عدوة المغرب وجدت المدافع عنها لفترة من الزمن بوسيلة الانجاد العسكري.
- ان الكثير من الدراسات التاريخية الحديثة كالت لعدد من الزعماء الأندلسيين تُهماً بالخيانة او عدم المسؤولية الا ان هذه الدراسة ترى ان بعض هذه التهم كانت قاسية لأنها مثلت وسائل دفاعية اسهمت في الحفاظ على الكيان الاسلامي في الاندلس ولفترات طويلة من الزمن.
- تلمس الباحث ان الوسائل الدفاعية اختلفت باختلاف العدو سواء من كان منهم مسلما او غير مسلم، فقد تنوعت بعض الوسائل للمسلم حتى وصلت الى التصاهر، اما غير المسلم فقد كانت الوسائل العسكرية هي الفيصل في اغلب الاحيان .

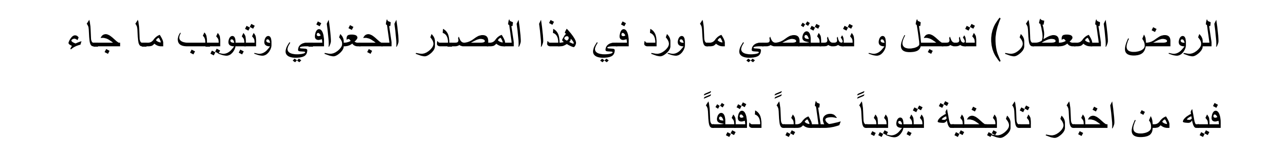
❖ ان الوسائل الدفاعية موضوع في غاية الأهمية لم يأخذ نصيبه من البحث والدراسة الاكاديمية وهو غني بالمادة العلمية التي لا تقتصر على تاريخ الأندلس فحسب بل على تاريخ الدولة العربية الاسلامية منذ نشوئها، ونستطيع حصرها بالزمان والمكان المناسبين لذلك توصي الدراسة الباحثين على خوض غمار هذا الميدان والوقوف على كل شاردة وواردة في هذا المجال.

❖ حبذا ان يكون هناك جهد اكاديمي مدعوم من اهل الاختصاص لإعادة تحقيق بعض المصادر الخاصة بالتاريخ الاسلامي الاندلسي مثل كتاب المقتبس لابن حيان الذي على الرغم من اهميته الكبرى باحتوائه على مادة علمية لا توجد في مصدر اخر الا اننا اقل ما يمكن ان نقول بحقه انه مبعثر ويجب ان يأخذ حقه من المختصين وتحقيقه تحقيقا علميا مدروسا ثم نشره نشرا كاملا غير مجزء .

❖ على الرغم من وجود الكثير من الدراسات فيما يخص العلاقات الاسلامية مع الممالك الاسبانية النصرانية الا اننا لم نجد دراسة مختصة بالعلاقات ما بين الممالك الاسبانية النصرانية نفسها على الرغم من توفر المادة الكافية ، وبمثل هذه الدراسات ستكتمل الصورة التاريخية لحقبة مهمة من التاريخ الاسلامي في الاندلس.

❖ في ضوء دراستنا هذه لاحظنا وجود عدد كبير من الوثائق الرسمية والرسائل السلطانية الغير مدروسة فمن المفضل ان تكون هناك جهد لدراستها لاسيما ما نشر في اسبانيا تحت عنوان (مخطوطات التاج الارغوني) وكذلك ما نشر تحت عنوان (Las Documentos Arabs Diplomaticas Del Archivo Dela aragon by Ramon Garcia De linars) والوصول اليها ليس عسيرا.

❖ تبين لنا ان كتاب (الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري انفرد في ذكر اخبار غير موجودة في اي مصدر اخر على الرغم من كونه كتابا جغرافيا، لذلك يفضل ان تتناوله دراسة اكاديمية و لتكن بعنوان (المرويات التاريخية الاندلسية من خلال كتاب



الروض المعطار) تسجل و تستقصي ما ورد في هذا المصدر الجغرافي وتبويب ما جاء فيه من اخبار تاريخية تبويباً علمياً دقيقاً

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

اولا: المصادر

ابن الابار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: ٦٥٨هـ)

١-تحفة القادم، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٤٠٦هـ)

٢-التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر (بيروت، ١٤١٥هـ)

٣-الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٥م)

ابن الاثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)

٤- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت، ١٤١٧هـ)

ابن الاثير، مجد الدين بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت: ٦٠٦هـ)

٥-النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر احمد الزاوي، المكتبة العلمية (بيروت، ١٩٧٩م)

احمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت : ٢٤١هـ)

٦-مسند أحمد بن حنبل، تح: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، ط١ (بيروت، ١٤١٩هـ)

الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: ٥٦٠هـ)

٧- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط١ (بيروت، ١٤٠٩هـ)

أبو إسحاق الإلبِيري، إبراهيم بن مسعود بن سعيد (ت: ٤٦٠هـ)

٨- ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تح: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، ط٢ (دمشق، ١٤٠١هـ)

ابن بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت: ٩٤٧ هـ)

٩- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج (جدة، ١٤٢٨هـ)

ابن بدرون، ابي القاسم عبد الملك بن عبد الله (ت: ٦٠٨هـ)

١٠- كمامة الزهر وصدفة الدرر، تح: التجاني سعيد محمود، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٦م)

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ)

١١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط١ (بيروت، ١٤١٧هـ)

أبو بِشْر، محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد (ت: ٣١٠هـ)،

١٢- الكنى والأسماء، تح: نظر محمد، دار ابن حزم، ط١ (بيروت، ١٤٢١هـ)

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت: ٧٧٩هـ)

١٣- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية (الرباط، ١٤١٧هـ)

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ)

١٤- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٩٥٥م)

البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله (ت: ٧٦٢هـ)

١٥- الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، تح: محمد نظام الدين الفُتَيّح، دار القلم، ط١ (دمشق، ١٤١٦هـ)

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ)

١٦- المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٩٠م)

البيذق، ابي بكر بن محمد الصنهاجي (ت: ٥٦٠هـ)

١٧- اخبار مهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور (الرباط، ١٩٧١م)

التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة النباري (ت: ٥٦٩هـ)

١٨- رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ٢٠٠٢م)

تقي الدين المكي، محمد بن أحمد الحسني الفاسى (ت: ٨٣٢ هـ)

١٩- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٨م)

ابو الثناء الصفاقسي، محمود بن سعيد (ت: ١٢٢٨هـ)

٢٠- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار،تح: محمد عثمان،دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)

ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير (ت: ٦١٤هـ)

٢١- رحلة ابن جبير، دار الهلال (بيروت، بلا.ت)

أبو جعفر الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ)

٢٢- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٦٧م)

الجويني، امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت: ٤٧٨هـ)

٢٣- الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، تح: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢ (بلا.مكان، ١٤٠١هـ)

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ)

٢٤- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا (اسطنبول، ٢٠١٠م)

ابو حامد الفاسي، محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت: ٩٨٨هـ)

٢٥- مراة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن، طبعة حجرية (فاس، ١٣٢٤هـ)

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ)

٢٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، ط٢ (حيدر اباد، ١٣٩٢هـ)

٢٧- لسان الميزان، تح: عبد الفتاح ابو غدة، دار البشائر الاسلامية، ط١ (بيروت، ٢٠٠٢م)

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)

٢٨- جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤٠٣هـ)

٢٩- رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ (بيروت، ١٩٨٧م)

الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ)

٣٠- الـروض المعطـار فـي خبـر الأقطـار، تـح: إحسـان عبـاس، دار السـراج، ط٢ (بيروت،١٩٨٠م)
٣١- صفة جزيرة الاندلس، دار الجيل (بيروت، ١٤٠٨هـ)

ابن حيان، حيان بن خلف (ت: ٩٨٧هـ)

٣٢- المقتبس من انباء اهل الانـدلس، تح: بيدرو شالميتا، المعهد الاسباني العربـي للثقافة (مدريد ، ١٩٧٩م)
٣٣- المقتبس فـي اخبار بلد الانـدلس، تح: عبد الرحمن علـي الحجـي، دار الثقافة (بيروت، بلا.ت)
٣٤- المقتبس من أخبار بلد الأندلس، تح: صـلاح الدين الهواري، الدار النموذجية (بيروت، ٢٠٠٦م)

ابن خاقان، ابي نصر الفتح بن عبيد الله (ت: ٥٢٩هـ)

٣٥- قلائـد العقيـان ومحاسـن الاعيـان، تـح: حسـين يوسـف خريـوش، مكتبـة المنـار (الزرقاء، ١٩٨٩م)
٣٦- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)

٣٧- رحلـة ابـن خلـدون، تـح: محمـد تاويـت الطَّنجـي، دار الكتـب العلميـة (بيـروت، ١٤٢٥هـ)
٣٨- العبر و المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٤٠٨هـ)

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ)

٣٩- وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تـح: احسـان عبـاس، دار صـادر، ط١ (بيروت، ١٩٧١م)

ابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت: بعد ٦٣٩هـ)

٤٠- مطلـع الأنـوار ونزهـة البصـائر والأبصـار، تـح: عبـد الله المـرابط الترغـي، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٤٢٠هـ)

ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت: ٤٧٨هـ)

٤١- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني منشورات معهد الدراسات الاسلامية (مدريد، ١٩٦٥م)

الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: ٧٣٦هـ)

٤٢- كنـز الـدرر وجـامع الغـرر، تـح: جونهيلـد جـراف، اريكـا جلاسِن، مطبعـة عيسـى البابي الحلبي (مصر، ١٩٩٤ م)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)

٤٣- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ٢٠٠٣م)

٤٤- سـير أعـلام النـبلاء، تـح: شـعيب الأرنـاؤوط، مؤسسـة الرسـالة، ط٣ (بلا.مكان، ١٤٠٥هـ)

٤٥- العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا.ت)

الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)

٤٦- المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط١ (دمشق، ١٤١٢هـ)

ابن ابي زرع، علي بن ابي زرع الفاسي (ت: ٧٢٦هـ)

٤٧- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور (الرباط، ١٩٧٢م)

٤٨- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور (الرباط، ١٣٩٢هـ)

السبتي، ابو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي (ت: ٦٥٨هـ)

٤٩- بغية المستطرف وغنية المتطرف، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٣م)

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت: ٩٠٢هـ)

٥٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الحياة (بيروت، بلا.ت)

ابن سعيد الاندلسي، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت: ٦٨٥هـ)

٥١- رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس (دمشق، ١٩٨٧م)

٥٢- المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣ (القاهرة، ١٩٥٥م)

ابن سماك العاملي، ابو القاسم محمد بن ابي العلاء محمد (ت: بعد ٨١٢هـ)

٥٣- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)

السودوني، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا (ت: ٨٧٦هـ)

٥٤- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان (صنعاء، ١٤٣٢هـ)

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)

٥٥- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٣هـ)

٥٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (بيروت، بلا.ت)

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المكي (ت: ٢٠٤هـ)

٥٧- تفسير الإمام الشافعي، أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، ط١ (الرياض، ١٤٢٧هـ)

ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٤هـ)

٥٨- فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م)

الشقندي، اسماعيل بن محمد ابو الوليد (ت: ٦٢٩هـ)

٥٩- رسالة فضل الاندلس واهلها، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد (بيروت، ١٩٦٨م)

ابن الشماع، محمد بن احمد (ت: ٨٦١هـ)

٦٠- الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب (بيروت، ١٩٨٤م)

الشهاب القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت: ٤٥٤هـ)

٦١- مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت، ١٤٠٧هـ)

أبِي الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت: ٣٦٩هـ)

٦٢- الأمثال في الحديث النبوي، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار السلفية، ط٢ (بومباي، ١٤٠٨هـ)

ابن صاحب الصلاة، أبو محمد عبدالملك بن محمد بن أحمد (ت: ٥٦٤هـ)

٦٣- المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، ط٣ (بيروت، ١٩٨٧م)

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)

٦٤- الروض الداني، تح: محمد شكور محمود، دار عمار، ط١ (بيروت، ١٤٠٥هـ)

٦٥- المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية (القاهرة، ١٩٩٤م)

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت: ٣١٠هـ)

٦٦- تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط٢ (بيروت، ١٣٨٧هـ)

الطرطوشي، ابو بكر محمد بن وليد الفهري (ت: ٥٢٠هـ)

٦٧- سراج الملوك، تح: محمد فتحي ابو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط١ (القاهرة، ١٤١٤هـ)

ابو العباس المالكي، أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي (ت: ٩١٤هـ)

٦٨- أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ١٤٠٦هـ)

ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: ٧٣٩هـ)

٦٩- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار لجيل، ط١ (بيروت، ١٤١٢هـ)

ابن عبد الحي، ابو العباس احمد بن عبد الحي (ت: ١١٢٠هـ)

٧٠- الدر النفيس والنور الانيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس، تح: محمد بوخنيفي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٥م)

عبد الله بن بلقين، عبد الله بن بلقين بن حبوس بن ماكسن (ت: ٤٨٣هـ)

٧١- التبيان عن الحادثة الكائنة بدوبة بني برزال في غرناطة، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٦م)

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت: ٧٠٣هـ)

٧٢- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس واخرون، دار الغرب الاسلامي (تونس، ٢٠١٢م)

ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ)

٧٣- طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٧هـ)

ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: بعد ٧١٢هـ)

٧٤- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان ، الفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ٢٠٠٩م)

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ)

٧٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، ١٤٠٦هـ)

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ)

٧٦- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (دمشق، ١٩٧٩م)

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: ٧٣٢هـ)

٧٧- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١ (القاهرة، بلا.ت)

٧٨- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية (باريس، ١٨٤٠هـ)

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت: ٧٩٩هـ)

٧٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث (القاهرة، بلا.ت)

ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر (ت: ٤٠٣هـ)

٨٠- تاريخ علماء الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٤٠٨هـ)

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣ هـ)

٨١- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١ (ايران، ١٤١٦هـ)

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)

٨٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، ط١ (المغرب، ١٩٨١م)

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)

٨٣- غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني (بغداد، ١٣٩٧م)

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ)

٨٤- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، بلا.ت)

ابن القطان المراكشي، ابي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك (ت: ٦٢٨هـ)

٨٥- نظم الجمان لترتيب ماسلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط٢ (القاهرة، ١٤١٠هـ)

القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت: ٦٤٦ هـ)

٨٦- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م)

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد(ت : ٥٥٥هـ)

٨٧- تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، ١٤٠٣هـ)

القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١هـ)

٨٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر (دمشق، ١٩٨٧م)

٨٩- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبنانين، ط٢ (بيروت، ١٤٠٠هـ)

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)

٩٠- البداية والنهاية، تح: علي شيري (بيروت، ١٩٨٨م)

كراع النمل، علي بن الحسن الهُنائي (ت: ٣٠٩هـ)

٩١- المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٨م)

ابن كردبوس، ابو مروان عبد الملك بن محمد التوزري (ت: ٥٨٠هـ)

٩٢- الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تح: صالح عبد الله الغامدي، الجامعة الاسلامية السعودية (الرياض، ١٤٢٩هـ)

لسان الدين بن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧٧٦هـ)

٩٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤٢٤هـ)

٩٤- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٣م)

٩٥- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٨٠م)

٩٦- شرح رقم الحلل في نظم الدول، وزارة الثقافة السورية (دمشق، ١٩٩٠م)

٩٧- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: احمد الطوخي، مكتبة الافاق (الكويت، ٢٠١٢م)

٩٨- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ١٤٢٣هـ)

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر (ت: ٤٧٥هـ)

٩٩- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١١هـ)

ابن المبرد، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي (ت: ٩٠٩ هـ)

١٠٠- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، دار النوادر (دمشق، ١٤٣٢هـ)

مجهول

١٠١- نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الاندلسيين الى المغرب، ضبطه: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٢م)

مجهول

١٠٢- تاريخ الاندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م)

المخزومي، ابو المطرف احمد بن عميرة (ت: ٦٥٨هـ)

١٠٣- تاريخ ميورقة، تح: محمد بن المعمر، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٧م)

المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: ٦٤٧هـ)

١٠٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية (بيروت، ١٤٢٦هـ)

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)

١٠٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٠٠م)

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ)

١٠٦- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد، احياء التراث الاسلامي، ط١ (القاهرة، بلا.ت)

١٠٧- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م)

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت: ٨٠٤ هـ)

١٠٨- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تح: ايمن نصر الازهري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ)

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)

١٠٩- لسان العرب، دار صادر، ط٣ (بيروت، ١٤١٤هـ)

ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد (ت: ٨٤٢هـ)

١١٠- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٣م)

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت: ٧٩٢هـ)

١١١- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥ (بيروت، ١٩٨٣م)

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (ت: ٣٠٣هـ)

١١٢- السنن الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١١هـ)

ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ)

١١٣- إكمال الإكمال، تح: عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة ام القرى (مكة المكرمة، ١٤١٠هـ)

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)

١١٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ)

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت: ٧٤٩هـ)

١١٥- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ)

اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ)

١١٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ)

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)

١١٧- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١ (بيروت، ١٤١٤هـ)

١١٨- معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م)

ثانيا: المراجع

احمد، حسن خضيري (الدكتور)

١١٩- صفحات من تاريخ الاندلس الاسلامي، مكتبة المتنبي (الرياض، ٢٠٠٦)

أرسلان، شكيب

١٢٠- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة (بيروت، بلا.ت)

١٢١- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار كتاب (بلا.ت، ٢٠١٢م)

١٢٢- خلاصة تاريخ الاندلس، دار الحياة (بيروت، ١٤٠٣هـ)

اعراب، سعيد

١٢٣- مع القاضي ابي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٧م)

أبو الأنوار، عادل محمود

١٢٤- التاريخ كما يجب أن يكون، دار المنهل للنشر (ابو ظبي، ٢٠١٥م)

بالنثيا، انخل جنثالث

١٢٥- تاريخ الفكر الاندلسي، تر: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد، بلا.ت)

بخيت، رجب محمود إبراهيم

١٢٦- تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة، ١٤٣٠هـ)

البدري، ياسر محمد ياسين (الدكتور)

١٢٧- أقمار في سماء الأندلس - ابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)

بروفنسال، ليفي

١٢٨- تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح الى سقوط الخلافة القرطبية ٧١١-١٠٣١م، تر: عبد الرؤوف البمبي واخرون، ط٣ (مدريد، ١٩٦٧م) .

١٢٩- مجموع رسائل موحدية (الرسالة السادسة والثلاثون)، (باريس، ١٩٤٢م)

البستاني، بطرس

١٣٠- معارك العرب في الاندلس، دار كتاب، ط١ (بيروت، ٢٠١٣هـ)

البشر، محمد عبد الرحمن (الدكتور)

١٣١- مباهج الاندلس، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ٢٠١٧م)

بلعربي، خالد (الدكتور)

١٣٢- الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الالمعية (قسنطينة، ٢٠١١م)

بلغيث، محمد الامين (الدكتور)

١٣٣- الحياة الفكرية بالاندلس في عصر المرابطين (٤٧٩-٥٣٩هـ/ ١٠٨٥-١١٤٤م)، دار المدار الاسلامي (بيروت، ١٤٢٥هـ)

البهيجي، إيناس محمد

١٣٤- تاريخ الأندلس، مركز الكتاب الاكاديمي، ط١ (عمان، ٢٠١٨م)

بوباية، عبد القادر (الدكتور)

١٣٥- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ٢٠١١م)

١٣٦- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري ، دار الكتب العلميلة (بيروت، ٢٠١١م)

بوفلاقة، محمد سيف الاسلام (الدكتور)

١٣٧- التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)

التميمي، أزهر صادق كاظم مهدي (الدكتور)

١٣٨- بنو الأفطس في بطليوس التاريخ السياسي و الحضاري ، دار المنهل (ابو ظبي، ٢٠١٥م)

الجارم، علي

١٣٩- قصة العرب في إسبانيا، دار كتاب (الامارات، ٢٠١٤م)

الجميلي، محمد كريم واخرون (الدكتور)

١٤٠- تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب دراسة سياسية حضارية، مكتبة نفح الطيب (بغداد، ٢٠١٨م)

الحارث، مدحت محمد (الدكتور)

١٤١- الرهائن السياسيون في الأندلس، دار ببلومانيا (القاهرة، ٢٠١٨م)

الحجي، عبد الرحمن علي (الدكتور)

١٤٢- التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط٧ (دمشق،٢٠١٠م)

حسين، عبد الرزاق

١٤٣- الادب العربي في جزر البليار، دار الجليل، ط٢ (الكويت، ٢٠٠٤م)

الخالدي، أحمد

١٤٤- المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المنهل للنشر (عمان، ٢٠١٠م)

الخالدي، عبد السلام العمراني

١٤٥- الرسالة المحمدية الشاملة خلال أربعة عشر قرنا كاملة، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م)

الخزاعي، عبد الأمير حسين علوان

١٤٦- البحرية الإسلامية في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م، دار المنهل (بلا.مكان، ٢٠١١م)

خطاب، محمود شيت

١٤٧- قادة فتح الأندلس، دار المنار (القاهرة، ٢٠٠٣م)

الخطيب، نبيل (الدكتور)

١٤٨- لسان الدين إبن الخطيب (٧١٣- ٧٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٤م) نثره و شعره و ثقافته في إطار عصره، دار المنهل (عمان، ٢٠١٣م)

الخلف، سالم بن عبد الله (الدكتور)

١٤٩- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الاسلامية (المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ)

الدرويش، جاسم ياسين (الدكتور)

١٥٠- أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٧هـ)

دندش، عصمت عبد اللطيف (الدكتورة)

١٥١- دراسات أندلسية في السياسة و الإجتماع، دار الغرب الاسلامي (تونس، ٢٠٠٩م)

دوزي، رينهارت

١٥٢- المسلمون في الاندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، ١٩٩٥م)

١٥٣- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، دار كتاب (الامارات، بلا.ت)

رستم، محمد زين العابدين (الدكتور)

١٥٤- الحافظ الرحالة أبو علي الصدفي الأندلسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي وعلومه، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)

رضا، احمد

١٥٥- معجم متن اللغة، دار الحياة (بيروت، ١٩٥٨م)

زبيس، سليمان مصطفى (الدكتور)

١٥٦- أندلسيات زبيس: دراسات سليمان مصطفى زبيس الأندلسية، وزارة الثقافة التونسية (تونس، ٢٠٠٤م)

زرقان، عزوز

١٥٧- شعر الاستصراخ في الأندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٨م)

الزركلي، خير الدين محمود

١٥٨- الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٥(بيروت، ٢٠٠٢م)

سالم، السيد عبد العزيز (الدكتور)

١٥٩- تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٦٩م)

سالم، سحر السيد عبد العزيز (الدكتورة)

١٦٠- تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، بلا.ت)

السامرائي، اسامة عبد الحميد حسين (الدكتور)

١٦١- تاريخ الوزارة في الاندلس ١٣٨- ٨٩٧هـ، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ٢٠١٢م)

١٦٢- دولة الموحدين (تأسيسها - ثورتها - تنظيماتها - عقيدتها)، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤م)

السامرائي، خليل ابراهيم واخرون (الدكتور)

١٦٣- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت، ٢٠٠٠م)

سامعي، إسماعيل

١٦٤- تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الاكاديمي (الاردن، ٢٠١٨م)

السرجاني، راغب (الدكتور)

١٦٥- قصة الاندلس من الفتح الى السقوط، مؤسسة اقرا للنشر (القاهرة، ٢٠١١م)

السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد (ت: ١٣١٥هـ)

١٦٦- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء، بلا.ت)

السوسي، ابو الطيب مولود السريري

١٦٧- معجم الاصوليين، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠م)

سيسالم، عصام سالم (الدكتور)

١٦٨- جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، ط١ (بيروت، ١٩٨٤م)

شبارو، عصام محمد (الدكتور)

١٦٩- الاندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (٩١-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩م)، دار النهضة العربية (بيروت، ٢٠٠٢م)

صالح، نادية مرسي السيد

١٧٠- مملكة أرغون وعلاقاتها بالمسلمين في عهد الملك ألفونسو الأول المحارب ٨٩٤-٨٢٥هـ/ ١١٠٤-١١٣٤م، دار عين للنشر (القاهرة، ٢٠٠٠م)

الصوفي، فائزة حمزة عباس عثمان (الدكتورة)

١٧١- التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمارة ١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٥ - ٩٢٨ م، دار زهران (الامارات، ٢٠١٤م)

ضيف، شوقي (الدكتور)

١٧٢- تاريخ الأدب العربي، دار المعارف (مصر، ١٩٦٠م)

الطاهري، أحمد (الدكتور)

١٧٣- البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية (إعادة تركيب المدينة من خلال المصادر العربية)، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٦م)

١٧٤- عامة قرطبة في عصر الخلافة دراسة في التاريخ الاجتماعي الاندلسي، عكاظ للنشر(جدة، ١٩٨٩م)

الطباع، عمر فاروق (الدكتور)

١٧٥- ديوان ابن سهل الاندلسي، دار الارقم بن ابي الارقم (بيروت، ١٤١٩هـ)

طقوش، محمد سهيل (الدكتور)

١٧٦- تاريخ المسلمين في الاندلس، دار النفائس، ط٣ (بيروت، ٢٠١٠م)

طويل، مريم قاسم (الدكتورة)

١٧٧- مملة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣-٤٨٣هـ، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٩٩٤م)

١٧٨- مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح ٤٤٣هـ - ٤٨٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٤م)

العامري، محمد بشير (الدكتور)

١٧٩- الأنوار الحضارية من القطوف الأندلسية اليانعة، دار منهل (عمان، ٢٠١٦م)

١٨٠- تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٤هـ)

العبادي، احمد مختار (الدكتور)

١٨١- في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية (بيروت، بلا.ت)

عباس، إحسان (الدكتور)

١٨٢- تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، ط٢ (بيروت، ١٩٦٧م)

عبد الرحمن، نواف أحمد

١٨٣- حضارة الأندلس، دار المنهل، ط١ (ابو ظبي، ٢٠١٥م)

عبد الفتاح، فتحي (الدكتور)

١٨٤- التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)

العبدالي، ابن مقصد

١٨٥- من روائع الرسائل الساسية، دار الروائع (بيروت، ٢٠١٧م)

عبيدات، داود عمر سلامة (الدكتور)

١٨٦- الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس ما بين سنتي (٥٤١/٦٦٧ هـ - ١١٤٦ ١٢٦٨م)، دار الكتاب الثقافي (اربد، بلا.ت)

العتيبي، فوزي عناد (الدكتور)

١٨٧- علاقة الفقيه بالسلطة، فقهاء الاندلس والمشروع العامري (٣٦٧-٣٩٩هـ/ ٩٧٨-١٠٠٩م)، دار كنوز اشبيليا (الرياض، ١٤٣١هـ)

عطيات، احمد محمد (الدكتور)

١٨٨- الاندلس من السقوط الى محاكم التفتيش، دار امواج، ط١ (عمان، ٢٠١٢م)

عنان، محمد عبد الله

١٨٩- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي للنشر (القاهرة، بلا.ت)

١٩٠- دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، ط٢ (القاهرة، ١٤١١هـ)

غومة، سالم ابو القاسم محمد (الدكتور)

١٩١- تاريخ المغرب وحضارته دراسة للجيش والاسطول والمنشأت في الدولة المرينية ٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٥م، دار الفكر العربي (القاهرة، ٢٠١٤م)

فرحات، يوسف شكري (الدكتور)

١٩٢- غرناطة في ظل بني الاحمر، دار الجيل، ط١ (بيروت،١٤١٣هـ)

الفضلي، مثنى فليفل سلمان (الدكتور)

١٩٣- الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، دار عدنان (بغداد، ٢٠١٥هـ)

القاسمي، خالد محمد

١٩٤- العلاقات الخارجية في العصر الاسلامي، الدار الثقافية (القاهرة، ٢٠٠٨م)

القاضي، علي

١٩٥- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة، دار المنهل (الامارات، ٢٠١٧م)

١٩٦- قرطبة جوهرة العالم، دار المنهل (الامارات، ٢٠١٧م)

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي (ت: ١٣٠٧هـ)

١٩٧- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الثقافة القطرية (قطر، ١٤٢٨هـ)

القيسي، فايز عبد النبي فلاح (الدكتور)

١٩٨- ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، ط١ (عمان، ١٤٠٩هـ)

الكتاني، علي المنصور (الدكتور)

١٩٩- انبعاث الاسلام في الاندلس، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م)

كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا

٢٠٠- العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب (بلا.ت، بلا. مكان)

الكركجي، نغم عدنان أحمد

٢٠١- الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، دار الكتاب الثقافي (اربد، بلا.ت)

محاسيس، نجاة سليم

٢٠٢- معجم المعارك التاريخية، دار زهران (عمان، ١٤٣٢هـ)

محمد، عبد العظيم رجب

٢٠٣- العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملولك الطوائف، دار الكتاب المصري، ط١ (القاهرة، بلا.ت)

محمد، منى حسان

٢٠٤- تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي ٥٢٠-٥٣٩هـ/١١٢٦-١١٤٤م، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٠هـ)

محمد، هبه محمد عبد الموجود

٢٠٥- الثغور الاندلسية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)

ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي (ت: ١٣٦٠هـ)

٢٠٦- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ)

مراكشي، العباس ابراهيم

٢٠٧- الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، المطبعة الملكية (الرباط، ١٩٧٤م)

مصطفى، ابراهيم

٢٠٨- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤ (القاهرة، ١٤٢٥هـ)

ابو مصطفى، كمال السيد (الدكتور)

٢٠٩- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية: في العصر الاسلامي (٥٩-٥٩٤ هـ/٤١٧-٢٠١١ م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الاسكندرية للكتاب (الاسكندرية، بلا.ت)

المضواحي، محمد يحيى مطهر (الدكتور)

٢١٠- الأندلسيون عقب سقوط غرناطة، دار كوتبيا (الإسكندرية، ٢٠١٦م)

المطوي، محمد العروسي

٢١١- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، ط٢ (بيروت، ١٩٨٢م)

المغلوث، سامي بن عبدالله

٢١٢- أطلس تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة العبيكان للنشر (الرياض، ٢٠١٢)

مقديش، محمود

٢١٣- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، ط١ (بيروت، ١٩٨٨م)

منصور، عبد الوهاب

٢١٤- اعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية (الرباط، ١٤٠٣هـ)

موسى، محمد حسن عقيل (الدكتور)

٢١٥- استجابات اسلامية لصرخات اندلسية، دار الاندلس الخضراء (جدة، ١٤١٥هـ)

النعسان، محمد هشام (الدكتور)

٢١٦- قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٧م)

نويهض، عادل

٢١٧- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للنشر، ط٣ (بيروت، ١٩٨٨م)

ولد السالم، حماه الله (الدكتور)

٢١٨- تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية (مقتطف من كتاب العبر) مع دراسة قبائل البافور الغامضة ، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)

٢١٩- تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شرببه الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٠م)

٢٢٠- صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١١م)

ولد أن، محمد الأمين (الدكتور)

٢٢١- تاريخ اليهود في الأندلس ٤٢٢ - ٥٣٩ هـ / ١٠٣٠ - ١١٤١ م، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠١٨م)

الوليلى، عبد الرحمن سعيد (الدكتور)

٢٢٢- الأسطورة، اطلس للنشر (القاهرة، ٢٠١٧م)

وناس، زمان عبيد (الدكتور)

٢٢٣- النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨- ١٤٩٢م ، دار الرضوان (عمان، ٢٠١١م)

يحياوي، جمال (الدكتور)

٢٢٤- سقوط غرناطة ومأساة الاندلسيين ١٤٩٢-١٦١٠م، دار هومة (الجزائر، ٢٠٠٤م)

ثالثا: الرسائل والاطاريح

جميل، قتيبة محمود

٢٢٥- الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية لسلاطين غرناطة من ٦٣٥-٧٣٣هـ/ ١٢٣٧-١٣٣٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء، ٢٠١٥م

حسن، عامر احمد عبد الله

٢٢٦- دولة بني مرين: تاريخها وسياستها اتجاه مملكة غرناطة والممالك النصرانية في اسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م

دحوالة، يوسف احمد

٢٢٧- بنو عباد في اشبيلية ٤١٤- ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣- ١٠٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ١٩٨٠م

الدرة، عبد القادر علي احمد

٢٢٨- العلماء الشهداء في الاندلس (٤٠٠-٨٩٧هـ/ ١٠٠٩-١٤٩٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية بغزة، كلية الاداب، ٢٠٠٩م

سالمي، نصيرة

٢٢٩- عصر ملوك الطوائف في الاندلس بين الانحطاط السياسي والازدهار العلمي (٤٢٢-٥٠٣هـ/ ١٠٣١-١١١٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، ٢٠١٥م

السامرائي، عبد الحميد حسين احمد

٢٣٠- الثغر الادنى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٧م

سعدي، بوضياف

٢٣١- الثورات في الاندلس ضد حكم المرابطين (٥٠٧- ٥٤١هـ/ ١١١٣-١١٤٦م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، ٢٠١٧م

السلمي، ابراهيم عطية الله

٢٣٢- تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي دراسة تاريخية حضارية ٩٢-٤٧٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ١٤٢٤هـ

٢٣٣- العدوة الاندلسية منذ عصر ملوك الطوائف الى سقوطها في ايدي الاسبان (٤٢٢- ٨٦٧هـ/ ١٠٣٠-١٤٦٢م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى

الصوفي، ابراهيم فتحي ابراهيم

٢٣٤- العدل عند حكام الأندلس ف عهدي الإمارة والخلافة (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية بغزة، كلية الاداب، ٢٠١٤م

صيودة، منال

٢٣٥- الجبايــة فــي عهــد المــرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦- ١١٤٧م)، رســالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة العلـوم الانسـانية والاجتماعيـة، جامعـة محمـد بوضياف، ٢٠١٨م،

عبد القادر، بوحسون

٢٣٦- الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كليـة العلوم الانسانية والاجتماعيـة، جامعة ابي بكر بلقاديد، ٢٠١٣م

العكيدي، برزان ميسر حامد

٢٣٧- تـاريخ مدينــة شـلب الاســلامية (٣٩٠-٦٤٠هـ/ ٧١٢- ١٢٤٢م)، اطروحــة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٩م)

فؤاد، هلال

٢٣٨- خطة مشيخة الغزاة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ٢٠٠٩م

قاسم، صادق

٢٣٩- العلاقات الثقافية بين الاندلس والمشرق الاسلامي ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (٩-١١هـ) من خلال كتب التراجم، اطروحة كتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران.

قسمية، اسماء

٢٤٠- العمارة العسكرية في بلاد الاندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين القرن ٥-٧هـ/ ١١- ١٣م، كليــة العلــوم الانســانية والاجتماعيــة، جامعــة محمــد بوضياف، ٢٠١٧م،

مزوزية، رزقين

٢٤١- سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية ٥١٥-٦٦٨هـ/ ١١٢١-١٢٦٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣م

نسرين، رزايقية

٢٤٢- دور الفقهاء في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١م (ثقافيا- اجتماعيا- سياسيا)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، ٢٠١٨م

رابعا: المجلات

٢٤٣- التويجري، نورة بنت محمد بن عبد العزيز، الصراع بين ابناء يوسف الاول واثره في اضعاف مملكة غرناطة، مجلة جامعة ام القرى، العدد ١٥، ١٩٩٦م.

٢٤٤- جاه، شريف عبد الرحمن، لغز الماء في الاندلس، مجلة الفيصل، العدد، ٢٧٦، ١٩٩٩م.

خامسا: المصادر الاجنبية

245- Andrés Piles Ibárs, Valencia Arabe ,M Alufre, 1901.

246- Alex. Keith Johnston, dictionary of geography, descriptive, physical, statistical, and historical, forming a complete general gazetteer of the world, London, 1862

247- childs kohn, dictionany of wars,New York, 1999.

248- E.Michael Gerli, Medieval Iberia: An Encyclopidea, Britain, 2008.

249- Cynthia Robinson, Under influence: Questioning the comparative in Medieval castile, netherland, 2005.
250- Edward Mc Murdo, The history of Portugal, London, 1888.
251- H.Salvador martines, Alfonso the learned: A Biography, Netherland ,2010.
252- Jeffrey Gorsky, Exiles in sephrad: the Jewish millennium in spain, Nebraska, 2015.
253- Henry Edward Watts, Spain, being a summary of Spanish history from the Moorish conquest to the fall of Granada, U.S.A, 1892.
254- José Hinojosa Montalvo, Jaime II y el esplendor de la Corona de Aragón, Editorial al nerea, 2006.
255- L. P. Harvey, Islamic Spain, 1250 to 1500, London, 2014.
256- Ramón Menendez Pidal, La España del Cid ,Espasa, 1939.
257- Richard Emmerson, key figures in medieval Europe: in Encyclopedia, New York, 2006.
258- Yom Tov Assis, Twish Economy in the Medieval crown of Aragon: mony and power, Brill, 1997.

the rubric of "passive administrative means", which had two management methods only.

The fourth chapter was entitled ("Popular Defensive means"), in which the methods issued by the unofficial popular classes were divided into two parts, the first under the title (positive popular means), in which fourteen defensive means were cited, including what was a popular effort to increase Defensive fortifications of a structural nature, and another section of the administrative nature of both the assumption and the inauguration, the second topic was titled (Passive Popular means), which included two defensive methods with negative impact the course of events in Andalusia.

Abstract

The history of Muslims in Andalusia is of great importance because its opening was the culmination of a long jihad that has reached 70 years of fighting and Muslims need to maintain their Islamic cities to carry out defensive means, and through the above we have found it necessary to have a study of this effort under the title (Islamic defensive means of Andalusian cities from the 4th to the 9th Hijri centuries. This study was presented with four chapters and a conclusion, and the first chapter was under the title (Political defensive means) and required the scientific and logical methodology to divide it into two sections, the first topic was titled (positive means) Which included fifteen political defensive means with positive results such as Tahadi, Al-Tahalaf or treaties, and the second topic was titled (passive means) Which included five defensive political instruments with negative consequences, in which they carried the meanings of handing over to the aims of the Crusader kingdoms, such as giving royalty and handing over forts and castles to the enemy.

The second chapter was entitled (Military Defensive means), which included two sections, the first under the title (positive military means), which included sixteen military means, including those that were not directly related to Islamic military movements such as military expansion or intimidation of the enemy Or military involvement, ambushes or espionage, the second was entitled (Passive Military means), which included four military methods with disastrous and negative consequences and posed a threat to Islamic cities in Andalusia, such as passive military plans or unsuccessful attempts to help.

The third chapter was entitled "Administrative defensive means", in which I outlined a number of administrative means, which the researcher divided into two sections, the first under the title (positive administrative means), which included 20 defensive means, which contributed without any doubt to the removal of many dangers Which was aimed at undermining the stability of the Andalusian Islamic cities, including what was meant for administrative means to increase the fortifications and defensive constructions, including what was a purely administrative decision from the highest political authority in the city to the lowest rank, whether by his own, isolation or other decisions , The second was under



Ministry of Higher Education

and Scientific Research

Baghdad University

College of Education (Ibn Rushd)

For Human Sciences



Islamic Defensive Methods of Andalusian Cities from the 4th to the 9th Hijri Centuries

A Dissertation

Submitted to the Council of College of Education/Ibn Rushd/University of Baghdad

As part of the requirements for Doctoral Degree in Islamic History

By

Qutaiba Mahmoud Jameel

Supervised by

Prof. Dr.Muqtadir Hamdan Abdal Majeed

2019 A.D. 1440 A.H